الأدب الإسلامي

٨٧

مجلة فصلية تصدر عن «رابطة الأدب الإسلامي العالمية» - العدد (٨٧) - ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

طبيعة الشخصيات في قصص نجيب الكيلاني

د. نصر الدين دلاوي

نحو رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي

د. محمد محمود العطار

الحق والجهاد والشهادة في ديوان أغنيات لعشاق الوطن لمحمد التهامي

د. سعد أبو الرضا

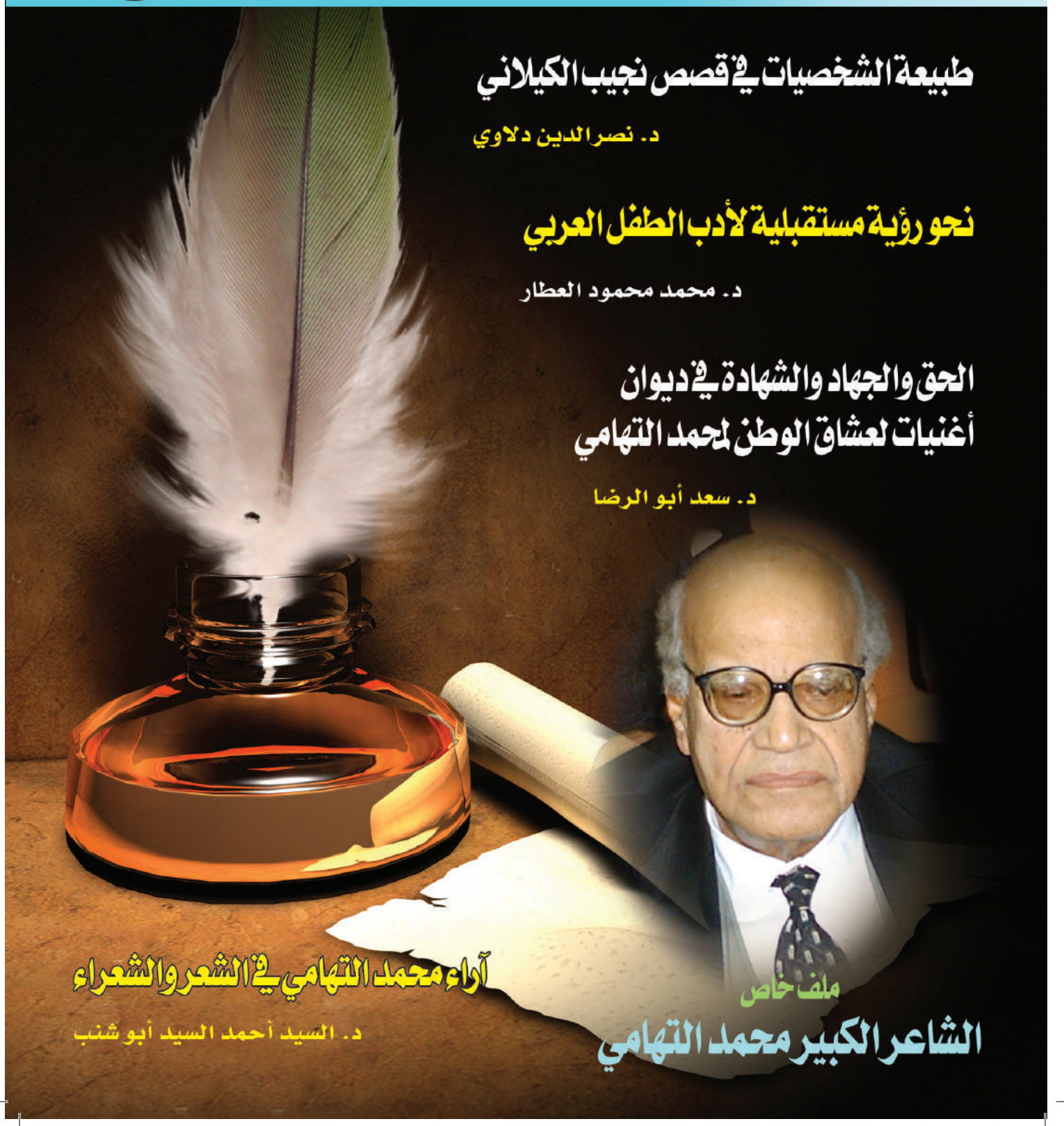

آراء محمد التهامي في الشعر والشعراء

د. السيد أحمد السيد أبو شنب

ملف خاص

الشاعر الكبير محمد التهامي

بسم الله الرحمن الرحيم

رحيل الشاعر الكبير محمد التهامي

دأبت مجلّة الأدب الإسلاميّ منذ رأت النور وحتى الآن على إصدار أعداد أو ملفات خاصّة عن الأدباء والمفكّرين الكبار الذين يرتحلون عن هذه الفانية، وقد خلّفوا وراءهم من الإبداع الأدبيّ الهادف، أومن الدّراسات الجادّة الخيِّرة ما أغنى ساحة الأدب الإسلاميّ، والفكر العربيّ الأصيل، ووضع لبنة في بنائه.

وإنّ ذلك لمن باب الوفاء والشكر لجهود هؤلاء، والإشادة والثناء على ما قدّموا لأمتهم من العطاء النّافع المتميِّز. إذ إنه لا يشكر الله من لا يشكر الناسَ.

وفي هذا العدد السابع والثمانين ملّف خاصّ عن الشّاعر الكبير، والأديب الألمعيّ، والدّبلوماسيّ المرموق محمد التّهاميّ، الذي رحل عن دنيانا هذه بعد أن زرع بذور الكلم الطيّب في كلّ مكان من عالمنا العربيّ والإسلاميّ.

قرأنا كثيرًا من شعره ، ونحن صغارٌ على مقاعد الدّرس؛ إذ كان عدد من قصائده مقرّرًا في المناهج الدراسية ، ثمّ تعرّفناه كبارًا، فإذا نحن أمام قمة شعرية شامخة، كان مبدعًا مطبوعًا أصيلاً، جريء القول، صادق النّبرة، صاحب رسالة خيِّرة نبيلة، هي رسالة الإسلام والعروبة، نذر نفسه للدفاع عنها، وبثّها بفنية عالية في جميع ما أبدع.

كان مدافعًا عن الإسلام ، وعن فكره وأدبه، بوسطية واعتدال، ومن غير صخب أو اعتداء، ولكنْ بجراءة وإقدام، لم يكن التّهاميّ – رحمه الله – يخشى في دين الله لومة لائم، جهوريّ الصّوت في التعبير عن أفكاره وتصوراته.

وإذا كان كثير من النّقاد قد قصّروا في حقّ التّهاميّ، فلم يوفوا شعره ما يستحق من الحفاوة والدّرس، ومن الإشادة والتّنويه، في حين أسبغوا الثناء على كثيرين لا يكاد بعضهم يبلغ سفحه؛ فإن ما قصّر فيه النّقاد- لأسباب شخصية وفكرية لا مجال ها هنا للوقوف عندها – عوّضه ما حظي به شعر التّهاميّ في أوساط جمهور الأمّة؛ فنال الرّجل جوائز كثيرة في مصرَ، وفي غيرها من البلاد العربية والإسلامية، وكان ذلك صوتًا أعلى من صوت نقادٍ أصحابِ هوىً وانحياز.

رحم الله محمد التهاميّ – شاعرَ العروبة والإسلام- وحفظ الله على الأمة رجالها النبلاء الأفذاذ المدافعين عن فكرها وأدبها. والحمد لله أوّلاً وآخرًا.

مدير التحرير

مجلة فصلية تصدر عن
رابطة الأدب الإسلامي العالمية
المجلد (٢٢) العدد (٨٧)
رمضان - ذو القعدة ١٤٣٦هـ
تموز (يوليو)- أيلول (سبتمبر) ٢٠١٥م

رئيس التحرير
د . عبد القدوس أبو صالح

نائب رئيس التحرير
د . ناصر بن عبدالرحمن الخنين

الإخراج الفني
عيسى محمد الهلال

المراسلات باسم رئيس التحرير
المملكة العربية السعودية
الرياض ١١٥٣٤ ص ب ٥٥٤٤٦
هاتف: ٤٦٢٧٤٨٢ - ٤٦٣٤٣٨٨
فاكس: ٤٦٤٩٧٠٦
جوال: ٠٥٠٣٤٧٧٠٩٤

Web page address
www.adabislami.org
E-mail
info@adabislami.org

الاشتراكات
للأفراد في البلاد العربية
ما يعادل ١٥ دولارا
خارج البلاد العربية
٢٥ دولارا
للمؤسسات والدوائر الحكومية
٣٠ دولارا

أسعار بيع المجلة
دول الخليج ١٠ ريالات سعودية أو ما يعادلها، الأردن دينار واحد، مصر ٣ جنيهات، لبنان ٢٥٠٠ ليرة، المغرب العربي ٩ دراهم مغربية أومايعادلها، اليمن ١٥٠ريالاً، السودان ٢,٥ جنيه، الدول الأوربية ما يعادل ٣ دولارات.

من كُتّاب العدد

محمود مفلح

الطيب رحماني

د. عادل إبراهيم عبدالله

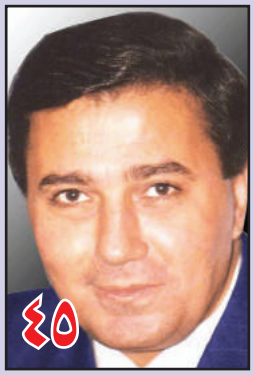

فاروق جويدة

شروط النشر في المجلة

- تستبعد المجلة ما سبق نشره
- موضوعات المجلة تنشر في حلقة واحدة.
- يرجى كتابة الموضوع على الحاسوب أو بخط واضح مع ضبط الشعر والشواهد وألا يزيد عن عشر صفحات.
- يرجى ذكر الاسم ثلاثياً مع العنوان المفصل.
- ترسل نبذة قصيرة عن الكاتب.
- توثيق البحوث توثيقا علميا كاملا.
- الموضوع الذي لاينشر لايعاد إلى صاحبه.
- إرسال صورة غلاف الكتاب،موضوع الدراسة أو العرض، أو صورة الشخصية التي تدور حولها الدراسة أو المجرى معها الحوار.

مدير التحرير
د . وليد إبراهيم قصاب

سكرتير التحرير
أ . شمس الدين درمش

هيئة التحرير
د . سعد أبو الرضا
د . عبد الله بن صالح المسعود
د . محمد عبدالعظيم بن عزوز
د . علي بن محمد الحمود

مستشارو التحرير
د . عبدالعزيز الثنيان
د . عبدالباسط بدر
د . حسن الهويمل
د . عبدالله العريني
د . رضوان بن شقرون

في هذا العدد

دراسات ومقالات

❖ **الافتتاحية:**
- رحيل الشاعر الكبير محمد التهامي — مدير التحرير — ١
- طبيعة الشخصيات في قصص نجيب الكيلاني — د. نصر الدين دلاوي — ٤
- ظلال التراث في كتابة المسرح الإسلامي — الطيب رحماني — ١٦

❖ **ملف الشاعر محمد التهامي:**
- الحق والجهاد والشهادة في ديوان أغنيات لعشاق الوطن لمحمد التهامي — د. سعد أبو الرضا — ٢٢
- الجلال والجمال في ديوان أنا مسلم للتهامي — د. عادل إبراهيم العدل عبدالله — ٣٤
- رحل عاشق العروبة — محمد عبدالشافي القوصي — ٤٢
- رحيل شاعر كبير — فاروق جويدة — ٤٥
- الشاعر محمد التهامي في ميزان الأدباء والنقاد — د. السيد أحمد السيد أبو شنب — ٤٦
- آراء محمد التهامي في الشعر والشعراء — د. السيد أحمد السيد أبو شنب — ٥٢
- محمد التهامي صاحب شعار أنا مسلم — السيف فاروق — ٦٠
- نحو رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي — د، محمد محمود العطار — ٦٨

❖ **الورقة الأخيرة:**
- أدب التمثيلية الإذاعية — د. عبدالباسط بدر — ١١٢

الشعر
- يا رب — محمود مفلح — ١٥
- الأرحام — محيي الدين عطية — ٢٠
- الطفل والبحر — د. أحمد البراء الأميري — ٢١
- صوت من المخيم (الملف) — محمد التهامي — ٢٦
- إلى أين؟ (الملف) — محمد التهامي — ٤١
- شاعر الأمة (الملف) — نوال مهنى — ٥٠
- طود الأصالة (الملف) — وحيد حامد الدهشان — ٥١
- دوامة الحلم (الملف) — محمد التهامي — ٥٩
- نبع الحنان — د. حيدر مصطفى البدراني — ٧٥
- مطر — خديجة الطيب دبة — ٨١
- إنسانية طائر — عبدالله سالم زين باحميد — ٨٦
- نقوش في مرايا الليل — سالم بن رزيق بن عوض — ٩٤
- اصبر وصابر — صالح محمد جرار — ٩٦
- رسالة إلى بغداد — أشرف محمد قاسم — ٩٨
- في رثاء د. ناصر الدين الأسد — ماهر قاسم — ١٠٥

القصة والمسرحية
- قلب الأم — عمر طاهيري — ٦٦
- غريب في أرض الوطن — خالد بريه — ٧٦
- حوار مع الشيطان (مسرحية) — د. وليد قصاب — ٨٢
- الشركاء (خاطرة) — صورية مروشي — ٨٨
- عذراء — د. نادية البرعي — ٨٩
- العلبة — د. سعيد أصيل — ٩٧

الأبواب الثابتة

❖ **لقاء العدد:**
- مع الشاعر الكبير محمد التهامي — التحرير — ٢٨

❖ **تراث الأدب الإسلامي:**
- ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل (شعر) — أبو العلاء المعري — ٦٤

❖ **رسائل جامعية:**
- دور أبي الحسن علي الندوي في تطوير الأدب العربي بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي العالمية — الباحث: حمدون فجي محيي الدين — ٩٠

❖ **مكتبة الأدب الإسلامي:**
- الإسلام بين النظرية والتطبيق تأليف د. مكارم محمود الديري — التحرير — ٩٩

❖ **أخبار الأدب الإسلامي** — إعداد: شمس الدين درمش — ١٠٠

❖ **بريد الأدب الإسلامي**
- بقيت نافذة الأدب إلى قلبه وسيلة — د. عبدالحفيظ عبدالعزيز مسعود — ١١١

طبيعة الشّخصيات
في قصص نجيب الكيلاني

الشّخصيات في الفنّ، عمومًا، يُراد لها أن تعبّر تعبيرًا ما عن مُنشئها، وتدلّ بطرق فنّية عن هواجسه ومخاوفه وآلامه وآماله وتُنبئ، بالتّبعية والمآل، بطبيعة شعوره بالحياة والأحياء، وبمجموع موقفه من الكون والعالم والإنسان والحياة.

ويستهدف هذا المقال الوقوف عند طبيعة الشّخصيات في قصص نجيب الكيلاني وبيان ألوانها وشياتها، وما تتمتّع به من قُوى وطاقات، أو ما سَكبه القاصّ في روحها من مواهب واستعدادات.

وقد وقفت عند بعض النماذج دون غيرها مراعاة لطبيعة هذا الحيّز الذي لا يسمح بالاستفاضة والتّوسع. أمّا سبب اختياري، في هذا المقال، لشخصيات قصصيّة معيّنة، واقتصاري عليها دون سواها فليس فيه شيء من التحكم والتوجيه، وإنما كان دافعه ما وَقر في قلبي من إيحاءات، وما قرّ في نفسي من خواطر ومعانٍ حين لقائي الأوّل بهذه الشّخصيّات القصصيّة التي شاء نجيبٌ الكيلاني أن يجعلها دالة بصورة قوية على رؤياه، مترجمة بنجاح عن موقفه ومراده.

د.نصر الدين دلاوي – الجزائر

يمكن الإشارة، ابتداءً، إلى أنّ شخصيات نجيب الكيلاني القصصيّة ليست نوعًا واحدًا، ولكنما هي شخصيات من كل المستويات، وتنتمي إلى كل الفئات الاجتماعية والمراتب والدّرجات.

ويُضاف إلى هذا التّنوع والمزيج شخصيّات أخرى، وألجأتها الظروف والملابسات إلى أنْ تعيش أوضاعًا استثنائية وتعاني أحوالاً خاصة كالمرضى والمصابين والسّجناء والمقاتلين والجنود والمجرمين، أو أولئك الذين يعيشون تحت وطأة البغي والاحتلال.

إنّ شخصيات نجيب الكيلاني القصصية شخصيات مختلفات الألوان متعدِّدات الشِّيات مشاربها شتى، ومناهلها عِدّة، ولكنها جميعًا شخصيّات مِلؤها الحركة والاشتعال، تحبّ الحياة وتحرص عليها، وتتشبَّث بأهدابها، وتُقبل عليها إقبال اللاهث المستزيد.

إنّ شخصيّات الكيلاني تحبّ الحياة، بل تعشق الحياة وتَضِنّ بها، وتقاوم من أجل الحفاظ عليها، ولا تَبغي عنها بدلاً. إنها شخصيّات مختلفات، كاختلاف البَصمات، تمارس الحياة بطريقتها الخاصّة، وتحبّ الحياة بأسلوبها الخاص، وتتشبَّث بالحياة بوسيلتها الخاصّة.

ولكنّ الذي يجمع هذه الشّخصيات جميعًا ولا يفرّقها، ويَزينها ولا يَشينها هو داعي الحياة الذي يناديها، وأمَل البقاء الذي يستحثّها، وهاجس الدّوام الذي يُناجيها، وحادي الأرواح الذي يَشحنها، ويقوّيها فيُحيلها شعلةً من النّشاط، وكتلةً من الحركة تستجمع قُواها فتقاوم نقصها، وتَسدّ عَطَبها، وتحاصر ضعفها، وتتكبّر على عَجزها، وتصارع الظّروف القاسية مِن حولها، والملابسات الضّاغطة التي تكبّلها كما تصارع الظّلم والاعتداء والقهر والاستبداد والتّهميش والإقصاء والخوف والجوع والعلل والأمراض واللّذة والأهواء واليأس والقنوط والهزيمة والاستسلام.

نجيب الكيلاني

إنّ شخصيّات نجيب الكيلاني القصصيّة مُعظمَها تنتمي إلى فضاء كبير ثَرِيّ ذي أهمّية وشأن تعانقه وتحتضنه وتسبح فيه، ولا تبغي عنه حِوَلاً، وهو فضاء الحياة المتلئة والحركة والاشتعال: «... الحياة بلا حركة أو هدف شيء سقيم مُملّ أليس كذلك؟».[1]

والخطوط التالية مهمّتها أن تنقلنا إلى هذا العالم الثّري المشحون، وتهيِّئ لنا فرصة مصاحبة هذه الشّخصيات والاقتراب منها، وربّما الاستمداد منها وأخذ قَبَسات ممّا يَسري في رُوحها مِن دفء وحياة وحركة واشتعال.

أ- شخصية سالم:

السّجن هو انقطاع عن الحياة أو حرمان من بعض لذّات الحياة. والسّجن، أيضًا، حرمان من الحركة أو تقييد لهذه الحركة، ثمّ إنّ السّجن، أخيرًا، تغييب عن الوجود أو حرمان من هذا الوجود لأنّ المرء لا يشعر بوجوده إلا حين شعوره بحركته.

سالم الشّخصية الرّئيسية في (قلوب تائهة) سجين حُكم عليه بالسّجن عشر سنين يعيش هذا الوضع ويعانيه، وقد أثّر عليه السّجن تأثيرًا كبيرًا ولكنْ ما قَهَره.

سالم يخرج اليوم من سجنه متّجهًا في معيَّة حارسه إلى المستشفى لإجراء فحوص طبّية في قسم المسالك البوليّة. وها هو ذا يختلط بالحياة التي حُرِمها سنين عددًا، ويملأ عَينيه الجائعتين وروحه الظّمأى بجمالها «...كلّ شيء... الأطفال... النّساء..

المـزروعـات... الحـيـوانـات كلّ شيء جميل... جميل... له طعم خاصّ... حلوالمذاق...».[٢]

ويلتفت إلى حارسه: «انظر الأطفال والنّساء... منظر يُسعد القلب... ألَمَ تسمع عن الحكيم الـذي قـال: مجتمع بـلا أطفـال ونساء مجتمع متوحّش».[٣]

ولمـا كـان السّـجـن، أيـضًـا، حرمانًا من الكلام فإنّ سالماً لا

يشبع من الكلام، وهـو يعبّر عن جوعـه للحـيـاة الـتـي يـراهـا من حوله بنَهَمه واستزادته من هذا الكلام: «في السّجن (...) يجد الإنسان الطّعام والشّراب والكساء والنّوم، لكنّي جائع دائمًا.. ظمآن بـاسـتـمـرار.. قـلِق لا أنـــام.. إنّ قتل الإنسـان خير من تركه في السّجن...».[٤]

وجـوع سـالم إلى الحـيـاة، وظـمـؤه إلـيـهـا، واشـتـهـاؤه لها تـزداد حِدّتـه، وتتضاعف قوّته عند كلّ مظاهرها. وحين يُبصر نـاهـد المشـرفة الاجـتـمـاعـيّـة، في المستشفى، يرتعش قلبه، وتشتعل روحـه، ولا تتحوّل عنها نظراته: «... تفّاحة جميلة... وجائع أضناه الحرمان... لكنّ التّفاحة عالية... عـالـيـة جـــدًّا... وهـــولا يستطيع الصّعود (...)، لقد نزعوا قيوده إلى حـين، ولـكـنّ نفسه أو روحه تشعر بالقيود...».[٥]

إنّ اشتهاء سالم لناهد وفتنته بها، وحبّه لها الـذي أعلنه، فيما بعد، ليس إلا امتدادًا لجوعه الكبير للحياة، واشتهائه الشّديد لها.

إنّ في هـذه المـــرأة، كـمـا في الحياة، شيئًا ما يَأسره، بل يَجذبه ويستهويه. ومِن ثَمَّ تصبح ناهد هـي المـرأة التي أحبّهـا وهـي، في نفس الوقت، الحياة التي لم يَشبع منها: «إنها امـرأة شهيّة، وفيها شيء لا أدرك كُنهه... قُوى مجهولة تشدّني إليها غير أنه يقف بيني وبينها عازل سميك... لو كان هذا العازل شيئًا ملموسًا لحطّمته... لقتلته... ولكانت هذه أوّل جريمة قتل أتشرّف بارتكابها...».[٦]

إنّ جـوع سـالم إلى الحـيـاة، واشـتـهـاءه لـهـا، وشـعـوره الكبير بها، وتَطلّبه لها هو ضالّته، وهو مُبتغاه بعد ثلاث سنوات من ظلمة السّجن التي أثّرت فيه، ولكنّها لم تَقهره، ولم تَقتل فيه هـذا الحبّ الكبير إلى الحياة، وهذا الحرص الشّـديـد عـلـيـهـا، وهـــذا السّعي الحثيث للاختلاط بها والامتلاء منها.

ويمـكـن الإضـــافـة، مـن جهة أخـرى، أنّ هـذا الجـوع الـذي يُلحّ عليه ويُناجيه ويـلازمـه ويُناديه هو، كذلك، يصنعه ويَبنيه فَيَجلُو رؤيـتـه، ويـعـمّـق شـعـوره، ويلطّف غرائزه، ويهذّب عواطفه، ويمحو ما يَعلق بروحه من آثـار السّجن ومعاناته، ومـا يتشبّث فيها من عقابيل.

وهـذا الشّعور بـالجوع الحـادّ إلى الحياة، والسّعي القويّ لِسَدّه

وإشباعه، وهذا الظَّمأ الكبير إلى الحياة، وهذه الحركة الدّائبة للارتواء من مائها؛ كلّ أولئك يظلّ ملازمًا لشخصيّة سالم لا يتحوَّل عنه، متلبِّسًا به يُلحّ عليه ولا يَفتُر عنه حتّى يُدرك مصيره أو يدركه مصير آخر.

ب- شخصية ناهد:

إنّ شخصيّة ناهد المشرفة الاجتماعيّة في (قلوب تائهة) ليست شخصيّة ثانويّة ولكنّما هي، بجانب شخصيّة سالم، شخصيّة رئيسيّة.

وقد وضعها نجيب الكيلاني في طريق سالم، أو وَضعه هو في طريقها، لِيُقوِّي شعورنا بمعاني الحركة والاشتعال وحبّ الحياة، ويُرِيَنا كيف تسلّلت هذه المعاني إلى نفس ناهد، وكيف سَكب سالم مِن روحه في روحها، وأمدّها بهذه المعاني الكبيرة التي كانت تفتقدها.

إنّ ناهد تعيش حياة عاديّة هادئة تكاد أنْ تكون مُمِلَّة. عالمها الذي يَحصر اهتماماتها لا يتجاوز مكان عملها ومقرّ سُكناها. وهي «تعاني» هذا «الفراغ» الذي يَغشى حياتها كما «تعاني» غياب الحبّ والعواطف القويّة، وغياب الصّراع والأحداث الكبيرة والمعاناة.

إنّ عالمَ ناهد ساكن راكد جامد، ليس فيه شيء، وليس تحته أو وراءه شيء. ومِثل هذا العالم حين يتمدّد ويستطيل، ويُمعن في الاستطالة والامتداد يصبح كئيبًا ثقيلاً على النّفس يَخنقها ولا يُنعشها، وقد يقتلها ولا يُحييها. وحين يشاء الله أنْ يضع سالما في طريقها، فإنّ حياتها تبدأ في التّحول والتّغير، منذ اللّحظات الأولى، وتأخذ اتّجاهًا جديدًا، ومنعرجًا آخر.

إنّ أوّل شيء لفَت نظر ناهد أنّ هذا السّجين يختلف عن السّجناء العاديِّين، «إنه ليس سجينًا عاديًّا... بعض الكتب إلى جواره... وكذلك الصّحف والمجلات... ومعجون أسنان وفرشاة..».[٧]

ولم تستطع ناهد، منذ قربها الأوّل منه، أنْ تَصرف فكرها عن الاشتغال به، أو تطرد من ذهنها صورته وتعبيرات الألم المرسومة على وجهه، وسمات القلق البادية في أحاديثه ومجموع حركاته وتعبيراته، والأحداث التي تملأ حياته...[٨]

ولقد أنكرت على نفسها اهتمامها الكبير بسالم وتفكيرها الزّائد في أمره. وكلّما ظنّت أنّ ذهنها قد تباعد عن التّفكير فيه وَجدت شعورها شديد الاهتمام بهذا الرّجل: «...الكتلة المتّقدة من الانفعال والثّورة. ذلك الجائع إلى الحياة... والعدل والأمن... والحبّ، لا شيء ينقصه لأنْ يكون رجلاً شريفًا... لولا القيود والوصمة والبدلة الزّرقاء...».[٩]

إنّ نجيب الكيلاني لا يتدخل في توجيه العواطف وصناعة المواقف، بل يَدَع ناهد تستمدّ من أنوثتها

ومن شعورها بما حولها ومن وَقْع التّجربة عليها ومن مجموع معاناتها لهذا الأمر ما يُعينها على تحديد موقفها من سالم السّجين الذي اقتحم عليها حياتها، وفَرض وجوده على شعورها.

وحين يبلغ هذا الأمر غايته، وتدرك ناهد آيتَه، تجد نفسها تعقد مقارنة بين سالم وبين الطّبيب زميلها في العمل. فالطّبيب حُلْو النّكتة، وهو يُسلّيها، وهمّه أنْ يملأ بعض وقته بالحديث معها أو مع الطبيبة، ولكنّ حياته فارغة، ليس فيها عنف، وليس فيها صراع.[10]

أمّا سالم فهو نسيجُ وَحدِه، «رجل قويّ حزين يَطحنه الصّراع، فيُضفي عليه تشويقًا وحيويّة. وبقَدر ما تَعاف رقّة الطّبيب

تَفيض حبًّا للحياة، وتَنضح حركةً واشتعالاً.

ولم تكُن ناهد هي الشّخصية الوحيدة التي تأثّرت من مصاحبتها لسالم وانْفعلت بقربها منه ولم تستطع مزاحمة ما تسلّل إلى نفسها مِن معانٍ أو مقاومة ما عَلِق بروحها من إيحاءات. إنّ هناك شخصيّات أخرى كان لها، في المستشفى، احتكاك بسالم وسطحيّته تُقبل على خشونة سالم وجِدّة انفعالاته... إنه أتون ملتهب مزمجر..».[11]

إنّ شخصيّة ناهد في (قلوب تائهة) هي المرآة التي أراد نجيب الكيلاني أنْ تعكس أو أن تصوّر التّأثير الذي تُحدثه، فيمَن حَولها، شخصيّة سالم المتوفِّزة التي واقتراب منه تسلّل إليها،هي كذلك، شيء من هذا التّأثير بنِسب قد تَتناقص أو تزداد.

إنّ سالماً هو الحركة والاشتعال والقوّة والصّراع والصّلابة والاحتراق، وإنّ ناهد هي الأنوثة واللّين والوَداعة والحبّ واللّطافة والهدوء.

ولقد ملأ سالم حياة ناهد بتلك المعاني الكبيرة التي غيّرت حياتها، وأغْنت شعورها، وعمّقت اهتماماتها، فنَقلتها نَقلة نوعيّة، وأعطت لوجودها معنًى كان يُفارقه، فأحبّته لأنه هو سبب شعورها الجديد بذاتها وبوجودها، وهو لذّة حياتها.

إنّ ناهد وسالماً شخصيتان متقابلتان، وليستا شخصيّتَين متناقضتَين. وحين شاء الكيلاني أنْ يصوّر قيم الحركة والاشتعال وحبّ الحياة، ويُقنعنا بأهمّيتها وجَدواها وقدرتها على صناعة النّفوس وإحيائها استعان بهاتين الشخصيتين، أو جعل إحداهما قَدَر الأخرى، وترك المشاهد تتتابع، والأحداث والمواقف تَتْرَى، والسّكون يُوحي، والحركات تُعبِّر، والهواجس والوساوس والملامح والعبارات...

وكلّ أولئك حقّق التّعاطف لَدَينا مع هاتين الشّخصيّتَين،

وربط شعورنا بشعورها، لأنّ كلّ حبّها وكلّ حركتها وكلّ اشتعالها يستفزّنا ويَستهوينا، ويخاطب فينا إنسانيّتنا.

ج- شخصية سليمان بك:

سليمان بك عمدة القرية العجوز، وذو الكلمة العليا فيها، يحبّ (أنصاف) المرأة الغضّة الفتيّة التي تداعب روحَه نضارتُها، وتُوقظ مَواتَه نداوتها، ولن يَمنعه أحد من الزّواج بها وضمّها إليه.

إنّ حبّه لهذه الفتاة وإرادته امتلاكها، كحبّه للحياة، مُلِحّ وقويّ شديد، وهو يُوحي إليه بامتداد الحياة وتواصلها، وعدم قُرب أَوان فراقها: «العمر قصير يا خضرة.. والفلوس كثيرة. فلماذا لا ننتهز الفرص...؟». (١٢)

إنّ نجيب الكيلاني، في هذه القصّة، يصوّر لنا صراعًا بين إرادتين اثنتَين: إرادة العمدة الذي يلجأ إلى كلّ الوسائل الممكنة والحِيل والمَكر، بما فيها إمكانيّة اللجوء إلى القتل، للفوز بأنصاف، وإرادةِ رشاد الشّاب القويّ الذي لا يَقبل أبدًا أنْ تُسرق منه المرأة التي يحبّها.

هما،إذنْ، شخصيّتان رئيسيّتان متناقضتان تشتركان في حبّهما لأنصاف، ويملؤهما حبّ للحياة كبير بطريقتَين مختلفتَين. وهما إرادتان للحياة متصارعتان تستهدفان الحفاظ على هذه الحياة وعدم التّفريط فيها.

إنّ العمدة العجوز ورشاد الشّاب كليهما يحبّ أنصاف، ويحبّ الحياة ويَضِنّ بها، ويَحرص عليها ويصارع من أجل الاحتفاظ

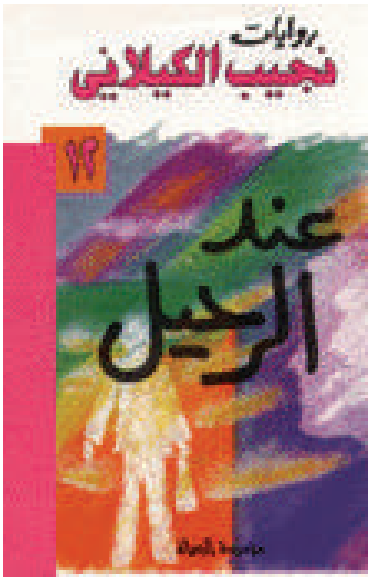

بها. ولكنّهما يختلفان، بعد ذلك، في طريقة هذا الحبّ، وفي الشّعور به كما يختلفان في أسلوب المقاومة وأدوات الصّراع.

وحين يصوّر نجيب الكيلاني صراع هاتين الشّخصيتَين من أجل الحياة يَشحنهما بوابل من الإرادة والتّصميم والعِناد حتّى يبلغ هذا الصّراع حِدّته، ويحيط هذا المشهد، أو هذا الميدان، بقوّة الحركة الدّائبة والسّعي الممدود والجَلَبة الكبرى والضّجيج الغاصّ والوَلولة والصّياح والحزن والبكاء والخوف والجنود وأصداء الحرب البعيدة التي يُؤخذ إليها شبّان القرية وكهولها...

كلّ أولئك يُذكي هذا الصّراع القائم بين هاتين الشّخصيتَين، ويجعله صراعًا عنيفًا من أجل الحياة، وصراعًا قويًّا من أجل الاحتفاظ بها.

ولكن.. هل هو صراع بين شخصيّتين فقط، أو بين إرادتين لا غَير؟

لا أظنّ ذلك؛ لأنّ نجيب الكيلاني في (رجل لا يُقهر) يشير إلى صراعات أخرى مختلفة حدّتها أقلّ، وقوّتها أخفّ، ولكنّها جميعًا صراعات من أجل الحياة وتأمين البقاء.

ثمّ إنه يُلقي، في الواجهة، بهذا الصّراع الشديد بين هاتين الإرادتين فنُقبل عليه بأعيننا، ونلتهمه بكافّة حواسّنا، ويجعل الصّراعات الأخرى، في الخَلفيّة، هي امتداداً أو جزءاً من هذا الصّراع العنيف القائم في الواجهة، تزيده أهمّية وشأنًا، وتزيده إثارة ومعنًى.

د- شخصية نجيّة:

تعد شخصيّة نجيّة في قصّة (بطّة) من أقوى الشّخصيات دلالةً، ومن أروع النّماذج تعبيرًا عن الظاهرة الكبرى التي تَغشى قصص نجيب الكيلاني، وعُنِي بتصويرها تصويرًا دقيقًا، وهي ظاهرة حبّ الحياة، والصّراع من أجلها، والحفاظ عليها، والضّن بها.

وتتّجه عناية نجيب الكيلاني، في مجموعاته القصصيّة، إلى الذهاب بعيدًا في فنّه، والتنويع في شخصيّاته، والإبداع في رسمها، والتفنن في إخراجها لتصوير طاقة حبّ الحياة، والتّشبث بها، والتي لا يَفتأ، في عموم قصصه، يَحوم حولها أو يُشير إليها ويُوحي بها. وغاية هذه العناية عنده، كما لا يَخفى، هو إمتاعُنا بتصويره، وإقناعنا بموقفه، وتقاسمنا لنظرته.

وتجسيدًا لهذه العناية وتحقيقًا لمقتضياتها فقد رسم شخصيّة نجيّة رسمًا مختلفًا: إنّها فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، فاقدة لنور البصَر، وتعاني مرضًا في صدرها يَنهشها. وثالثة الأثافيّ جوع قاتل تكابده،منذ ثلاثة أيّام، يوشك أنْ يُوديَ بحياتها.

فإذا أُضيف إلى هذا الثّالوث المدمِّر ما تَلقاه مِن أهل القرية، ومِن زوج أمّها، مِن إقصاء وتهميش واستهانة وازدراء تبيّن نوع المأساة التي تعيشها نجيّة، ومِقدار الآلام التي تحاصرها وتَغشاها.

إنّ شخصيّة نجيّة، كما رسمها الكيلاني، تعاني انقطاعًا مُزدوجًا عن العالم حسّيًّا ومعنويًّا في آنٍ

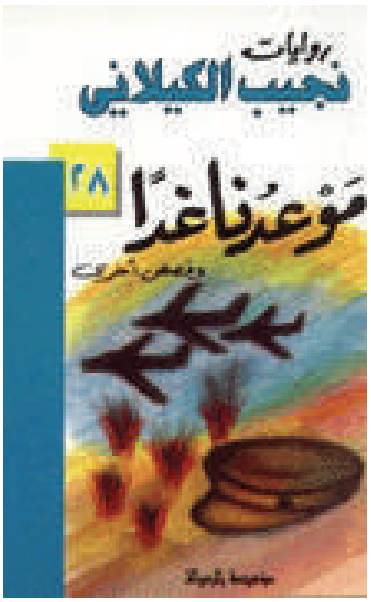

واحد: أحدهما سببه العَمَى الذي حَرمها نعمة الرّؤية والإبصار. والآخر هو انقطاعها عن العالم بسبب المرض الذي عَزلها عن النّاس والازدراء والإقصاء الذي يلحقها منهم.

وإذا كانت نجيّة تشعر، بسبب الجوع، بدَبيب الموت يتسلّل إليها، وتَستشعره في خَفقان قلبها وهبوط قُواها؛ فإنها لن تستسلم له، لأنّ حبّ الحياة الذي أُوتِيَته ويَسري في كيانها هو أكبر ممّا سُلِبَته مِن نِعَم، وهو أكبر من الجوع والمرض، وأقوى من وَجَع الإقصاء وألَم الاستهانة والازدراء.

وإنّ شيئًا قويًّا تستشعره، في أحشائها، أو صوتًا في أعماقها يناجيها، بل يُجاهرها ويناديها، ويُلحّ في المجَاهرة والمناداة، ويستحثّها «ويدفعها لأنْ تَتشبَّث بالحياة، وتتمسّك بأهدابها، وتقاوم معاول الهدم والفناء والمرض حتّى آخر لحظة... لأنْ تتحرّك وتحاول أنْ تعيش. إنه دافع فطريّ جبّار أقوى سلطانًا من أيّ شيء...».[١٣]

إنّ نجيّة جائعة جائعة.. ويجب عليها أنْ تُقاوم هذا الجوع. ويجب أنْ تأكل لتعيش لأنّ الحياة على أيّ صورة كانت هي «...شيء عزيز يجب أنْ يُحافَظ عليه، والتّفريط فيه جنون وبلاهة يجب ألا يتّصف بها إنسان مهما كانت ظروفه...».[١٤]

وهذه البطّة التي دخلت كوخها البائس المُظلم هي طعامها الذي يُطفئ نار جوعها، وهي فرصتها لإنقاذ حياتها، وهي وسيلتها للمحافظة على وجودها.

ومشهد مطاردة نجيّة للبطّة، وإفلاتها منها، ثمّ مطاردتها من جديد دون يأس أو مَلَل، والعَرَق المتصبِّب من الجبين، وفزع البطّة وزَعقها، وتَنصّتها لحركتها لتحديد جهتها ومكانها، وحركات اليَدَين الممتدَّتين بقوّة في ظلمة الكوخ علّهما تَظفران بشيء، والتّوتر الكبير والخوف والتّوجس واللُّهاث والخفقان والأنفاس المتلاحقة ونَوبات السّعال الذي لا ينقطع...

كلّ أولئك يجعلنا نتعاطف مع هذه الشّخصية الإنسانيّة التي تعاني حرمانًا متعدِّد الأَوجُه والأشكال، ولكنّها تظلّ صامدة تقاوم هذا الحرمان الذي يُحاصرها، وتتطاول على كلّ حرمان.

والذي يزيد هذا المشهد إثارة، ويملأ شعورنا به، ويشدّ انتباهنا إليه، ويستفزّ حواسّنا فيجعلنا نتابعه، ولا نشبع من تذوّقه وتمليِّه أنّ البطّة، هي كذلك، تقاوم الموت والفناء محاولةً بطريقتها الخاصّة الفوز بحياتها، وطلب السّلامة والنّجاة.

فهما إذنْ، عند التّحقيق، إرادتان اثنتان مختلفتان تخوضان صراعًا عنيفًا من أجل الحياة والتّشبث بها. وهما، كذلك، أسلوبان مختلفان لصَون الحياة، وتأمين البقاء وإثبات الوجود.

وإنّ نجيب الكيلاني حين يَنسب للبطّة إرادة، بأسلوب فنّيّ، أو يَعزو إليها مقاومة وامتناعًا فإنّما يَبغي إذكاء مشهد هذه المطاردة والصّراع، والبلوغ بهما مستوًى من الحِدّة أو«الشَّراسة» ليَصِل، مِن وراء ذلك كلّه، إلى رسم ناجح، وتصوير مُقنع جذّاب لطاقة حبّ الحياة، والتّشبث بها يَضمن لفنّه النّجاح والقَبول والتّواصل والامتداد.

إنّ نجيّة، في هذه القصّة، تعيش الظّلمات الثّلاث: ظلمة البصر، وظلمة الانقطاع عن العالم، وظلمة الكوخ الذي تَقبع فيه ولا تفارقه. ويُضاف إلى هذا الثّالوث المُطبِق الجوع القاتل، وهو الطّارئ الشّديد الذي يهدّد حياتها، ويوشك أنْ يُوديَ بها.

فمِن أين استمدّت نجيّة، في كُروب هذه الظّلمات الثّلاث، طاقة المقاومة والصّراع!؟

إنه حبّ الحياة، والحرص عليها، والتّعلق بأهدابها. وهو الحبّ الذي أُوتِيَته، وهو مغروس فيها، مختلط بأحشائها، ومَركوز في خلاياها.

وهذا الحبّ، كما توحي به قصص نجيب الكيلاني، هو أكبر الطّاقات التي أُوتِيَها هذا الكائن البشريّ لمحاصرة ضعفه، والانتصار على هشاشته، والتّكيف

مع أوضاع الحياة القاسية.

وهذا المعنى الكبير المُستفاد من قصص نجيب الكيلاني هو الذي يُلْهب معظم شخصيّاته القصصيّة، ويحرّكها ويَستحثّها ويدفعها دفعًا لتحقيق ذاتها، والمحافظة على وجودها.

وصَفوة القول: إنّ شخصيّات الكيلاني القصصيّة معظمَها شخصيّات تفيض حركة وتململاً واشتعالاً، وتتأبَّى على التّلاشي والذّوبان محاولةً أن تجد وسيلة لهدم الأسوار المضروبة على حرّيتها، وفكِّ الأوهاق التي تَحبسها، وكَسر الأغلال التي تأسرها، فتمنع انطلاقها، وتدفّقها باحثةً دائمًا عن مخرج مناسب، أو حل عاجل، أو سلوك نوعيّ، يضمن لها استقبال الحياة وممارستها.

وإنّ كلّ هذه الشّخصيات مع الاعتراف باختلاف مستوى حركتها في الحياة، واختلاف درجة الاشتعال الذي يُلهبها ويُعْجلها- كل هذه الشخصيات تستمد قوّتها من مخزون كبير بين جوانحها لا يَفنى ولا يَغيض، وهو حبّها الكبير للحياة، ورغبتها الشّديدة في ممارسة حقّها في الحياة.

وهذا الحبّ الكبير للحياة قد يكون طريقًا تبلغ به هذه الشّخصيات مستوًى سامقًا من الإنسانيّة والتّفوق كما قد يكون مَصْيدة أو مَتاهة تَستفرغ فيها قُواها، وتستهلك طاقاتها فتُهلكها.

ولكن بغضّ النظر عن مآل هذا الحبّ الكبير للحياة ونتيجته وعواقبه فإنّنا لا نشعر بالسأم، ولا يتسلّل إلينا الملل ونحن نُتابع هذه المشاهد، ونلتهم هذه الصّور التي تجعلنا إزاء نماذج إنسانيّة تمتلئ بها الحياة، وكثيرًا ما نصادفها في يوميّاتنا.

إنّ نجيب الكيلاني حين يتناول هذه الشّخصيات المختلفات مُبرزًا شعورها الكبير بالحياة فإنه لا يحاول، أثناء عرضه للنّماذج والمشاهد والصّور، أنْ يُصدر حكمًا، أو يَعيب موقفًا، أو يُسفِّه رأيًا.

إنّ الكيلاني لا يصنع شيئًا من ذلك أو نصفَه أو ثُلثَه لأنه معنيّ، في المقام الأوّل، بأمر آخرَ ذي أهمّية وبال، وهو تصوير حبِّ الحياة الذي يفجّر طاقات شخصيّاته، وإطلاعنا على رغبتها الملحّة في ممارسة هذه الحياة والتّملؤ منها على طريقتها الخاصّة.

وحين يصل بنا نجيب الكيلاني نهاية قصصه يكون قد تجمّع في شعورنا أمران اثنان: أحدهما هو محلّ إجماع، وهو حبّ للحياة كبير يسكن أعماق شخصيّاته، ويُلهبها ويَستحثّها، ويصنع سلوكها ويَبني مواقفها. أمّا الأمر الثّاني، وهو محلّ تباين واختلاف، وهو طبيعة الحكم الذي يمكننا إصداره في حقّ هذه الشّخصيات المختلفة، وفي عواقب حبّها الكبير للحياة ونتائج سعيها.

وإنّنا حين نقارن شخصيّات نجيب الكيلاني القصصيّة التي تفيض حبًّا للحياة وحركة واشتعالاً فتحقّق أقدارها المختلفة بطرق وأساليب مختلفة- حين نقارن هذه الشّخصيات الإيجابيّة الجذّابة ذات الفاعليّة والتّأثير بشخصيّات سارتر في رواية (الغثيان) [١٥] يذهلنا الفرق العظيم بين تصوّرَين للحياة متناقضين.

فأمّا التصوّر الأوّل فهو الذي يَصدر عنه نجيب الكيلاني، وهو تصوّر يؤمن بأنّ الحياة هي هِبة الله الكبرى، وهي نعمته المثلى، ويرى أنها جديرة باهتمامنا وسَعينا، وجديرة بأنْ نُعاش لتحقّق الشّخصيات الإنسانيّة المختلفة أقدارها فيها، وتدرك مصائرها.

أمّا التصوّر الآخر فهو تصوّر الوجوديّة التي لا تتجاوز معاني الحياة، عندها، معاني اليأس والحبس والعبث والاختناق. وقد

عـبّر سـارتـر عـن مجـمـوع هـذه المعـاني بمصطلح الغثيان الـذي اختـاره عـنـوانًـا لأولى روايـاتـه، وتَعني خلاصته عنده، كما يبدو، الشّـعـور بالعبث، وبـلا معقوليّة الحياة والوجود الإنسانيّ.

والغثيان هو الشّعور بالقيء، ولكنّ له معانيَ أُخَر لصيقة بمعناه الأوّل أو تابعة لـه، وهـي الضِّيق والاشـمـئـزاز والـنّـفـور. وسـارتـر باختياره لـهـذا الـعـنـوان لم يَكُن بعيدًا عن مجموع هذه المعاني.

وتوضيح هذا الأمر أنّ الغثيان إذا كان هو الشّعور الحادّ بالقيء الذي يقود صاحبه إلى الاستفراغ، وإبعاد الأجسام الغريبة، وطرح المـوادّ الـضّـارة عـن الجسـم، وتخليصه منها لإراحته وشفائه فإنّ روكنتان Roquentin، وهو بطل روايـة (الـغـثـيـان)، الـذي يَمقت وجوده، ويراه فارغًا من أيِّ معنًى يسلك السّلوك نفسه فيلجأ إلى الـنَّـأي والابـتـعـاد عـن هـذا العالم الذي يكرهه، ولا يَقبله، بل يَمقته محاولاً الانقطاع عنه فكريًّا وروحيًّا وجسديًّا.

ويعبّر روكنتان Roquentin عن انقطاعه عن العالم بقوله: «أنا أعيش وحيدًا تمامًا. لا أكلّم أحـدًا أبـدًا. لا آخـذ شيئًا، ولا أعطي شيئًا».[١٦]

وتـــزداد آلامـــه حـين يَـقـوى شعوره بأنه بدون أبعاد، مُنقطع عن ماضيه الذي لا يمكنه اللِّحاق بـه، منبوذ ومهمل في الحاضر، ومحـــدود بـجـسـده وبـالأفـكـار السّطحية التي تنبعث منه مثل الفقاقيع.[١٧]

ويُسلمه هـذا الشّعور المخيف إلى وَعي جديد خلاصتُه اكتشاف تفاهة وجوده، أو أنّ وجوده هو عِبء ثقيل: «لم يَكُن لي حقّ الوجود. لقد ظهرت بالصّدفة. أنا موجود مثل حجر أونبات أوميكروب».[١٨]

سارتر

ويصوّر روكنتان Roquentin وهو أحد أبطال سارتر الوجوديّين المتمتّعين بالثّقافة والوَعي شعوره بالغثيان بقوله: «لم يكن الغثيان بداخلي. إنني أحسّه هناك على الجدار، وعلى حِمالات السِّروال، وفي كلّ مكان مِن حولي. إنه يشكّل شيئًا واحدًا مع القهوة. أنا من كان بداخله».[١٩]

وحـين يشـتـدّ الأمـــر ويـذوب هـذا الغثيان في صاحبه فيصبح حالته الطّبيعية، أو حين يذوب الإنسان الوجوديّ في هذا الغثيان فتَغيب المسافات، وتختفي المعالم والحـدود بين الـذّات والموضـوع، وتتـلاشـى الأبـعـاد والأمـــارات- حينئذ يصبح الإنسانُ الوجوديّ هـو المـرض نفسه: «لم يفارقني الغثيان، ولا أعتقد أنه سيفارقني قريبًا. ولكنّي لم أَعُـد أُكـابـده أو أُعانيه. إنه ليس مرضًا ولا أزمة عابرة. إنه أنا».[٢٠]

وإذا كانت شخصيّات نجيب الكيلاني القصصيّة بسبب ما يَسكبه في روحها حبُّها الكبير للحياة، وبإيعاز من طاقة الحركة والاشـتـعـال الـذي يُلهبها قـادرةً على التّمرد على واقعها الصَّعب، وتجـاوز أسـواره محـاولـة إلـغـاءه،

أو التّأثير فيه وتغييره بأسلوبها الخاصّ، أو على الأقلّ محاولةً التّكيف مع مقتضياته لإثبات ذاتها والمحافظة على وجودها...

إذا كان هذا هو حال شخصيّات الكيلاني القصصيّة فإنّ الشّخصيات الوجوديّة المعطوبة نفسيًّا، والتي يسكنها اليأس والغثيان، ويحاصرها العجز من كلّ مكان لا تملك إرادة السّلوك النّوعيّ البديل الذي يؤهّلها لتدمير واقعها الكئيب، أو تغييره، أو محاولة مجاراته والتّكيف معه.(٢١)

وهذا هو الفرق الكائن بين نجيب الكيلاني وبين سارتر. وهو فرق كبير، بل أكبر؛ ليس بين شخصيّتين تنتميان إلى أدَبين مختلفين، وإنما هو فرق بين تصوّرَين مختلفَين للإنسان والحياة وغاية الوجود الإنسانيّ، وهو بَون شاسع بين موقفَين من الكون والعالم متناقضَين■

الهوامش:

(١) قصّة (موعدنا غدًا) في المجموعة القصصية (موعدنا غدًا) ص ١٠٢.
(٢) قصّة (قلوب تائهة) في المجموعة القصصية (العالم الضّيق) ص ٢٣.
(٣) المصدر السّابق، ص ٢٣.
(٤) المصدر السّابق، ص ٢٥.
(٥) المصدر السّابق، ص ٢٦.
(٦) المصدر السّابق، ص ٣٠.
(٧) قصّة (قلوب تائهة) في المجموعة القصصية (العالم الضّيق) ص ٣٦.
(٨) انظر المصدر السّابق، ص ٣٩.
(٩) انظر المصدر السّابق، ص ٤٠.
(١٠) انظر المصدر السّابق، ص ٤٤.
(١١) المصدر السّابق، ص ٤٤.
(١٢) قصّة (رجل لا يقهر) في المجموعة القصصية (عند الرّحيل) ص ٦٣.
(١٣) قصّة (بطّة) في المجموعة القصصية (العالم الضّيق) ص ١٢٦.
(١٤) المصدر السّابق، ص ١٢٦.
(١٥) صدرت رواية (الغثيان) سنة ١٩٣٨م.
(١٦) انظر:
La nausée p Sartre – 19
(١٧) انظر المصدر السّابق، ص ٥٤.
(١٨) انظر المصدر السّابق، ص١٢٢.
(١٩) انظر المصدر السّابق ص ٣٦
(٢٠) انظر المصدر السّابق ص١٧٨.
(٢١) انظر تحليلاً لبعض الشّخصيّات الوجوديّة عند أحلام صفور- الوجودية في روايات محمد زفزاف ص ١٢٠، وما بعدها.

استغاثة

عبد الرحيم الماسخ- مصر

إلى بابِك يا ربِّي ... فقدتُ معالمَ الدرب
أسيرُ، أحطُّ، والدنيا ... تحطُّ رحالها جنبي
فأتركُها فتتبعُني ... بلا كُرْهٍ ولا حُبِّ
لها الأيامُ نابعةٌ ... من الأيام كالسُّحب
تدورُ وأينما ذهبتْ ... تضمُّ الطيرَ للسرب
فمَن ماتوا كمن وُلِدوا ... من الأطرافِ للقلب
إلى دوّامةٍ نفذتْ ... لعينِ الموقفِ الصعب
إذ الميزانُ منصوبٌ ... وكلُّ الناس في كرب
وقد وُضِعَ الكتابُ ... فما يُغادرُ رِعْشةَ الهُدْب
وصاحتْ بالجميعِ جهنّمٌ ... ومضتْ إلى الحرب
على يدِها الصراطُ ... فكيف يعبرُ حاملُ الذنب؟
إلى جنّاتِ عدنٍ حيثُ ... دارُ الأمنِ والحُبِّ
فقدتُ معالمَ الدرب ... فخذْ بيديّ يا ربي
وأنقذني من الأهوال، ... غِثْ عبدَكَ بالقرب
ليتركَ وحشةَ الدنيا ... سعيداً آمنَ الجنب

يارب

محمود مفلح- فلسطين

يـا رب إني مـن طـين ومـن مـاءِ ... فاغفر إلهي يا ذا المنّ أخطائي
يـا رب إن ذنـوبـي جـد مرهقة ... كأنها النـار قـد شبت بأحشائي
حتى غـدوت فـلا عنـف يعنفني ... ولا يـخـوّفـنـي نـشـر لأنـبـائـي
يا رب قلبي قد عـاث الظلام به ... وفي خـلايـاه فـحـت ألـف رقطاء
تلك المليحة ليست من حلمت بها ... تلك المليحة كانت محض شمطاء
مشيت في الطين حتى ضاق عن قدمي ... ودرت حول الغواني حدّ إغمائي
تسوقني لـكـؤوس الـذل طائفة ... من الشياطين قد جدت بإغوائي
هـذا يُـزّيـن لي مـا كـنـت آنـفـه ... وذاك يخضب لي شيبي بحناء
وذا يلف علـى جـيـدي مـكـائـده ... يسوقني مغمض العينين كالشاء
وهـذه لم تـزل تـلـقـي بفتنتها ... عـلـى طـريـقـي في دل وإغـراء
كـأنـنـي ريـشـة يـلـهـو بـهـا قـدر ... من صنع نفسي ومن تزيين أهوائي
إذا مشيت فـإن الـهـم يثقلني ... وإن صرخت فما لي غير أصدائي
وحينما عثرت في خبطها قدمي ... لم أل ـق غـير سـراب لـلأخّـلاء
أبصرت في لجة الإعصار مئذنة ... فـمـا اكـترثـت ولا يممت مينائي
وكـم سمعت مـن الآيـات محكمة ... كـأنـهـا سحب مـرت بصحرائي
فـلا الـقـوارع فيها قـرّعـت أذني ... ولا البشائر حلت في سويدائي
أجول في (قنوات) العهر منتشياً ... مهتكاً يستجير الـداء مـن دائي
فكيف أنـقـذ يـا مـولاي خاتمتي ... ولم أعُـدّ سوى لغوي وإنشائي!؟
وكيف أدفـع عـن نفسي مغبتها ... وكيف أغسل عن عينيّ أقذائي!؟
وكيف أخلع ثوب العار عن جسدي ... وأستقيم على مـا كـان آبـائـي!؟
فهل خلقنا لهذا الطيش يا ولدي ... أما وراء سراب العمر من ماء!؟
فكيف ترضى بـأن تحيا بلا قيم ... وكيف تقبل عيشاً في الأذلاء!؟

ظلال التراث في كتابة المسرح الإسلامي

قراءة في مسرحيات من مجلة الأدب الإسلامي

دأبت مجلة الأدب الإسلامي على تخصيص حيز من مجالها الورقي لنشر بعض المسرحيات إلى جانب ما تنشره من إبداعات أدبية إسلامية. ولا شك أن هذه المسرحيات ثمرات طيبة تضاف إلى محصول الأدب الإسلامي الحديث الذي بدأ يتنامى يوما بعد يوم، إلا أن حظ الإبداع المسرحي المنشور بالمجلة يبدو قليلا إذا ما قورن بالإبداعات الأخرى في مجال الشعر والقصة... زيادة على قلة الدراسات النقدية التي تتناول المسرح تنظيرا أو تطبيقا.

إن هذه التجارب المسرحية الإسلامية في حاجة إلى وقفات نقدية تشد من أزرها، وتعرف بها، وتلفت نظر القراء والمهتمين إليها، وتسهم في تقويمها بما يخدم مسيرة الأدب الإسلامي التي قطعت أشواطا كبرى في تخصصات أدبية أخرى، وضمن هذا الإطار تأتي هذه الدراسة المتواضعة.

الطيب رحماني- المغرب

إن أبرز ما يستوقف قارئ مسرحيات مجلة «الأدب الإسلامي» هو ارتباطها الوثيق بالتراث والتاريخ الإسلاميين، وهذا ما يتضح جليا في عناوين ومضامين وشخصيات سبع مسرحيات منشورة بالأعداد الأخيرة للمجلة، وهي:

- «الصحيفة والحصار» لإبراهيم حمادة[١]
- «غلام في اليرموك» لوليد قصاب[٢]
- «الراعي الأمين» لنوال مهني[٣]
- «جعفر بن أبي طالب» محمد رفعت زنجير[٤]
- «عمر وحقوق الأطفال» لغازي مختار طليمات[٥]
- «جحا والسلطان» لنوال مهني[٦]
- «صنائع المعروف» لمحمود محمد كحيلة[٧]

وحتى لا نبخس هذه التجارب حقها نقول منذ البدء: إنها تجارب ناجحة، ولو لم يكن من مكاسبها إلا سد جزء من الفراغ الذي يشهده الأدب الإسلامي في هذا الجانب لكفى!، وهي زيادة على ذلك محاولات لفتح طريق جديد وسط الهرج والمرج السائد الذي باتت تثيره الكلمة الرخيصة المأجورة التي هيمنت

على مختلف وسائل النشر والإعلام بالعالم العربي.

ومن حق المبدعين الإسلاميين تجريب اجتهاداتهم لترسيخ أسس فنية للمسرح الإسلامي بعيدا عن التقيد الصارم بالقواعد والأطر المتعارف عليها في الشرق والغرب، وإنما الإفادة منها في حدود المصلحة، كل ذلك انطلاقا من التصور الإسلامي وما يحمله من قيم نبيلة، وأصول فنية صالحة للاستثمار.

ومما لا شك فيه أن الأدب الإسلامي مدعو إلى النهل من مائدة التراث الإسلامي الغني بمظاهر التجارب الإنسانية الراقية التي يصلح استلهامها على مر الزمان، والقيم الإنسانية النبيلة الفاضلة التي يكتنزها ذلك التراث، واستثمار ذلك كله في بناء شخصية الإنسان المسلم القوي الفاعل. والأدب إذا قام بذلك يسهم لا محالة في إحياء نفوس قرائه، وتقوية هممهم وعزائمهم لتنهض من جديد إلى العمل كما صنع الأولون.

إن التراث الإسلامي جزء مهم من هوية الإنسان المسلم عموما فضلا عن أن يكون أديبا، وهو إذ يعمل على إحيائه يحفظ هويته، ويقوي من فرص وجودها واستمرارها قوية متماسكة، وذلك شأن كل شعوب الدنيا، والشعب الذي لا يهتم بماضيه وتاريخه سرعان ما يدبُّ إليه الانقطاع والتشتت والضياع.

وفي مقابل ذلك؛ فإن الإغراق في تناول التراث وترديده وتمجيده وجعله المصدر شبه الوحيد لموضوعات الإبداع المسرحي يثير العديد من التساؤلات حول قضايا المسرح الإسلامي الملحة التي ما زالت في حاجة إلى نقاش جاد ومسؤول بين النقاد والدارسين والأدباء الإسلاميين، بهدف تقديم إجابات واضحة تسلط الضوء على الدروب المعتمة في هذا السبيل. ومن تلك التساؤلات:

ما علاقة المسرح الإسلامي بالتراث الإسلامي؟ هل يحقق المسرح إسلامية بمجرد ترديد التراث الإسلامي وشخصياته وأحداثه؟ ما حظ التجارب الإنسانية الأخرى من هذا المسرح؟ وما نصيب القضايا والموضوعات المعاصرة منه؟ كيف يوفق الكاتب بين المضمون التاريخي الإسلامي والأبعاد الجمالية لفن المسرح؟ ألا يؤدي الإغراق في تناول الموضوعات التاريخية إلى ضمور الوظيفة الترفيهية لهذا الفن؟ وما محل الكوميديا من المسرح الإسلامي؟...

مسرحية

غلام في اليرموك

شخصيات المسرحية :

١- غلام من الأزد ٢- أبو عبيدة بن الجراح ٣- فارس من الأزد

المشهد الأول

يكشف الستار عن الغلام ابي عبيدة بن الجراح وهو رجل في الأربعين في خيمته بملابس الحرب يوم اليرموك. يدخل عليه غلام لا يزيد سنه على ثلاث عشرة سنة بملابس العرسان. تسمع من الخارج صحة تعرفه وجبه الجند.

- الغلام: السلام على أمير الجند أبي عبيدة بن الجراح ورحمة الله وبركاته.

أبو عبيدة: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. من أنت يا فتى؟

الغلام: أنا واحد من الأزد يا أمير الجند.. ولي عندك ما جئت لأسألك بما حفظتك

إن كون المسرحيات السابقة الذكر كلها تلتقي في اتخاذ التراث موضوعا لها أو منطلقا لانتقاء شخصياتها وأحداثها أمر يدعو إلى إعادة النظر في توجه المسرح الإسلامي وقضاياه، ذلك أن إسلامية هذا المسرح لا يشترط فيها مطلقا توظيف الأحداث أو القصص والشخصيات الإسلامية، كما أنها قد لا تتحقق مع ذلك التوظيف نفسه. إن الإسلامية هي الروح[٨] النابعة من الإسلام، والتي ينبغي أن تسري في النص الأدبي دون ما حاجة من الكاتب إلى التدليل عليه لفظيا، وإنما يتحقق له ذلك حينما يتشرب تلك الروح من معينها الصافي:

كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينطلق بعد ذلك لمعالجة مختلف المواضيع برؤية إسلامية واضحة.

وبناء على ما سبق، يمكن أن نجد بين المسرحيات الإسلامية نصوصا تتناول مواضيع وقصصا وأحداثا معاصرة واقعية أو متخيلة وتفتح المجال لتوسيع دائرة المسرح الإسلامي ليشمل أنواعا أخرى غير ما يسمى بالمسرح التاريخي، مثل المسرح الاجتماعي الذي يمكن أن يُستثمر في معالجة هموم المجتمعات الإسلامية في هذا العصر، والمسرح السياسي الذي يمكن أن يمارِس نقدا خفيا للنظم السياسية السائدة في عالم اليوم...

وهنا لابد من لفت النظر إلى الفارق بين صنفين من الكتّاب: صنف أول يجتهد في إبداع متن حكائي اعتمادا على مخيلته، ويحاول أن يضفي عليه لمسة الواقعية، ويعمل على توظيفه برؤية نقدية تخدم الرسالة التي يحملها ويدافع عنها، إنه - في أثناء عمله ذاك يقوم بجهد مضاعف، بينما يعمد صنف ثان إلى أحداث ووقائع تاريخية موثقة، ويعمل على تمثلها واسترجاعها. ويبقى نجاح هذا الصنف رهينا بقدرته على التوفيق بين المعطى التاريخي وبين البعد الفني المسرحي، وقدرته على إضفاء طابع التجديد على الأحداث والشخوص التي يوظفها بحيث يجعل المتلقي مقتنعا بما تحمله المسرحية من قيم فكرية، وأطر فنية.

إن الآثار الجانبية التي يمكن أن تصحب هذه العملية لا تخطئها العين، إذ كثيرا ما ينطلي التاريخي على الأدبي ويقلل من قيمته الفنية، وقد يصل ذلك بالقارئ إلى حد التساؤل عن جدوى قراءة بعض الأعمال الأدبية ذات الصبغة التاريخية أو التراثية، لأن المضامين التي تختزنها، والوقائع التي تسردها موجودة في المصادر التاريخية المتخصصة وبقدر أكثر تفصيلا ووضوحا.

إن بعضا من المسرحيات الإسلامية السابقة مع أنها كلها محاولات ناجحة كما ذكرنا يحمل شيئا من الآثار السلبية لتوظيف التراث، ومن ذلك مسرحية «الصحيفة والحصار» التي غلب عليها جلال الموقف، وهيبة مشاهد السيرة النبوية الشريفة، فراحت تنقل الوقائع بأسلوب غلبت عليه التقريرية والمباشرة، جعلت النص المسرحي مقتطفا من كتاب في السيرة، صيغ في قالب مسرحي قوامه الأساس هو الحوار بين الشخصيات، فلا تلوين في الصور، ولا تصاعد في وتيرة الأحداث بما يحقق درامية النص المسرحي.. وهذا ما نلاحظه في نصوص أخرى مثل مسرحيتي «جعفر بن أبي طالب» و«صنائع المعروف».. وهنا نتساءل عن مكامن اللمسات الفنية في هذه الأعمال، وماذا أضافت إلى المادة التاريخية التي وظفتها لكي تتحول إلى مسرح؟ وهل بالفعل جعلت شخصياتها ومواقفها قابلة للتجسيد على خشبة المسرح؟.

إن على المسرح الإسلامي أن يعمل على تحقيق الوفاق بين الرسالية والفنية، وتلبية رغبات جمهوره، وحقه في الترويح عن النفوس، وإشباع المساحات

الشعورية والفكرية لديه، في حدود ما يسمح به الشرع الحنيف، وأن يتخفف من الجدية والصرامة المطلقة، والتقيد التام بتفاصيل الوقائع التاريخية، لأنه بذلك إنما يستنسخ موجودا، ويضيع مجهودا، ويتخلف عن أداء الوظائف المنوطة به باعتباره إبداعا فنيا، وليس تدوينا تاريخيا.

وهنا لابد أن نثمن ملامح الجمال الفني التي تجلت في مسرحيات أخرى رغم توظيفها لمعطيات تراثية كما هو حال مسرحية «عمر وحقوق الأطفال»، فقد استطاع كاتبها بفضل موهبته الشعرية أن يصوغ حوارها في قوالب شعرية موحية، وأن يصور صفات شخصياتها الظاهرة والباطنة بشكل غير مباشر، ومن ذلك أنه رمز إلى عمر بن الخطاب بـ«الطويل» في المشهد الأول، وزوجته أم كلثوم بـ«الشابة» في المشهد الثاني.

وحاول تصوير ما عُرف به عمر من تقدير للمسؤولية وحقوق الرعية، وجعْلِه مثالا حيا من خلال مقاطع حوارية شعرية، مثل:

«عُمر المَسْؤول
من بيْنِ جميع المُعرِضين
عن أنينِ الخلْق
عن بُؤسِ البَائسين
عُمر المسْؤولُ
فليذْرِف دمُوع الخائفين»[٩]

أما مسرحية «جحا والسلطان» فمحاولة ناجحة، واستثناء يصب في خانة المسرح الكوميدي الذي يقدم نقدا ساخرا للواقع من منطلق استلهام شخصيات تراثية، ذلك أن شخصية السلطان في المسرحية لا تعلم أخبار الرعية إلا من خلال الوسطاء والوجهاء المحيطين بها، والذين لا يخبرونها إلا بالجميل، والثناء الحسن يتردد صداه في أرجاء الإقليم الذي تحكمه، وهي شخصية لا تدع فرصة تلمع صورتها إلا بادرت إلى انتهازها، وإغداق المال والعطاء على من يستحق ومن لا يستحق بشرط أن تحقق رغبتها.. بينما يمثل «جحا» شخصية طريفة تستطيع أن تدخل قصر السلطان، وأن تنال من عطائه رغم أنها تضمر له السوء، مستغلة في ذلك ذكاءها، متدثرة بانتهازيتها هي الأخرى، إلا أن البخل وحب الشهرة، لا يدعان لها فرصة الانتفاع بذلك المال، فتفقده كما تفقد رفقتها.

مسرحية

جحا والسلطان

(مسرحية نثرية من فصل واحد)

لقد استطاعت الكاتبة من خلال هذه المسرحية ذات الوشائج التراثية أن تقوم بنقد صريح للواقع السياسي والاجتماعي من خلال رموز تاريخية، وأن تعالج قضايا راهنة ملحة مثل: الاستبداد، وحب الظهور، والترف، والانتهازية، والبخل...إلخ، وكل ذلك بطريقة ساخرة ترفيهية.

إن المسرح الإسلامي ما زال بحاجة إلى عدة شروط تحقق نقلته النوعية التي تمكنه من أداء وظائفه المنوطة به ومن ذلك:

- تراكم إبداعي يوازي ما حققته فنون أدبية أخرى مثل القصة والشعر.. وغيرهما.
- اجتهادات نقدية تقدم للمبدعين الشباب إطاراً

نظرياً يشكل أرضية صلبة صالحة لبناء المسرح الإسلامي شكلا ومضمونا، وذلك بالنهل من مدخرات الأمة أولا، والإفادة مما في أيدي الأمة ثانيا.

- مواكبة من النقاد والدارسين الإسلاميين لكل الإبداعات المسرحية بالنقد التطبيقي بهدف التعريف بها، وإظهار قيمتها الفكرية والفنية أولا، وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وتقويم اعوجاجها ثانيا.
- توسيع مجال النشر ليشمل

مؤلفات مسرحية كاملة، ومنابر إعلامية أخرى من مجلات وصحف مواقع إلكترونية.

هذا؛ ولا يعيش المسرح استثناء وسط الظروف الصعبة التي يعيشها الأدب في عالمنا العربي والإسلامي، في ظل تراجع معدلات القراءة، وضعف نسبة القراء، بل قد يكون أكثر تضررا بفعل خصوصياته الشكلية، وارتباطه الوثيق بالتمثيل، ولذا ينتظر من الإنتاج المسرحي الإسلامي أن يطرق أبواب المسارح، وأن يجد له مجالا فيها ■

الهوامش:

(١) الأدب الإسلامي، ع ٧١، ص٨٨.
(٢) الأدب الإسلامي، ع ٧٦، ص٨٠.
(٣) الأدب الإسلامي، ع ٧٧، ص٧٨.
(٤) الأدب الإسلامي، ع ٧٨، ص٨٨.
(٥) الأدب الإسلامي، ع ٨٠، ص٨٢.
(٦) الأدب الإسلامي، ع ٨١، ص٨٢.
(٧) الأدب الإسلامي، ع ٨٢، ص٨٠.
(٨) كما سماها نجيب الكيلاني في كتاب «نحو مسرح إسلامي»، دار بن حزم، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م، ص٥٢.
(٩) عمر وحقوق الأطفال، الأدب الإسلامي، ع ٨٠، ص ٨٢.

الأرحام

محيي الدين عطية - مصر

بشراك يا زارعنا في القلب بستانا ... يا ناثر الود أزهاراً وريحانا
اخترت هدي رسول الله منطلقاً ... تشدو بوصل عرى الأرحام ألحانا
هذا قريب رماه الدهر في موج ... من البلايا أحال الفرح أشجانا
لا يسأل الناس عوناً إذ تعففه ... نعم الرداء وإن يلقاك عريانا
لما علمت به أسرعت في شغف ... تسخو إلى أن رأى للبحر شطآنا
وذا مريض عناء السقم أقعده ... حتى انزوى يصطلي بالعجز نيرانا
لما رأى منك وداً في عيادته ... روى بعطفك قلباً كان ظمآنا
والعاطل المكتوي من سوء طالعه ... إن دق بابك لم تتركه حيرانا
تغدو حثيثاً لعل الله يكرمه ... بباب رزق فيلقى الأهل أعوانا
والقوم إن عبث الشيطان بينهمُ ... تسعى لإصلاح صدع شق جيرانا
خضَّرت صحراء جفت من حضارتنا ... أيقظت طيراً جميلاً كان وسنانا
بشراك وعد بجنات مهيأة ... للواصلين من الرحمن عرفانا

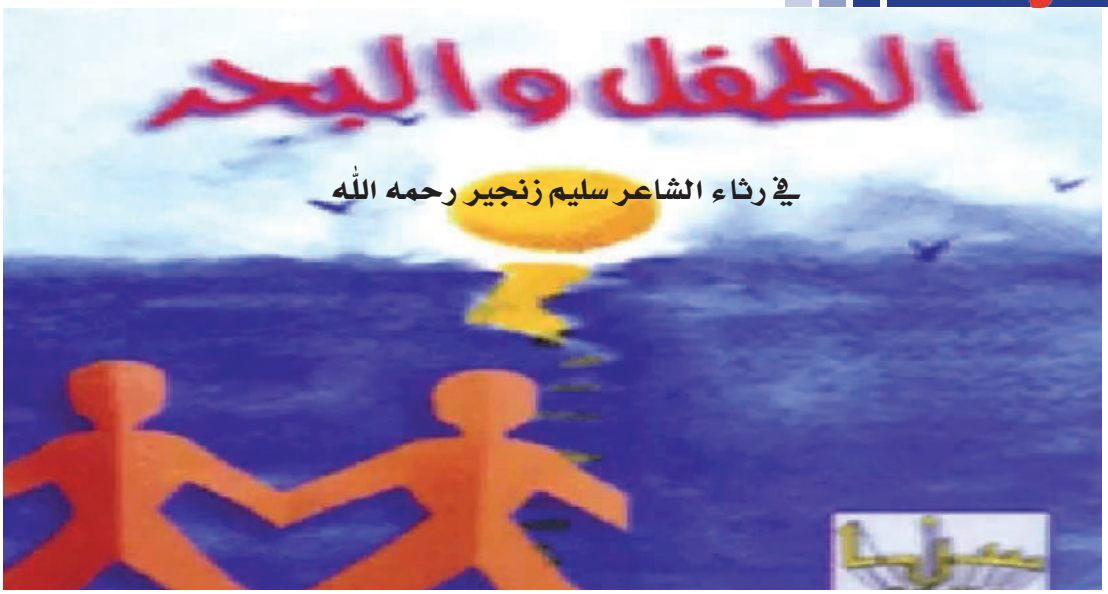

د.أحمد البراء الأميري - سورية

أيُّها البحرُ[1]، أينَ عمِّي سَليمُ[2]؟ ... في فُـؤادي إلَـيـه شَـوقٌ قَـديمُ
مـرَّ عـامٌ أو بعضُ عـام عَليه ... وهـوَ في البيت مُدنفٌ وسَقيمُ
أنشَبَ الـداءُ مخلباً فيه حتَّى ... يَئسَ الطبُّ والطبيبُ العليمُ
ثمَّ قالوا.. يا لَيتهمْ لَم يقُولوا ... خَانني السمعُ.. فالحَديثُ أَليمُ!
صمتَ البحرُ لحظةً دونَ عيٍّ ... فهوَ بالناسِ عالمٌ وحكيمُ
وبصَوت تنفَّسَ الدهرُ فيه ... قال قولاً قد شابَهُ التسليمُ:
أيها الطفلُ، يا غراسَ سَليم ... لَن يُرى بَيننا الغَداةَ سَليمُ
رحلَت روحهُ معَ الفجرِ تَسعى ... لجَدَا الله، وهوَ ربٌّ كريمُ
ولقُربِ البيتِ العَتيقِ اصطفاهُ ... بقُلوب العباد بَرٌّ رحيمُ
فكُن المَأملَ الذي قَد رجاهُ ... ليَسُودَ الشَّآمَ حقٌّ قويمُ
وكُن الصيحةَ الغضوبَ على الظُّلْ ... م فيُمحَى الباغي، ويَفنى الغَشومُ
أيها الراحل الحبيب سلاماً ... من فؤادٍ على الحنين يقيمُ
كنت أرجو بأن تقول رثائي[3] ... فإذاني بعد الفراق يتيمُ

(١) من روائع الفقيد الراحل نشيد الطفل والبحر، ومطلعه:

أمام البحر قد وقفا ... صبي يجمع الصدفا
وحين الموج بلله ... أحس البرد فارتجفا

(٢) توفي الشاعر سليم زنجير بتاريخ ٤٣٤١/٧/٣٢هـ، الموافق ٦/٤/ ٣١٠٢م، بالرياض، ودفن بمكة المكرمة. رحمه الله.

(٣) الشطر مضمَّن من شعر أحمد شوقي في رثائه الشاعر حافظ إبراهيم.

الحق والجهاد والشهادة في ديوان أغنيات لعشاق الوطن لمحمد التهامي

يتألف هذا الديوان[1] من خمس وثلاثين قصيدة، ليست متتابعة تاريخيا، لأن الشاعر محمد التهامي كان يتابع في هذا الديوان أحداث مصر ومتغيراتها منذ نضال أحمد عرابي سنة ١٨٨٢م حتى نهاية حكم الرئيس السادات.

ويمكن تقسيم ديوانه إلى قسمين: القسم الأول: من ص٥ – ١٠٥، والقسم الثاني من ص١٠٦ -١٨٦، في القسم الأول يشيد بمصر وشهدائها، ويكثر في هذا القسم حديثه عن مقاومة المستعمر وتجلي بطولات المصريين: يقول في قصيدته «بطولة»:

د.سعد أبو الرضا- مصر

يا مصر قد سهرت عليك أسود
أرواحهم حصن لديك عتيد
من كل مغوار إذا حمي الوغى
يلقى الممات المر وهو سعيد
صانوا مواقعهم وماتوا فوقها
والمعتدون المجرمون شهود[2]

وتكشف مفردات «حصن، وعتيد، وشهود»، ومثلها من المفردات عن توثق اتصال أسلوب التهامي في شعره بالقرآن الكريم، واقتراضه منه، وذلك ملمح أسلوبي متميز رؤية وأداة. وفي قصيدته الثورة يقول:

مدوا يديكم تلمسوا الأحلاما
صدقت فكانت ثورة وسلاما
فكأنما جبريل قاد زمامها
وكأنها قد ألهمت إلهاما
وكأنما الملأ الملائك حولها
يدعون ربك سجدا وقياما
وكأنما كف النبي أمامها
طول الطريق تحطم الأصناما[3]

ولعلنا نلمح هنا تجلي ملامح التراث الإسلامي وبراعة التهامي في توظيفه وهو يستحضر في قلبه جبريل، والملائكة، والنبي صلى الله عليه وسلم في قيادة المعارك وتحقيق النصر لها.

وهي أحداث تتابع حسب مناسباتها، ولدى مواجهة الشاعر لها، وانفعاله بها، مثلا خلال الاحتفال بإحدى ذكرياتها كقصيدته «وفاء النيل»[4]، أو متابعة وقوعها كالعدوان الثلاثي على مصر، وقد تجلت بطولة بورسعيد التي خصها

بثلاث قصائد[٥]، ويوم العبور[٦] وغيرها.

ويلاحظ أن قصائده في وصف المعارك ضد الأعداء قد تطول مثل «ذكرى العبور» التي تجاوزت الأربعين بيتا، وقصيدة كفر الدوار[٧] التي تجاوزت مئة بيت، وفيها قدم للمعركة بوصف بعض ذكرياته، ثم أخذ يتحدث عن عرابي وقيادته للشباب ومواجهته للقصر والاستعمار.

لكن حديث شاعرنا في قصائد أخرى عن الشخصيات قد جاء مرتبا ترتيبا تاريخيا تقريبا فيما بينها، وهو ما يتمثل من (ص١٠٦) إلى آخر الديوان (ص١٨٦) وهو القسم الثاني، وقد تحدث فيه عن أحمد عرابي، ومحمد فريد، والبطل أحمد عبد العزيز، والبارودي، وشوقي، وعزيز أباظة، وطه حسين، والعقاد، وصلاح عبد الصبور، وجمال عبد الناصر، ثم أنور السادات، وهي شخصيات متباينة المكانة والمكان.

وتكشف طبيعة موضوعات قصائده عن اتساع أفق الشاعر محمد التهامي، واتصاله الوثيق بالحياة في مختلف مجالاتها وقضاياها المادية والمعنوية، ولا ننسى أنه كان مديرا لتحرير جريدة الجمهورية، ومديرا للإعلام، ومستشارا بالجامعة العربية، ورئيسا بمكتب الجامعة بمدريد، وهي مجالات متعددة تتطلب من صاحبها اتساع الأفق ورصد الأحداث داخليا وخارجيا ومتابعتها.

وهو غالبا ما يلتزم الشكل المحافظ في الإيقاع؛ بحور الخليل والتصريع، وقد كان هذا ديدنه في كل دواوينه، وهو توجه يعتز به الشاعر محمد التهامي، ويكشف عن أصالته، وقد اختلفنا معه في ذلك،لكنه لم يتزحزح عن موقفه هذا.

وهو من هؤلاء الشعراء المطبوعين الذين استطاعوا أن يوظفوا الشكل المحافظ في التعبير عن كل موضوعات الحياة ومتغيراتها، فينساب شعره رقراقا معبرا، في إيقاع متدفق ثري، يذكرنا بثراء الإيقاع عند كبار شعرائنا في العصر الحديث، وذلك يتجلى في اختياره للكلمات السهلة في الوقت نفسه، وهو يحفظ هذا الشعر، ويستطيع إلقاءه في المناسبات المختلفة تلقائيا دون الرجوع إلى ديوانه، وبطريقة تلفت نظر المتلقين.

وربما يكون هذا سببا من أسباب اختياره عنوان ديوانه «أغنيات» فهي قصائد من السهل جدا أن تغنى، بالإضافة إلى طبيعتها الغنائية الذاتية، كما أن هذا قد يتناسب مع كونها «لعشاق الوطن» إذ يتجلى فيها هذا الجانب الوجداني أيضا كما يوضحه عنوان الديوان.

ويتمتع الشاعر محمد التهامي بموهبة متفردة ومقدرة عظيمة على التدفق الشعري الذي يصدر عن حماسة شديدة للقضية التي يقتنع بها، وهو متمكن من اللغة أيما تمكن، ومن ثم فحبه لمصر، وحق أبنائها في حياة حرة كريمة يجري في دمه، ويتجلى في قصائده مثل: يا مصر، وصيحة في وجه الاستعمار، وبطولة، ووثبة،... وغيرها.

وهنا نجد توظيفه للغته المتميزة كاشفا عن هذا الولاء والحب لمصر وأبنائها، ففي قصيدته «يا مصر» التي قالها سنة ١٩٥١م، بعد إلغاء مصر معاهدة سنة ١٩٣٦م وإعلان الجهاد يقول:

١) يامصر قد سمع الورى فتكلمي
فالحق أعلى ما يجيء على فم

٢) إنا نريد الحق صوتا عاليا
كالرعد لم يخفت ولم يتكتم

٣) يامصر ها أنذا الشباب دعوته
فأجاب بين تحفز وتقدم
٤) أوقفت أيامي عليك لتسعدي
وحبست أنفاسي عليك لتنعمي
٥) يا مصر إن جار الطغاة فإنني
بالروح أدفع عن حماك وبالدم
٦) والروح أغلى ما يباع وهاكها
ثمنا من البذال غير مقوم
٧) فإذا رأيت الدم يهرق طاهرًا
بالله لا تهني ولا تتألمي
٨) هاتيك أوسمة الجهاد، فقبلي
يا مصر جرح الماجد المتوسم
٩) وتبسمي إن راح منك مجاهد
فشريعة الأبطال أن تتبسمي
١٠) أشلاؤنا هذي فسيري فوقها
للمجد ثابتة الخطى وتقدمي
١١) إنا نموت وأنت أنت حياتنا
للمجد عيشي يا بلادي واسلمي
١٢) قالوا: المسالم ثار، قلت: لإفكهم
شتان بين مسالم ومسلم
١٣) فأنا المسالم نال كل حقوقه
وأنا المحارب للظلوم المجرم
١٤) سلمت روحي قبل حقي، فاهدروا
دمي وحقي قائم لم يهضم
١٥) أدميت رسغي يا قيود ففارقي
وتحطمي فالعدل أن تتحطمي
١٦) يا نار أشعلك الطغاة بظلمهم
فتضرمي قد آن أن تتضرمي
١٧) كوني على الاعداء وثبة أمة
كوني على الطاغين نار جهنم[٨]

ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام هي:

الحق والدفاع عنه ١-٥.

التضحية من أجل مصر ٦-١١.

وثبة الأمة من أجل الحق ١٢-١٧.

في المقطع الأول يكرر نداءه لمصر ثلاث مرات في الأبيات الخمسة الأولى مدخلا لقصيدته، ثم يربط بين ذلك وبين كل الدنيا ليسمعها صوت الحق عاليا كالرعد، وقد أجاب شباب الأمة دعوة مصر إليه للنضال والدفاع عن الحمى، ومن ثم فقد كثرت الجمل الاسمية التي تفيد الثبوت والتأكيد، (الحق أغلى ما يجيء على الفم، إنا نريد الحق صوتا عاليا، إنني بالروح أدفع عن حماك وبالدم)، كما تتآزر الجمل الفعلية التي تفيد التجدد والاستمرار في التمسك بالحق والدفاع عنه (لم يخفت ولم يتكتم، أجاب بين تحفز وتقدم، حبست أنفاسي لتنعمي، أدفع عن حماك)، والعجيب أن يكرر الشاعر حرف الفاء العاطفة التي تفيد الترتيب والتعقيب (فتكلمي، فالحق، فأجاب...) لتربط بين كل ما سبق، فيتمثل لنا شباب مصر متحفزا متقدما، لأداء واجبه في الدفاع عن حقه في الحرية والتمسك بوطنه.

وتكرير النفي لتأكيد الدعوة، إلى الحق: (لم يخفت، ولم يتكتم) ثم يقابل الشاعر بين موقف الطغاة الجائر، وموقف أبناء مصر المدافعين عنها بالروح والدم، وهكذا تتجلى حمية الأمة وشبابها في التمسك بالحق والدفاع عنه.

ويدعم ما سبق من تراكيب صور متآزرة مثل: سمع الورى، تكلمي يا مصر، الحق صوت عال كالرعد، كما ارتبط ذلك بتمنيات شباب مصر لها بالسعادة والنعيم الدائمين.

وقد تجسد ذلك خلال إيقاع قوي يوحي بقوة الحق والمدافعين عنه، خلال توظيف حروف المد: (سمع الورى، فتكلمي، صوتا عاليا، هأنذا الشباب، فأجاب).

والكلمات المتوازنة: (لتسعدي، لتنعمي) يضاف إلى ذلك التصريع في (تكلمي وفم) الذي يؤازره روي الميم المكسورة، ليؤثر هذا الثراء النغمي بفكرة الحق والتمسك به والدفاع عنه في فكر المتلقي.

المقطع الثاني:

ولا يقل المقطع الثاني عن سابقه في حسن اختيار الوسائل التعبيرية الكاشفة عن الحق في الحرية والدفاع عن الوطن، وهي وسائل تركيبية وتصويرية وإيقاعية متعددة، وما يزال الشاعر يتحدث إلى

حبيبته الغالية مصر: وهو يوظف هنا وسيلة تعبيرية أخرى تتخذ شكلها من الإيقاع وجوابه، أو النغمة وقرارها، ويتمثل الإيقاع في أسلوب الشرط أو الجمل الخبرية،بينما يتمثل الجواب في: جواب الشرط أحيانا أو الجمل الإنشائية في أحيان أخرى.

وهكذا يتمثل الارتباط الوثيق بين الحق والجهاد والشهادة لتسلم البلاد وتعيش للمجد.

أما المقطع الثالث:

وتمتد فيه الفكرة السابقة خلال حوار يكشف فيه الشاعر عن أثرها في تجلي المجاهد المحارب المسالم فنال حقوقه، ويقترن ذلك بالرفض للتسليم والاستكانة، ويجسد ذلك المفارقة التي يجليها لغويا الجناس بين المسلم القوي والمسلم الضعيف، والتقابل بين الحق القائم والحق المهضوم، وتحقيق العدل ومفارقة القيد، ومن ثم اشتعال النار في الطغاة والظالمين بوثبة الأمة.

وقد ساد هذا المقطع تنوع الأساليب بين الخبر والإنشاء لتقرير ما سبق، واستثارة المتلقي، حول الحق والجهاد والاستشهاد، وماتزال وسائل الشاعر الإيقاعية تحقق أهداف هذا النص وتجليها بتأثيرها في المتلقي بصور التمسك بالحرية والنضال من أجلها.

وهكذا يترابط النص دلاليا وبلاغيا ونحويا، وذلك رد على من يتصورون أن الشعر المحافظ لا وحدة فيه ولا تصوير.

من ثم فكأني بالتهامي -رحمة الله عليه- يرد بشعره شكلا ومضمونا على من ينتقصون الشعر المحافظ اليوم وينتقدون أساليبه. ولا أتصور أن ذلك يعني الوقوف عند الشكل المحافظ ورفض ما عداه، لأننا نرحب بالشعر الحر رغم اختلاف شكله الموسيقي ■

الهوامش:

(١) محمد التهامي: ديوان أغنيات لعشاق الوطن، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٧م.

(٢) السابق، ص ١٢.

(٣) السابق، نفسه ص ٣٠.

(٤) انظر السابق، نفسه ص ٩٢.

(٥) انظر السابق، ص ٦٠، ٦٤، ٦٨.

(٦) السابق نفسه، ص ٥٠.

(٧) انظر قصيدة من حكاية عرابي، السابق نفسه، ص ١٠٨.

(٨) السابق نفسه، ص ٨.

صوت من المخيم

من قديم ألِفتُ هذي الحكايهْ ... طولَ عمري فقد نسيتُ البِدايهْ
بين قَتْلِي ومولدي مُفْزِعاتٌ ... هن عمري ومسرحي والروايهْ

* * *

تَخْلِطُ الموتَ بالحياةِ ففيها ... ليس للعمر مُبْتَدى أو نهايهْ
تارةٌ يسبقُ الفناءُ وجودي ... قبل نَبْضِ الحياة تسعى الجِنايهْ
طالما شُقَّت البطونُ الحبَالى ... فانتهت مُضْغَةٌ وصارت نُفايهْ
أو هوَى المهد فاستُرِدَّت حياةٌ ... ما لها بالحياةِ أدْنى درايهْ
أو عَوى مدفعٌ فطارت رؤوسٌ ... خندقت حولنا تصدُّ الرمايهْ
أصبح القتلُ في حياتي طريقًا ... ورفيقًا على الطريق وغايهْ
صار اسمي إذا ذُكِرتُ بأرضٍ ... عن قتيلٍ بغير ذنْبٍ كنايهْ
حلَّ ذَبْحِي لكل مَنْ كان حتى ... بالغوا فيه حِرْفَةً وهِوايهْ
غار أهْلي من العدا فتَبَارَوْا ... ثم صاروا أشدَّ منهم نِكايهْ
وزَّع القتلَ في المخيم رهطٌ ... كان في وَهْمِنا رسولَ العنايهْ
يَفْجَعُ القتلُ إن رَمَتْهُ يمينٌ ... كنت في حضنها نشدْتُ الرعايهْ
قد قصدنا حماهُمُ ليت أنَّا ... ما لجأنا ولا نَشدنَا الحمايهْ
عربدَ الغولُ حين أُوهِم أنَّا ... قد فقدنا غِطاءنا والوِقايهْ
وتولَّى من راحتينا سلاحٌ ... وزَّعتْه الرياحُ في كل غَايهْ
وغدونا لكل غاوٍ متاعًا ... يبتغيه ويستَطِيبُ الغِوايهْ
فانبرى يزعم الولاية فينا ... حاسبًا أن يُدِيَر فينا الوصايهْ
فإذا العزمُ شامخٌ في حمانا ... وله وَحْدَه تعزُّ الولايهْ
ذلك الكائنُ العجيب لشعب ... قد بنَتْهُ الخطوب أعْتَى بنايهْ
كل طفل وطفلة فيه صَخْرٌ ... مَنْبِتٌ في ذُرا فلسطينَ رايهْ

* * *

محمد التهامي - مصر

رُوِّعَ الغولُ حين أدرك فينا ... لكثير من الأعاجيبِ آيهْ
نحن والقَتْل كالمحبين ذابَا ... في غرام ولوعةٍ وشِكايهْ
قد تمادى لقاؤُنا فائتلفنا ... لا عذولٌ يصدُّنا أو وِشايهْ
كم سَعَى بيننا سُعَاةٌ كِثَارٌ ... ثم ولت ولم تُعَقِّبْ سِعايهْ
إن ضللنا لقاءنا بعض يَوْمٍ ... عاودتنا فجمَّعَتنا الهِدايهْ
فانظروا فالحياة والموت فيناً ... واحد، واشهدوا، كفاكم عمايهْ
ليس من مات راحلاً بل مقيمًا ... مثل من عاش يستحث النهايهْ
كائنٌ قد تحارُ فيه البَرايَا ... صامدٌ خالد يعيد الحكايهْ
أذهلَ الهَوْلَ أننا لا نراه ... بل نرى فيه ما استحق الزرايهْ
حَيَّر الغولَ أننا قد كشفنا ... أن هذا العواء بعض الدعايهْ
أنبتَ القهرُ مخلبًا في يدينا ... وسقى الناب بالسموم سِقايهْ
لنذيقَ البعيدَ عنا عذابًا ... ونُرَبِّي القريبَ منا رِبَايهْ
قد أكلنا لحومهم حين جعنا ... عَطَّلَ الشَّرْعُ في المجاعات آيهْ
وسحقنا عظامهم وحفظْنَا ... ها لنلقى لَدَى الحصارِ الكفايهْ
ذاك بَعضٌ من الذي قَدَّمُوه ... فعَلَى مَنْ جَنَى نَرُدُّ الجِنايهْ
ونعيشُ الحياةَ طولاً وعرضًا ... ليتم الرجوعُ هَذي الروايهْ

شاعرنا محمد التهامي حاصل على جائزة الدولة التقديرية في الآداب في مصر، وجائزة الملك الحسن بالمغرب، وصاحب الرحلة الشعرية الطويلة التي أثمرت عشرة دواوين؛ منها: أغنيات لعشاق الوطن، أشواق عربية، أنا مسلم، دماء العروبة على جدران الكويت، وديوان: «يا إلهي» من منشورات الرابطة.

والتهامي درس القانون، واشتغل بالإعلام والصحافة، وكان مديرًا لمكتب الجامعة العربية بإسبانيا لعدة سنوات، وهو عضو المجالس القومية المتخصصة، وعضو مجلس إدارة اتحاد الكتاب بمصر، وكثير من قصائده يدرّس في مقررات التعليم في بعض مدارس العالم العربي.

التقت مجلة ((الأدب الإسلامي)) الشاعر محمد التهامي؛ وكان هذا الحوار:

الشاعر الكبير محمد التهامي: لـ(الأدب الإسلامي)

موجة الغموض والتغريب في القصيدة الحديثة ستنكسر قريبًا(*)

إعداد: التحرير

■■ ماذا عن تكوينك الإبداعي؟ وهل تأثر بالنشأة؟

■ بنبرة حنونة، أجاب: منذ ولدت ويتصارع في أعماقي عنصران؛ أولهما «العنصر المادي» الذي يقوم على الفكر، والثاني «موهبة الشعر».. وكنت أجد جميع المحيطين بي يشهدون بذكائي ونبوغي الدراسي، وكان والدي مغرما بسيرة الفارس العربي «عنترة بن شداد»؛ وبعد أن كبر الوالد وضعف بصره أصبح يطلب مني أن أقرأ عليه هذه الأجزاء، فترسبت في نفسي معاني العروبة والشعر، ونمت في أعماقي فكرة أن الإنسان له رسالة يضحي في سبيلها دون انتظار مردود، وبهذا استطاع والدي أن يصوغ نفسيتي دون أن يدري.

■■ رغم أن تخرجك في كلية الحقوق إلا أنك لم تمارس المحاماة.. لماذا؟

■ بالفعل تخرجت في كلية الحقوق جامعة الإسكندرية،

وحاولت ممارسة المحاماة، إلا أنني حين جئت للقاهرة نصحني بعضهم بالعمل في الصحافة بدلا من المحاماة، وبالفعل عملت بصحيفة «الأساس» التابعة للحزب السعدي، وكان أنيس منصور يعمل فيها يترجم قصصا بالصفحة الأدبية، وأنا كنت أتولى القسم القضائي بالجريدة، ثم التقيت الزعيم عبدالرحمن عزام الذي اقترح علي العمل بالأمانة العامة للجامعة العربية بالقاهرة، وهكذا ابتعدت عن سلك المحاماة تمامًا، ولا أخفي أنني ندمت كثيرًا علي ذلك، بل كنت أحن للمحاماة، إلا أن أشياء كثيرة جعلتني أتأكد أن قدر الله اختارني للشعر.

■■ وماذا عن ذكرياتك في أثناء عملك بمكتب الجامعة العربية بمدريد؟

■ أغرب ما يخالجني حين أتذكر تلك الفترة، أن بعض الأسبان يحبون العرب جدا، لكن العرب كانوا لا يفهمون الإسبان، وحتى أنا الشاعر لم أجد نفسي متحمسا أبدا لكتابة أي شعر في الآثار العربية بإسبانيا مثل أشبيلية أو قصر الحمراء..

وحين كنت أعمل بمكتب الجامعة كان السفير متحمسا للعروبة، وكان القنصل المصري هو المستشار أحمد هيكل الذي أصبح وزيرا للثقافة فيما بعد، وقد فكرنا في إعداد مؤتمر لحوار المسلمين والمسيحيين في «بلاط الشهداء» بإسبانيا الذي قيل: إن عدد الشهداء في المعركة المسماة باسمه والتي هزم فيها المسلمون وصل إلى عشرة آلاف شهيد، وبالفعل تم اللقاء وحضره مندوب البابا من روما، والبدرفرانكون مسؤول بالكنيسة هناك، وقال حديثًا طويلًا لتنقية شوائب العلاقة.

■■ وماذا عن مشاركتك بهذا اللقاء؟

■ بالنسبة لي، قدمت دراسة لتنقية مناهج التدريس بالمدارس الأوروبية مما يسيء للإسلام، إذ لا تزال الشتائم على النبي صلى الله عليه وسلم يحفظها التلاميذ هناك ويمتحنون فيها، وحدثت وعود كثيرة بأن تتغير هذه التشوهات من المناهج ولم يحدث إلى الآن!!

■■ أنت عضو بارز في رابطة الأدب الإسلامي العالمية؛ ما الآمال التي تعلقونها على الرابطة ومجلتها في سبيل النهضة بالحركة الأدبية المعاصرة وربطها بحركة المجتمع؟

■ أملنا في رابطة الأدب الإسلامي ومجلتها كبير جدًا، فالأدب الإسلامي قديم وله جذوره القوية، وتياره الأكبر كان يطغى دائمًا على محاولات الخروج الهزيلة المحدودة والمتقطعة التي كانت تعتور المسيرة.

وفي هذه الأيام التي استشرى فيها الغزو الفكري والصليبي، والتي وثبت فيها وسائل الاتصال بالكلمة والصورة، وغطت كل العالم،

متخطية كل قيود الزمان والمكان، والتي استأسدت فيها العلمانية، وأخذت في ترويج الأباطيل حول الأدب الإسلامي، وحملت فيها مذاهب الحداثة على مقدسات الأمة، في هذه الأيام أصبح واجبًا أن تُسلَّط الأضواء على الأدب الإسلامي، الذي يحاول بجدية وصدق إثراء الحياة البشرية وقيادتها إلى العمل بما فيه مصلحتها الحقيقية، فالأدب الإسلامي إذا كان صادرًا عن أديب مسلم إسلامًا حقيقيًا فهو بطبيعته وسليقته سيحيد عن كل ما يشوه الحياة ويدنسها، سواء أكان هذا الأدب يدور حول الدعوة الإسلامية – وهذا القطاع يسمونه تاج الأدب الإسلامي – أو كان يدور حول الإبداع الأدبي في كل أغراضه، ولكنه يتحرى الطريق المستقيم للحياة البشرية المثالية، وهذا يشكّل لب الأدب الإسلامي باللغة العربية أو اللغات الأخرى.

■■ وماذا عن الأدب الذي يصور الحياة المثلى ولا ينحرف عن الطريق المستقيم ويبدعه غير المسلم؟

■ الأدب الذي يصور الحياة المثلى ولا ينحرف عن الطريق المستقيم ويبدعه غير المسلم يعتبر في نظرية الأدب الإسلامي أدبًا محايدًا، وهذا يجب احترامه. أما الإبداع الذي يحيد بالبشرية عن الطريق السوي الذي رسمته الرسالات السماوية، فهو أدب مرفوض في نظرية الأدب الإسلامي وإن كان كاتبه مسلمًا.

■■ يعمد الشاعر المعاصر – الآن – إلى الكتابة النثرية (المقالات الأدبية ودراسة الكتب... وما إلى ذلك) إلى جانب كتاباته الشعرية.. ولكن يلاحظ أن الشاعر محمد التهامي لم يلجأ إلى كتابات نثرية مشابهة، فهل لم يطاوعه قلمه على كتابة غير الشعر؟

■ صحيح أني لم أكتب كثيرًا في الأدب والنقد، ولعل ذلك يرجع أولاً إلى أن النشر ليس ميسورًا في مصر خاصة أمام الدراسات الجادة، على الرغم من صدور مجلات متخصصة، وإفراد صفحات في بعض الصحف اليومية، ولكن من سيئات أسلوب النشر أنه ليس متاحًا إلا لمن يملك الوسيلة، وهي متعددة الوجوه والجوانب، ولعل دراستي للقانون وعملي في الصحافة والإعلام دفعاني إلى الكتابة السياسية، ولي كتاب صدر في السبعينيات بعنوان: «جامعة الشعوب الإسلامية والعربية.. لماذا؟ وكيف؟».

■■ لماذا لم تتجه حتى الآن إلى كتابة المسرح الشعري الإسلامي رغم حاجتنا الماسة إلى ذلك؟

■ أنا لم أتجه إلى كتابة الشعر المسرحي، على الرغم من أن لي بعض المشاهد المسرحية كتبتها عندما كنت طالبًا، وذلك لعدة أسباب منها أنني كنت أرى أن الشعر يربك فن المسرح، ويستهين به، وكنت أحب لشعري أن يصل شعرًا خالصًا إلى الجماهير... كان هذا رأيي في أول الأمر.. ثم لما اقتربت من المسرح أخيرًا.. اتضح لي أن الكتابة للمسرح الشعري تحتاج إلى كثير من التفرغ.. وهذا لم يتح لي حتى الآن.

■■ إذن ما رأيك في تجارب علي أحمد باكثير المسرحية الشعرية والنثرية؟

■ إن إبداعات الأستاذ باكثير الشعرية والنثرية في مجال المسرح جديرة بالتقدير، وكان من الواجب الاهتمام بها وتقديمها كما تمّ في مسرحيات عزيز أباظة وعبدالرحمن الشرقاوي وصلاح عبدالصبور، وأرى أنه عندما تستوي النهضة المسرحية عندنا على ساقيها ستتجه إلى إنتاج المسرحيات الجادة والتاريخية من أمثال إبداع الأستاذ باكثير المسرحي.

■■ لقد سبق لك الفوز بجائزة الدولة التقديرية في مصر في السنوات الأخيرة وبالتحديد عام ١٩٩١م، ولا شك أن هذا الفوز يأتي تتويجًا لجهودك الشعرية التي تزخر بها دواوينك.. فهل هذا يعد

إنصافًا لك وللقصيدة «التقليدية الكلاسيكية» أو الخليلية بعامة؟

■ في الحقيقة.. كان في حصولي على جائزة الدولة التقديرية من المجلس الأعلى للثقافة بمصر ما يشبه المفاجأة لي. فقد ابتليت بتجاهل النقاد لشعري والتعمية الإعلامية عني، خاصة وأن غالبية الأقلام الناقدة والإعلامية على الساحة من أصحاب الأقلام الماركسية والعلمانية.. وكاد الأمر في كثير من الأحيان يدفعني إلى الاكتئاب.. صحيح أنني تأخرت نسبيًا في نشر دواوين شعري، ولكني كنت أوالي النشر في الصحف والمجلات والإذاعة.. وكان لي عشر قصائد تدرس في المدارس على مستوى العالم العربي، ومع ذلك كان النقاد وكتَّاب الصحافة يتجاهلونني. ثم اتضح أن هناك من كبار العلماء في مصر من يعرفون قيمة الشعر الأصيل من أمثال الدكتور إبراهيم مدكور والدكتور عز الدين عبدالله والدكتور زكي نجيب محمود والدكتور حسين مؤنس والدكتورة بنت الشاطئ والدكتورة سهير القلماوي والدكتور إسماعيل صبري عبدالله... وغيرهم من أعضاء المجلس الأعلى للثقافة الذين رجحوا جانب هذا الشعر، ومنحوني مع بقية الأعضاء - ومنهم وزير الثقافة ووكلاء الوزارة ورئيس الهيئة العامة للكتاب ورؤساء نقابات المسرح والسينما والفنون التشكيلية - منحوني الجائزة.

ومن كل هذا يتضح أنه على الرغم من الضجة الإعلامية حول الشعر الحر وما يسمى قصيدة النثر إلا أن الجانب المرجح يظل للشعر الأصيل.

■■ **ما موقف النقد من أعمالك الشعرية سواء قبل الحصول على الجائزة أم بعدها؟**

■ يؤلمني جدًا إهمال النقاد الكتابة عن شعري ولكن يملؤني إيمان صادق وعميق بأن المستقبل للحق، وأن الشعر الذي أكتبه لن يضيع، وسيقيض الله لي في المستقبل من يدرسه ويعنى به، ومع ذلك فقد كتب عني الأستاذ الكبير د.شوقي ضيف في جريدة الأخبار عند صدور ديواني «أشواق عربية»، وكذلك الدكتور شكري عياد في مجلة الهلال عند حصولي على جائزة الدولة التقديرية، ومع أني لم أوافق تمامًا على بعض الآراء التي جاءت في مقال الدكتور شكري عياد إلا أني شكرت له عنايته بمجرد الكتابة، فهذا أضعف الإيمان، كما سجلت عني رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر وتمت مناقشتها.

■■ **شهدت العقود الخمسة الماضية مولد «شعر المقاومة» إلا أنه خلال الآونة الأخيرة بدأ في التراجع.. في رأيك ما الأسباب؟**

■ الحديث عن تراجع «شعر المقاومة» أو اندثاره ليس صحيحًا بالمطلق؛ فهو بالفعل كان له دور كبير في تشكيل الوجدان العربي وإحياء المقاومة وتأجيجها في صدور جميع العرب، إلا أنه واجه نوعًا من الإقلال منه خلال الآونة الأخيرة.

أما عن الأسباب فلا شك أنها تعود إلى ما يعرف اصطلاحًا بالمدارس التجديدية في الشعر، والتي دخلت في عراك وخصومة مع مدرسة الأصالة الشعرية حيث عمل التجديديون علي تشويه الشعر في أعين المتلقين؛ الأمر الذي أدى إلى تراجع تأثيره وتراجع إنتاجه. أضف إلى هذا تطور إيقاع الحياة بشكل عام في العقدين الماضيين، مما حمل نوعًا من التراجع في الاهتمام بالشعر والثقافة، وأضعف من تأثيرهما، وكذا الهموم المعيشية التي باتت تتصدر أولويات المواطنين، فشيء طبيعي أن يتراجع الاهتمام بالشعر، وهو ما ينطبق أيضًا على «شعر المقاومة» فضلاً عن تراجع الاهتمام بالفنون الشعرية المختلفة، ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى العديد من النماذج لشعر المقاومة، وهو ما يؤكد أن إنتاجه لم يتراجع بالكلية، ولكن تراجع الاهتمام به ونشره فقط.

عبدالعزيز البابطين

■■ ما رأيك في العراك الذي تشهده الحياة الأدبية بين الشعر العامي والفصيح؟

أولا: أحب أن أؤكد أنني أقرأ الشعر العامي، وأتابعه، لكنني في الوقت ذاته أؤمن بالشعر العربي الفصيح لأنه يوحد بين العرب، ولكن هذا لا يعني أن يكون هناك عراك بين الشعر الفصيح والعامي. وأذكر أن أول برنامج في الإذاعة «على الناصية» كان للإذاعي إسماعيل عبدالمجيد في الإسكندرية والذي جمعني أنا وشاعراً آخر، وعمل جائزة لوصف فتاة عابرة، وقال ارتجلوا قصيدة، فكتبنا كلمات عامية منها:

«الموج يشوف طيفها يغني.. وتغيب يئن ويتألم».

■■ وكيف ترى تجربة الحداثة على الساحة الثقافية العربية الآن؟

■ الحداثة شكلت وبالاً كبيرًا على الشعر العربي التقليدي، شكلًا ومضمونًا؛ إذ عملت على إشاعة أجواء الخلط والغموض في الشعر العربي، وجر المتلقي إلى بذل مجهود ضخم لفهم الشعر وهو في الأغلب لا يستطيع ذلك لاستحالة فهمه. ولا أبالغ إذا أكدت أن مدارس الحداثة هي مرادف للفوضى الخلاقة التي حاولت واشنطن الترويج لها في المنطقة، وكان مصيرها الفشل في أغلب الأحيان. وأود هنا أن ألفت إلى ما خرجت به ندوة «مؤسسة البابطين» التي أوضحت على لسان مؤسسها عبد العزيز آل سعود البابطين أن الشعر هو الموزون المقفى، وأنه لا مستقبل لمدارس الغموض والألغاز التي أضرت بالشعر العربي أكثر مما نفعته.

■■ وما الحل في وجهة نظرك؟

■ الإصلاح يحتاج لوقت طويل؛ وآليات جديدة، منها: إعادة النظر في طرق تدريس الشعر في المدارس بمختلف أنواعها، ووقف الأساليب التقليدية التي تدور حول إلزام الطلاب بدراسة عدة نصوص شعرية وحفظها، وكذا إشاعة نوع من التذوق الشعري لدى الطلاب، والكشف المبكر عن المواهب عبر إعادة ضخ الدماء في عروق أنشطة جماعات الشعر في المدارس والجامعات فضلاً عن إعادة الاعتبار للغة العربية التي تراجع وزنها في الفترة الأخيرة لصالح اللغات الأخرى.

■■ الشعر التقليدي ما زال متهمًا بالمباشرة،

والصور الشعرية المكررة، أو المعادة، والموضوعات غير المبتكرة.. فما ردك على مثل هذه التهم وأنت واحد من كبار الشعراء المحافظين على عمود الشعر العربي؟

■ أولاً أنا أوافقك على تسمية الشعر الخليلي الأصيل بالشعر التقليدي، كما أن الشعر الأصيل الذي يكرر المعاني القديمة والموضوعات المتكررة ليس شعرًا معاصرًا، وأن الشعر المعاصر الملتزم أصول الشعر، هو الذي يجاري العصر، ويستشرف المستقبل، ويعانق الحياة الحية النابضة، سريعة الإيقاع، بكل ما فيها، ولا يستطيع الشاعر إلا أن يكون كذلك، وحرصًا على الوقت، والحيز المتاح، لا أجد ردًا على سؤالك، إلا بإيراد نماذج من شعري. منها مثلاً من قصيدة «إلى ولدي»:

أنا قادم لك يا بني وحق (ربك) لا تنم
لا تحرمنَّ أباك من فمك الشهي إذا ابتسم
حلواك تلك أضمها في لهفة بيديّ ضم
أسعى إليك، وكل خافقة بجنبي تضطرم
فلعلني ألقى صياحك يملأ الدنيا نغم
فأطير من فرحي وأنسى الهم.. أنسى كلَّ هم
ولكم تعبتُ.. وكم شقيتُ، وكم شبعت من الألم
وعلى نداك الحلو ترتاح الجراح وتلتئم

ومن قصيدتي «الهاتف المحمول»:

رَنَّ من لوعته عن هواه معلنا
فاسمعي دقته إنه قلبي أنا
طار من لهفته وأتى مستأذنا
فافتحي الباب له تلتقي آذاننا
تلتقي أفواهنا.. تلتقي أرواحنا
في عناق فوق ما تشتهي أجسادنا

■■ **يقال: إن العصر الآن.. هو عصر الرواية.. وأنها تليق حاليًا لأن يطلق عليها ديوان العرب.. وإن الشعر فقد مكانة مهمة كانت له، باعتباره كان ديوان العرب في القرون الماضية.. هل توافق على هذا الرأي؟**

■ كان الشعر.. وسيظل دائمًا.. ديوان العرب والمترجم الحقيقي عن أعماق الإنسان العربي، وخاصة أن عنصر الموسيقى فيه يلعب دورًا رئيسًا، ويميزه من غيره من الشعر الأجنبي، وما تراجع تأثير الشعر العربي المعاصر في الوجدان العام إلا نتيجة تصارع المدارس الشعرية المختلفة، منذ بدء حركة التجديد في الأربعينيات، ولو انشغلت كل مدرسة بالإبداع في مجالها، ولم تتصادم مع المدارس الأخرى، وتركت إبداعها لجمهور المتلقين يحكم له أو عليه لكان ذلك هو الطريق الأصوب للتطور الشعري، ولكن الصدام العنيف بين المدارس، جعل كل مدرسة تحاول النيل من الأخرى، وتحمل على إنتاجها، مما شوّه الشعر عامة – كل الشعر – في وجدان المتلقين، وكان أن انصرف الجمهور – أو كاد – عن الشعر، وزاد الطين بلة ما لجأت إليه المدارس الجديدة من الغموض والإبهام، وقصر الشعر على الدوائر الضيقة ممن يحاولون الشعر، ولهذا انعزل الشعر الحديث عن القاعدة العريضة من الجماهير، وكاد يفقد القيادة.

ولكن كل هذه أعراض طارئة، ستزول حتمًا عن قريب، وستعود للشعر موسيقاه، ويعود تأثيره وقيادته للفنون الأخرى، الذي هو سيِّدها بلا منازع في الماضي والحاضر والمستقبل■

(*) دمج في هذا الحوار بشيء من التصرف؛ لقاءان مع الشاعر محمد التهامي، الأول في مجلة الأدب الإسلامي/المجلد الأول/العدد الثالث/محرم ١٤١٥هـ، ص٢٩-٣١، والثاني في صحيفة البلد المصرية أجرته الأخت إيمان محفوظ، وهو على الرابط:

http://www.baladnews.com/article php?cat=10&article=8432

الجلال والجمال
في ديوان أنا مسلم للتهامي

د.عادل إبراهيم عبد الله- مصر

قرأت ديوان أنا مسلم للشاعر محمد التهامي رحمه الله، فهالني ما لمست به من جلال المضمون، وجمال الشكل، لكأنك في هذا الديوان الماتع تعيش في محراب عابد، أو في خلوة متصوف، أو في دار حكيم، وهذا كله لا ينسيك أنك في خيمة شاعر عظيم استطاع أن يصهر المعاني الإسلامية السامية، والحكمة، والتصوف، والفلسفة في بوتقة الشعر، فأضحى شعره جليلا عظيما في مضامينه، غنيا غزيرا في معانيه، وافرا وارفا في ظلاله، زاهيا متعددا في ألوانه وأغراضه، متقنا جميلا في أشكاله ومبانيه، ولكي نقف على جماليات الشعر الإسلامي في ديوان أنا مسلم فإن الحديث هنا ينساب في نهرين كبيرين هما: جلال المضمون، وجمال الشكل.

ونحاول هنا تفصيل ذلك على النحو الآتي:

◁◁ جلال المضمون:

هذا الديوان عنوانه مرآته، ويضم تسع عشرة قصيدة، وتسرى مضامين قصائد هذا الديوان في عدة جداول أهمها:

- تسبيح الرحمن وتكريم الإنسان:

إن الشاعر محمد التهامي ينزه الله سبحانه الواحد الأحد، الفرد الصمد عن النقص، ويصفه بكل كمال، فهو وحده الباقي بعد فناء الخلق، وهو سبحانه النافع والضار، حيث يقول:

ويبقى ربك الرحمن فردا
له في الكون عرش مستقر
وجود لا يزعزعه فناء
وليس لبعض ما يعطيه حصر

* * *

وسبحان المهيمن في علاه
يدوم به الزمان ويستمر
وفوق الكل قدرته تعالت
فليس لغيره في الكون ذكر[1]

إنه سبحانه كل رجائنا، ومالك أمرنا، منه الهداية، نرضى بقضائه، ونصبر على بلائه، ونشكره على نعمائه، وتلك علامة الإيمان، يقول:

ولأنت يا رباه مالك أمرنا
وترى وتسمع ما إليه نصير

* * *

ولأنت يا رحمان كل رجائنا
منك الهداية والرضا والنور
تقضي فنرضى بالقضاء ونبتلى
ولنا فؤاد في البلاء صبور
وعلامة الإيمان صبر يستوي
لما تميل من الجبال صخور[2]

ويتجلى تكريم الله سبحانه للإنسان في قصة خلق آدم عليه السلام فقد خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلمه الأسماء كلها، وأمر الملائكة بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس لعنه الله، تمرد وأغوى الكثير من الإنس، يقول التهامي في قصيدة سر الحياة:

سبحانك اللهم عندك سرها
ونصيبنا مما كشفت يسير
ندرى بأنك قد جعلت لآدم
نورا لموضعه الكريم يشير
علمته الأسماء في وجدانه
السر.. والأسماء.. والتفسير

* * *

وجعلت للإنسان فيه كرامة
فوق الوجود يحفها التقدير
عنت الملائك سجدا من دونها
لما أمرت فأذعن المأمور[3]

ويذكرنا الشاعر أن الدنيا ممر للآخرة، وهي دار الخلود يثاب فيها المحسن، ويعاقب فيها المسيء، يقول:

فكل حياتنا والعيش فيها
لدرب حياتنا الأخرى ممر
حياة تنتهي وحياة خلد
وبينهما بوادي الموت جسر
ففي الدنيا وفي الأخرى حياة
يتم بها على الإحسان أجر[4]

ويرى الشاعر أن الإيمان راحة النفوس، وأن الطاعة هي طريق رضا الله سبحانه، وهو سبحانه المنقذ عند الشدائد، ونحن لا نحصي الثناء عليه مهما أثنينا، يقول:

وفي الإيمان راحة كل نفس
لما تبدى الحياة وما تسر

نطيع وأنت رحمان البرايا
ومن أرضاك لم يمسسه ضر

* * *

وطاعتك الطريق إلى رضاء
عيون الطائعين به تقر
سيفنى الكل يا مولاي حتما
ولا يجزي على نعماك شكر[٥]

- تشخيص الواقع المرّ وبيان سبل الخلاص:

ما أروع التهامي حيث يشخص واقع الأمة الإسلامية في العصر الحديث، وكأنه يعيش معنا هذه الأيام، قائلا:

ما أيسر الأقوال أنا أمة
نامت، وأقوال العداة كثير
لكن أراد الله أن نرمي بمن
قتلوا الشموس فغاب عنه النور
يسعى إلينا الفجر، لا نحظى به
فالفجر في البلد الشقي ضرير
من بعض أهلينا وكل عداتنا
قيد على خطواتنا مقدور
وكأننا أسرى الكواسر أرغمت
فتدور في أقفاصها وتثور[٦]

ويعتقد الشاعر أن خلاصنا إنما يكون بالإيمان بالله، فلديه سبحانه هدايتنا، وهو نعم المجير لعباده الصالحين.. يقول:

وخلاصنا يا رب في إيماننا
في النور حين يؤودنا الديجور
فلديك يا رحمان محراب الهدى
فيه إذا عز المجير مجير[٧]

- دعوة للكفاح والجهاد في سبيل الله:

إن الشاعر محمد التهامي يرى أن الكفاح سبيل السعادة، يقول:

وعلى الكفاح المر يسعد مسلم
إيمانه بين الضلوع مكين[٨]

وفي قصيدة داعي الجهاد - وقد كتبها عام ١٩٤٨م - يدعو المسلمين لمقاومة أعداء الله من اليهود، والدفاع عن المسجد الأقصى والقدس الشريف، يقول:

زحف اليهود بجبنهم وبغدرهم
وتبادروا يتقاسمون الشاما
وهناك في القدس الشريف تطاولوا
وتألهوا واستعبدوا الأقواما[٩]

ثم يقول:

هذي ديياركم فموتوا دونها
أو فاتركوها للعدو مقاما
داعي الجهاد دعا الغداة جموعكم
فتهيؤوا واستنفروا النواما[١٠]

ويؤكد التهامي على وحدة الصف، وينكر المذاهب الهدامة التي تؤدي إلى الصدام، وتتصارع لتمزيق الأمة، يقول:

يصارعون على خلف يمزقنا
نحن الضحايا بلا ذنب جنيناه

* * *

ونحن نؤمن أن الدين مرحمة
وديننا الحب والرحمن أوحاه
ومن أضر بصف كان يجمعنا
ففي جهنم مهما كان مثواه[١١]

- سمو الشريعة المحمدية وعدالة القضاء في الإسلام:

يحدثنا التهامي عن جلال الشريعة، وأنها تسمو على القوانين الوضعية، ذلك أن الله سبحانه أنزلها من السماء، وساقها أمين الوحي جبريل عليه السلام، وفي ظلها يعيش الناس آمنين، فهم سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى والعمل الصالح، والعالمون العاملون حصنها عند الشدائد، ومن ثم فهو يحدثنا عن المسلمين قائلا:

ولهم شريعتهم ودون جلالها
يتراجع التشريع والتقنين
أرست عدالتها السماء وساقها
روح على وحي السماء أمين
فيها لكل الناس كل حقوقهم
ما عاش تحت ظلالها مغبون
فالناس مهما قيل في أنسابهم
فالماء أصل وجودهم والطين
والعالمون العاملون بعلمهم
حصن لها في الحادثات حصين[١٢]

ثم تحدث عن عدالة القضاء في الإسلام حيث يقول:

سيان عندك في القضاء أميركم
والعبد إن ضم الجميع قضاء
ومشى القوى لدى لوائك صاغرا
لما احتمى بلوائك الضعفاء[١٣]

وأخيرا يطيب لي أن أختم الحديث هنا عن جلال المضمون ببضعة أبيات تعد من أروع ما كُتب في هذا الديوان، وفيها يلخص التهامي رحمه الله سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الحق وجهاده في سبيله، وصبره على الأذى حتى نصره الله، حيث يقول:

لما أراد الله جل جلاله
أن ينقذ الدنيا من العثرات
أهداك ربك للورى يا سيدي
فيضا من الأنوار والرحمات
فدعوت حتى كنت أصبر من دعا
وأقمت بين إساءة وأذاة
وصبرت ثم هجرت ثم ضربت
في طغيانهم في عزة وثبات
فحظيت بالنصر الكبير مؤزرا
وأقمت حقك خافق الرايات[١٤]

ثانيا: جمال الشكل:

- اللغة:

جاءت لغة الشاعر في الديوان سهلة طيعة، وندر أن تجد فيه كلمة غريبة، ذلك أن الشاعر التهامي رحمه الله كان شاعرا مطبوعا، قليل التكلف في شعره.

وقد أكثر الشاعر في الديوان من ذكر ألفاظ بعينها منها: النور والضياء ومشتقاتهما، فهل كان الشاعر يستخدمهما بمعنى واحد في الديوان أم أن لكل منهما معنى خاصا به؟ وإلى من ينسب هذا النور وذاك الضياء؟ وبتأمل أبيات الشاعر يبدو أنهما لديه بمعنى واحد، فهو حينما يتوجه إلى الله يشرق خاطره، ويضيء مشاعره نور، فإذا بالأضواء في جسده تتألق، يقول:

أنى اتجهت إليك يشرق خاطري
وأرى جميع العالمين تهون
في عمق أعماقي يضيء مشاعري
نور تحار على سناه عيون
تتألق الأضواء في جسدي فما
يبقى به حمأ له مسنون[١٥]

وينسب النور والضياء إلى الله سبحانه، فيقول في هذا الدعاء الخاشع:

يا رب هب لي من لدنك سلاما
أحيا به وأغالب الأياما
لولا ضياؤك لاستبد بخاطري
ليل تعدد حيرة وظلاما [١٦]

وهو يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم فيأتي بالضياء والأضواء قائلا:

الدين عندك ملة سمحاء
والحق نار في الورى وضياء[١٧]

وكذا الناس يسيرون على أضواء المنهاج النبوي، يقول:

رسوله يرسم المنهاج يتبعه
حتى يسير على أضوائه البشر [١٨]

وتعد كلمة (الحقيقة) أيضا من الألفاظ التي يستخدمها الشاعر محمد التهامي كثيرا، ومن الأبيات التي وردت فيها هذه اللفظة قوله:

يا رب شعري بالحقيقة هاما
عبد اليقين ورتل الإلهاما[١٩]

ظواهر أسلوبية في شعر التهامي:

- التناص:

التناص أحد أسرار الجمال في شعر محمد التهامي عامة، وفي هذا الديوان خاصة، والشاعر هنا يقتبس من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والشعر العربي..

فالاقتباس من القرآن الكريم يزيد شعره روعة وجمالا، ومن ذلك اقتباسه من قوله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) (الشورى ١١)، حيث يتحدث عن الله سبحانه قائلا:

هذا الجلال له، وليس كمثله
شيء، تبارك قدرة ومقاما[٢٠]

ويقتبس الشاعر من قوله سبحانه:(كِرَامًا كَاتِبِينَ) (الانفطار ١١)، حيث يتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الذين مضوا في طريق الحق والخير طائعين مخلصين قائلا:

فمضوا فيه كراما، نورهم
يتمناه الكرام الكاتبون[٢١]

ومن الاقتباس من الحديث الشريف الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها»[٢٢]، وذلك حيث يقول في مطلع قصيدته داعي الجهاد:

يا ربنا جدد لنا الإسلاما
فالهول في بلد العروبة قاما [٢٣]

ومن ذلك اقتباس الشاعر من الحديث الشريف الذي يرويه ثوبان رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة

نحن يومئذ؟، قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»[٢٤]، وذلك حيث يتحدث الشاعر عن مسلمي العصر قائلا:

الـــدار دارهـــم تـعـج بـخـيرهـا
لـكـنـهـم في دارهـــم غـربـاء
سـلبـت بـلادهـم وشـرد بعضهم
والآخـــرون وقـد علمت غـثـاء[٢٥]

ومن التناص مع الشعر العربي ما جاء في مطلع هذا الديوان في قصيدة أنا مسلم، حيث نلمس تناصا مع قول طرفة بن العبد:

إذا القوم قالوا: من فتى؟ خلت أنني
عنيت فلم أكسل ولم أتبلد [٢٦]

فيقول الشاعر التهامي:

إن قـال داعـي الحـق: مـن يـتقدم؟
فـأنا الحقيقة كلها أنـا مسلم[٢٧]

وشتان بين الشاعرين، فطرفة يفخر بنجدته، وجسارته، وإسرافه في الشهوات، أما التهامي فيفخر بانتمائه لهذا الدين العظيم الذي شرفنا الله به.

كما نلمس في القصائد تأثرا بالشاعر أحمد شوقي، وتناصا خفيا مع بعض أبياته، ولاسيما مع قصائده التي على روي الهمزة والقاف من بحر الكامل.

- توظيف أحداث السيرة النبوية الشريفة:

فمن ذلك استثمار الشاعر حادثة الفيل مبينا أن لله جنودا تؤيد دينه وتذود عن حرماته وتنصر أولياءه، يقول الشاعر:

لله فـي الـيـوم الـشـديـد عساكر
قـد لا تـرى وتـؤيـد الإسـلامـا
انسـيـتم؟ والـفـيـل فـي أصـحـابه
يـرمـون بـيـتا فـي الـحـجـاز حـرامـا
كـيـف ارعـوى والـطـير فـي أعـقـابه
ترمى من الحجر الأصم سهاما[٢٨]

- استدعاء الشخصيات التراثية:

ويستدعي الشاعر في هذا الديوان قائدين من قادة الإسلام العظام هما خالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي رضي الله عنهما، فمثلا ورد ذكر خالد في قصيدة القدس حيث يتحدث الشاعر عن انتفاضة شعبنا المسلم الأبي في فلسطين، وعن أبطال الانتفاضة من الأطفال والنساء الذين يشبهون الطير الأبابيل، وعن حجارتهم التي تشبه حجارة السجيل، وقد جعل الشاعر الحجارة سهما يرمي به خالد رضي الله عنه يقول:

أيـا قـدس ديـس المـكـان الجليل
وغـطـى عـلـى الـطـهـر رجـس أشـر

* * *

ويـحـرسـك المـسـلـمـون الـصـغـار
عـلـى حـيـن خـاف الـكـبـار الخطر

وحين تخلت عماليقنا
تولى الصدام ذوات الخفر
تسن العصافير منقارها
وترمى على الدارعين الحجر
وتهرع عند دوى الرصاص
إلى عشها فى أعالى الشجر
كأن الحصاة بمنقارها
رمى خالد سهمها فانتصر
كأن الأبابيل في صفها
تعبئ أحجارها من سقر[٢٩]

- التكرار:

وللتكرار في شعر التهامي صور منها: تكرار الصدارة، ويكون في صدر البيت كتكرار الفعل (ألقاك)، وحرف الجر (في) في سياق الجمل من المقطع الأخير من قصيدة صلاة حيث يناجي التهامي الله سبحانه قائلا:

ألقاك في الليل البهيم وفي الضحى
ألقاك في صحوي وفي غفواتي
ألقاك في الحق المجلجل في دمي
في زحمة الدنيا وفي خلواتي
ألقاك في السراء عند سعادتي
ألقاك في البأساء والويلات
ألقاك في شكر يضيء بخافقي
ألقاك في صبري وفي الغمرات
ألقاك من حولي وبين جوانحي
في بسمتي تأتي وفي عبراتي[٣٠]

ولا تخفى دلالة هذا التكرار على استعذاب التهامي لقاء الله سبحانه، وأنه يلقاه في جميع أحواله، كما يوحي باستشعار التهامي معية الله في كل وقت وحال.

الصورة الشعرية:

كثرت الصور الشعرية في هذا الديوان، وتنوعت

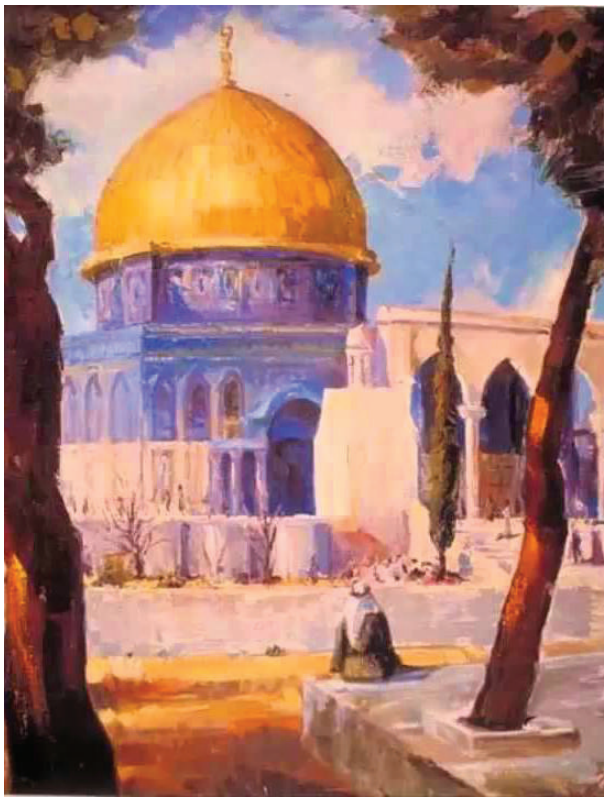

بين صور بسيطة وهو الغالب على الديوان، وصور مركبة، وأخرى كلية، فمن الصور البسيطة أن جعل الشاعر لرحمة الله سبحانه جناحا تستظل به القلوب الصادقة الطاهرة، يقول الشاعر مخاطبا الله سبحانه:

وتحت جناح رحمتك استكانت
قلوب كلها صدق وطهر[٣١]

ومن الصور المركبة تصوير الشاعر حضارة المسلمين بالشجرة العظيمة التي تضرب بجذورها في الأرض الطاهرة بينما تمتد غصونها إلى السماء، ومن ثم فهي حضارة ربانية تخضع الأرض فيها للسماء، يقول الشاعر:

والمسلمون حضارة علوية
الأرض فيها للسماء تدين

إن كان في جوف التراب جذورها
فلها على هام السماء غصون[٣٢]

ويعد التشخيص، والتجسيد من وسائل الصورة لدى الشاعر، حيث يشخص الجهل ويجعله يخدع ضحاياه في جزيرة العرب الذين كفروا بالله الواحد، وعبدوا الأصنام التي صنعوها من الحجارة ظنا منهم أنها تنفع وتضر، وتحيي وتميت، يقول الشاعر:

والناس من حوله في جهلهم رتعوا
والجهل يخدع في الدنيا ضحاياه
باتوا سجودا لأحجار مشوهة
شاهت عبادتهم فيها كما شاهوا[٣٣]

ذاك هو ديوان أنا مسلم للشاعر الإسلامي محمد التهامي، حاولت أن أقف على جلال مضامينه وجمال أشكاله، مجتهدا في الاختصار حتى لا يطول البحث ■

الهوامش:

(١) محمد التهامي، الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ٢٠٠١م، تسابيح، المجلد الثاني، ٦٦
(٢) السابق نفسه، صرخة، ٣٨-٣٩
(٣) السابق نفسه، سر الحياة، ٨١
(٤) السابق نفسه، تسابيح، ٦٩
(٥) السابق نفسه، تسابيح، ٧٠ - ٧١
(٦) السابق نفسه، صرخة، ٣٧-٣٨
(٧) السابق نفسه، في سر الحياة، ٨٠
(٨) السابق نفسه، يا رب، ٢٩
(٩) السابق نفسه، داعي الجهاد، ٤٤
(١٠) السابق نفسه، داعي الجهاد، ٤٤
(١١) السابق نفسه، الهدى والضلال، ٣٥
(١٢) السابق نفسه، يا رب، ٢٨- ٢٩
(١٣) السابق نفسه، صاحب الشريعة الغراء، ٦٠
(١٤) السابق نفسه، في نور الصيام، ٣٢
(١٥) السابق نفسه، يارب، ٢٧
(١٦) السابق نفسه، دعوة الخلاص، ٩٤.
(١٧) السابق نفسه، صاحب الشريعة الغراء، ٥٩.
(١٨) السابق نفسه، أزهار وأشواك، ٤٢.
(١٩) السابق نفسه، مع الله، ٢١.
(٢٠) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، مع الله، ج ٢، ٢٢.
(٢١) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، صاحب الرسالة، ج٢، ٥٧.
(٢٢) سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت.ط،جـ١٠٩،٤، حديث رقم٤٢٩١.
(٢٣) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، داعي الجهاد، جـ٢، ٤٤
(٢٤) سنن أبي داود، جـ٤، ١١١، حديث رقم ٤٢٩٧
(٢٥) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، صاحب الشريعة الغراء، جـ٢، ٦٢
(٢٦) ديوان طرفة بن العبد،شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن، ط٢، ٢٠٠٠م، ٤١
(٢٧) الأعمال الشعرية الكاملة، ديوان أنا مسلم، قصيدة أنا مسلم، جـ٢، ١٧
(٢٨) السابق نفسه، داعي الجهاد، ٤٦
(٢٩) السابق نفسه، القدس، ٥٠-٥١
(٣٠) السابق نفسه، صلاة، ٢٥
(٣١) السابق نفسه، تسابيح، ٦٧
(٣٢) السابق نفسه، يارب، ٢٩
(٣٣) السابق نفسه، المثل الأعلى، ٧٥

إلى أين؟!

شعر : محمد التهامي

أيها السائر أضناك السفر
فاتئد قد ضاع في الدرب الأثر
أنت تجري في فراغ مطلق
كل ما فيه خيال وصور
لا تصدق ما تراه إنه
من سراب كلما تدنو.. يفر

رحل «عاشق العروبة»

بعدما احترق كبده وتقطعت أحشاؤه!

لمْ تخلُ حقيبتي المدرسية يوماً من قصائده، بلْ كنتُ أردد أشعاره في صحوي ونومي، بلْ كنتُ أقلِّب الصحف كلها؛ علِّي أجد له قصيدةً جديدة، وكنتُ أسهر مع أثير الإذاعة لعلِّي أحظى بسماع شِعره، أو سماع من يتحدث عن قصائده العذبة، وكنتُ أقول: يا إلهي! متى أرى هذا الشَّاعر؟ وكيف السبيل إليه؟!

وعندما سمعتُ عن مشاركته في ندوة أدبية.. لمْ أتمالك نفسي من شدة الفرح! في اليوم المحدد؛ توجهتُ إلى هناك.. مشتاقاً لرؤيته؛ كاشتياق الصائم لصوت المؤذن! وكنتُ أسأل الناس بلهفة: أين الشَّاعر؟ متى يأتي الشَّاعر الكبير؟!

عندما أقبل المساء بسكينته؛ فإذا بمن يناديني: هذا هو الشَّاعر الذي تسأل عنه!

فانطلقتُ نحوه كالسهم، ومددتُ يدي لأصافحه، وأفصح له عن إعجابي بأدبه، ومدى تعلُّقي بفنه، وحفظي لديوانه عن ظهر قلب... إلخ، فإذا به يتجهمني، ويذمّ شفتيه، ويمضي بعيداً بعيدا..!

بعد قليل؛ رقَّ قلبه، وسلَّمَ عليَّ بأطراف أصابعه - بعد استغفار تلو استغفار- ثمَّ أدار ظهره، ومضى سريعاً، وكأنه ندمَ على مصافحتي!..

عندئذٍ؛ تحسَّرتُ على شبابي الذي أضعته في قراءة الشِّعر.. فانطلقتُ نحو المنزل؛ لأحرق جميع قصائده!..

بعد أيام؛ التقيتُ الأديب الكبير الدكتور أحمد هيكل- وسألني: ما لي أراك قلقاً مهموماً؟

قلتُ له بغيظ: أنا كرهتُ الأدب وأهله، وأحرقتُ كل دواوين الشعراء، الأحياء منهم والأموات!

فجذبني بقوة، وقال: ماذا تقول.. ماذا حدث لك..؟

فقصصتُ عليه ما جرى.. فهزَّ رأسه، ثمَّ قال بصوتٍ حزين: آه.. لا بأس عليك!

محمد عبد الشافي القوصي -مصر

ليست المشكلة عندك، بلْ عند هؤلاء المجانين.. قاتلهم الله!..

ثمَّ قال بصوتٍ خفيض: اعلم –يا ولدي– أنَّ الشعراء مرضى.. وعزَّ دواؤهم!

يا ولدي؛ الشاعر إنسان غريب غريب، لا يستطيع التصالح مع نفسه، ولا مع الآخرين!.. ثمَّ وضع يده الحانية على كتفي، وقال: أوصيكَ وأبناء جيلك: ألا تتوقفوا عن قراءة الشِّعر، والمداومة على مدارسته وحفظه.. لكن؛ لا تلتقوا بالشعراء أنفسهم، فهؤلاء كالنحل..!

* * *

بعد مرور سنوات على هذه الحادثة؛ وبينما كنتُ أعمل في مجلة «رسالة الإسلام»؛ فوجئتُ بأنَّ الشَّاعر – الذي أحرقتُ قصائده– اختير رئيساً للتحرير.. ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله!..

وقد كلَّفني في –أول لقاء– بإجراء حوار مع الشيخ محمد الغزالي– بمناسبة حصوله على جائزة الملك فيصل العالمية، وقال لي: اذهب إليه فوراً، واسأله عن كذا، وكذا... إلخ!

في اليوم التالي؛ شكرني، وقرر صرف مكافأة كبيرة على ذلك الحوار الرائع!..

الأعجب من ذلك؛ أنه ظلَّ يبدي إعجابه بأسلوبي.. حتى اختارني نائباً له!..

توثقتْ علاقتنا بعد ذلك، إلى الحد الذي كان لا يحتمل أنْ يمر يوم واحد دون أنْ يراني.

وقد حدث أنْ مرضتُ؛ فسأل عن عنواني.. وزارني عند منتصف الليل..

بمجرد أنْ فتحتُ الباب؛ فإذا به يصيح: لماذا غِبتَ عني هذه الأيام..؟ ولماذا تعذّبني كل هذا العذاب..؟ ثمَّ أهداني سلَّة مملوءة بالطعام والفاكهة، وقال: أنا خادمٌ لك يا قُوصِي!!

* * *

ذات مرة؛ عرضتُ عليه قصيدةً لي، كتجربة شِعرية أولى.. فمزقها على الفور، وصرخ قائلاً: لماذا.. لماذا تعذِّب نفسك مثلنا!؟

وفي إحدى المرات؛ تأخرتُ عن موعدٍ كان بيننا.. وبمجرد أنْ رآني؛ نظر في ساعته؛ وقال ساخراً: وتعبدون الله!..

لكن؛ لنْ أنسى عندما دخلتُ عليه مكتبه في الصباح الباكر، فإذا به واجمٌ أشدّ الوجوم.. وألقيتُ عليه السلام مراراً، فلم يجب. اقتربتُ أكثر، وقلتُ: لا أحزنَ الله شاعرنا الكبير!..

فزجرني قائلاً: كيف لا أحزن في ظل هذه المصائب..!؟

ثمَّ أعطاني الصحيفة، وقال: اقرأ هذا الخبر: (قائد جيش البوسنة يستنجد بالعالَم الاسلامي)!

وظلَّ يستغفر ويحوقل، ثمَّ تحامل عليَّ، وقال: اذهب بي إلى مقهى باب اللوق.. وهناك جلس بعيداً، ثمَّ أخرج ورقةً، كتب فيها قصيدته النارية: (وا معتصماه) يقول فيها:

فضحتنا حين قد ضاقت بك السبلُ
فصِحتَ بالأهل تدعوهم وتبتهلُ
يا صاحِ! قومك قد فاتوا مضاربهم
وشُرِّدوا في سواد الليلِ وارتحلوا
إنْ جئتَ تنشدهم يوماً لمكرمةٍ
فليس في نجدةٍ من دارهم أملُ
لا يفرغون لنارٍ في دياركمُ
لأنهم بدواهي نارهم شُغِلوا
وليس معتصمٌ في الدار ينجدكم
لمْ يعد في حِمى أوطاننا بطلُ
وإنْ سمعتم صليلاً في مرابعنا
فإننا في رحاب الدار نقتتلُ
لمْ يبقَ في جهدنا شيءٌ نقدِّمه
فما نلاقي لدينا ليس يُحتملُ

لمْ يبقَ إلاّ احتراق الشعب مثلكم
لأنــه معكم في النـار يشتعلُ

إنَّه الشَّاعر الكبير (محمد التهامي) آخر المقاتلين دفاعاً عن الأصالة، وأزهد من عرفتُ من المبدعين عن الشهرة والضجيج الإعلامي.. وقد تجاهله النقاد – عمداً– لأنه لمْ يصالح، ولمْ يحاب، ولم يجامل أحداً..

وفي ذلك يقول – بحزنٍ شديد: (أحسُّ بمرارة تجاهل النقاد نحوي، وإنْ كان يعزِّيني أن الحركة النقدية بشكل عام، لم تستطع اللحاق بمسيرة الإبداع المعاصرة، ولا أرى في النقد سوى أنه نوع من الترويج أو الشهرة بالنسبة للأديب، وهو يحتاج إلى نوعية من الاهتمام لا تتوافر لديّ؛ لأني أرفضها، فهذا الاهتمام يتطلب إهداء دواوين للنقاد الممارسين لعملية النقد، وقد يتطلب زيارات خاصة إليهم، ومكالمات هاتفية، وغير ذلك مما لا أستسيغه، كما أن الامتناع عن طلب الشهرة؛ صيانة للنفس ورياضة لها، والأديب الحق في حاجة إلى هذا ليواصل رحلته الأدبية إلى أبعاد غير عادية في حياة البشر، لأن البحث عن الشهرة قد يؤدي بالضرورة إلى فقدان التركيز على معاني الحياة وأبعادها ورسالتها الإنسانية).

الحقَّ أقول: مَن قال: إنَّ «التهامي» تسلَّل من طبقات ابن سلام، أوْ شعراء ابن قتيبة، أوْ يتيمة الثعالبي؛ فما تجاوز الحقيقة.... ولمَ لا؟

لقد تجلَّى ذلك خلال رحلته الشِّعرية التي امتدتْ قرابة قرنٍ من الزمان، بدأها بـ: (أغنيات لعشاق الوطن، وأشواق عربية، وأنا مسلم، مروراً بـ: دماء العروبة على جدران الكويت، ويا إلهي، وقطرات من رحيق العمر، وختمها بـ: أغاني العاشقين، وقصائد مختارة).

إنه الشَّاعر الذي كان يحفظ شِعره كله؛ لأنه شِعر حقيقي..

وهو الشَّاعر الذي تُدرَّس قصائده من الخليج إلى المحيط؛ لأنه شِعر حقيقي!..

وهو الشَّاعر الذي تُرجِمتْ قصائده إلى مختلف اللغات الإسلامية؛ لأنه شِعر حقيقي..

وهو الشَّاعر الذي كرَّمته الشعوب والحكومات، ونال كثيراً من الجوائز والنياشين والأوسمة، وجنى ثمرة نبوغه وهو على قيد الحياة..

مات «التهامي» عاشق العروبة؛ التي منحها رحيق إبداعه، وخلاصة أشعاره، وخصَّها بديوان كامل «أغنيات لعشَّاق الوطن» فضلاً عن ديوان «دماء العروبة على جدران الكويت» الذي قال عنه النقَّاد: (إنه أفضل ديوان شِعر صاغ ملحمة الكويت في مراحل الانكسار والانتصار)!

وإنْ شِئتَ استمع إليه، في قصيدته «وطني الكويت»، إذْ يقول:

دار «الكويت» لديها سِرُّ عزتها
إنْ هان كلُّ عصيِّ الأرضِ لمْ تهنِ
تبقى كرامتها زاداً لرحلتها
في بسمة الدهر تكسوها وفي المحنِ!
سيان إنْ أشرقتْ للعين جذوتها
أوْ عضَّها الدهر فاستخفَت ولمْ تَبِنِ
بقي.. تلمُّ شظاياها.. وتُصهرها
حتى تذوبَ فيها قسوة الزمنِ!

رحم الله شاعر العروبة والإسلام محمد التهامي، وجعل ما قدمه في ميزان حسناته■

رحيل شاعر كبير

رحل الشاعر الكبير محمد التهامي آخر ما بقي من أجيال المدرسة التقليدية العريقة في الشعر العربي.. كان شاعرا متميزا بكل المقاييس حيث رصانة اللغة وفصاحة البنيان.

وكان رحمة الله عليه يجيد إلقاء شعره بصوته الجهوري، وعباراته المجلجلة التي كم أثرت في وجدان الجماهير ومسامعها!.. كان دائما شديد الود مع أصدقاء مشواره، وارتبط بعلاقات حميمة مع فرسان القصيدة العمودية.. رامي وصالح جودت وأحمد هيكل.

وقد اختار دائما موقفا لم يتغير في دفاعه عن القومية العربية، وقضايا الإنسان العربي، وكان شديد التعصب للقصيدة التقليدية، مدافعا عن اللغة العربية الفصحى، وخاض معارك كثيرة بسبب ذلك.. وقد دخل في صراعات طويلة مع قصيدة النثر، وكان يرفض كل ألوانها وكل شعرائها ولا يعترف بها..

منذ فترة طويلة غاب محمد التهامي، وحين سألت عنه عرفت أنه يمر بظروف صحية صعبة بعد أن طال به مشوار المرض ومشوار الحياة..

وقد تولى التهامي مناصب كثيرة في الصحافة وجامعة الدول العربية، وإن بقي الشعر قضية عمره وحياته..

وقد تناول في شعره موضوعات كثيرة خاصة قضايا العروبة والإسلام، حيث دافع كثيرا عن حلم الوحدة العربية، وقضى سنوات عمره مدافعا عن هذا الحلم، وكان من أكثر الشعراء العرب الذين تغنوا بالإسلام والدين والعقيدة..

وقد حصل التهامي على جوائز كثيرة في مصر والعالم العربي، وبقي حلمه في الحصول على جائزة النيل حلما مؤجلا.

كان محمد التهامي شديد الود مع أصدقائه من الشعراء، كثير الرفض لكل ما يتعارض مع قواعد وأصول الشعر العربي بتقاليده وأوزانه ولغته..

ومع رحيل محمد التهامي تفقد القصيدة العربية الرصينة واحدا من فرسانها الكبار، وصوتا من الأصوات التي دافعت عن حلم قديم يسمى الوحدة العربية، وقد بقي وفيا لهذا الحلم حتى آخر أيام حياته شعرا وموقفا وتاريخا.

كان التهامي آخر الأشجار العتيقة والعريقة في حديقة القصيدة العمودية التي مازالت تواجه عواصف الحداثة ■

فاروق جويدة- مصر

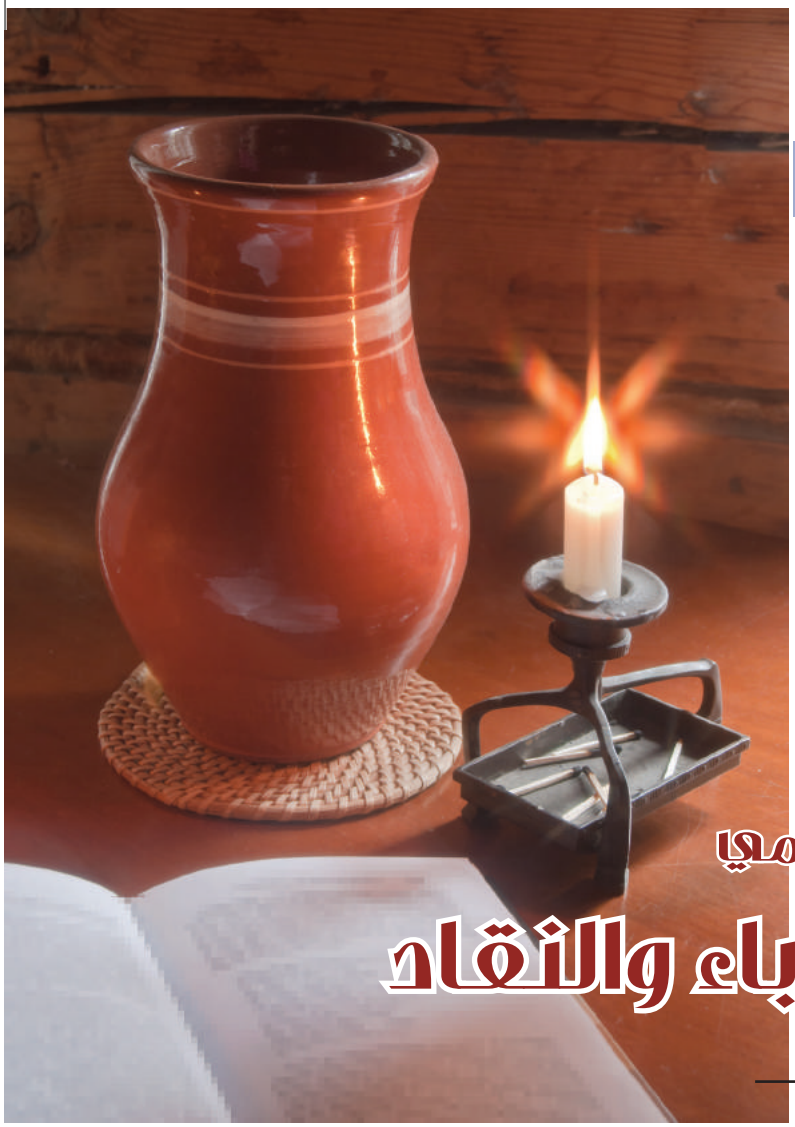

لم يكن نصيب شاعرنا محمد التهامي من نقد غيره ضئيلاً، إذ على الرغم من غزارة نتاجه، لم يتوفر أحد على شعره بدراسة، ولم يشر إلى شعره في أي من الكتب التي عنيت بشعرنا الحديث، ولم ينل شعره من النقد سوى بضع مقالات في الصحف والمجلات.

الشاعر محمد التهامي

في ميزان الأدباء والنقاد

د. السيد أحمد أبو شنب- مصر

والظاهر أن ذلك كله كان لتأخر التهامي في إصدار دواوينه، مع قلة النقاد الجادين، الذين يعتنون بالشعر العمودي، وليس لأنه كان بعيداً عن حركة الشعر الجديد، كما يذهب **الدكتور: شكري عياد في قوله**[١]: «أرجو أن يسمح لي القارئ بأن أنوه بشاعرين، ولو خرجت على ما شرطته على نفسي، وما ذلك إلا لأن النقد أغفلهما إغفالاً تاماً، لأنهما بقيا بعيداً عن حركة الشعر الجديد، وفي ظني أنهما قادران بما يملكه كلاهما من روح شعرية تتغلغل في الماضي وتستشرف المستقبل أن يسهما إسهاماً جليلاً في نهضة الشعر المرتقبة، هذان الشاعران هما: كمال النجمي، ومحمد التهامي»، وكالدكتور شكري عياد في التنويه بالشاعر، مع الإشارة إلى موقف النقد منه، كان **الدكتور يوسف إدريس** في قوله[٢]: «وهناك شاعر يكتب شعراً عمودياً، ولكنه مهم جداً، وهو الشاعر محمد التهامي، وللأسف فإن نقادنا لم يتناولوا شعره بالتقدير الواجب».

أما الذين تناولوا شعره بالنقد، فقد أشادوا به، ونوهوا بشاعريته، ورفعوه إلى الذروة العليا بين شعراء عصره، ومنهم **الدكتور: محمد عبدالمنعم خفاجي**، الذي يقول[٣]: «والشاعر – التهامي – يملك في شعره الرؤيا الإبداعية الملهمة، ويملك الخيال والتصوير الدقيق، والموسيقا العذبة الجميلة، وهو لا شك ثراء روحي كبير، وانطلاقة شعرية رائعة».

وإلى مثل هذا يذهب **الدكتور شوقي ضيف**، حين يقول[٤]: «يتميز التهامي بحسن إلقائه لأشعاره، وحين تقرؤه يؤثر في نفسك، ويمتعك بقوة شعره، ومتانة صياغته،

واكتمال موسيقاه، وهو يحسن استخدام موسيقا الشعر العربي بأوزانها وقوافيها وألحانها، التي طالما وقعتها على قيثارة الشعر العربي أنامل شعرائنا السالفين، واستخرجت نغمات، أثرت آثاراً بعيدة في نفوس الأجيال العربية، وإن الأبيات في قصائد الشاعر التهامي ليأخذ بعضها بتلابيب بعض في رنين موسيقي مؤثر وممتع»، والملاحظ أن كلا الناقدين التفت إلى امتلاك التهامي للموهبة الشعرية، وتميزه في عناصر الشعر المختلفة، من صياغة وتصوير ومعان وعاطفة، وموسيقى، وبناء على نحو ما فصلنا في القول في الدراسة الفنية.

ورفع **الأستاذ عبد الفتاح البارودي شاعرنا** التهامي إلى مستوى الامتياز – على حد تعبيره – حين يقول[٥]: «الشاعر محمد التهامي هو أحد شعرائنا الكبار القلائل الذين وصلوا إلى مستوى الامتياز، لماذا؟ لأن كل قصائده هادفة، ومع ذلك فإنه التزم بجميع قواعد الشعر الموزون المقفى أيضاً».

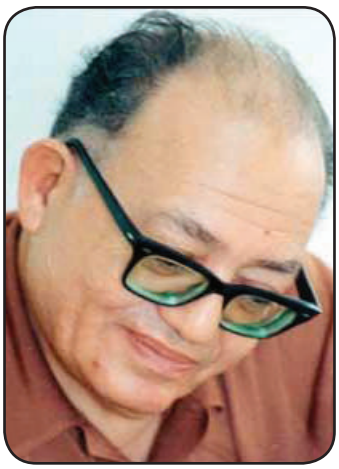

د. شكري عياد

أما **الأستاذ حافظ محمود** فبعد أن يشيد بديوان «أنا مسلم» يقول[٦]: «ولولا أن محمد التهامي قد رسخ شاعريته الفذة منذ زمن بعيد لقلت: إن هذا مولد عبقرية شعرية جديدة».

وقد التفت نقاد شعره أيضاً إلى مذهبه الشعري، فهذا أحدهم يقول في معرض تناوله لديوان «أنا مسلم»[٧]: «والشاعر محمد التهامي أصدر ديواناً نشر فيه مجموعة من القصائد الدينية... وفي ديوانه هذا قصيدة بعنوان (صرخة) يرشدنا فيها إلى معرفة ما في حياتنا وأفكارنا وسلوكنا من سلبيات فيقول[٨]:

قف يا زمان إلامَ أنت تدورُ
حتّامَ تأتينا بكل جديدةٍ
إنا سئمنا العيش في كنف الأذى
أتدور بالدنيا فترفع أهلها
فتمر أعوامٌ بنا ودهورُ
كالسابقات وما لها تغييرُ
دهراً وكدَّر عيشنا التأخيرُ
وتفوت شعباً بالعلاء جديرُ

ربما يقال: إن شاعرنا في مثل هذه الأبيات يسير على ما سار عليه أسلافنا، أي أنه لا جديد في التعبير، ولا في التفكير، والواقع أن قصيدته هذه توضع بين من يسمونهم بالتقليديين، من حيث الصياغة، ومن حيث المعاني، التي لا تتجاوز الشكوى من الزمان، ولكننا لو استعدنا قراءة أبياته فسنجد أنه حرص على أن يكون شعره شديد التقيد بكل قواعد الشعر التقليدي، ورغم ذلك يبدو بكل وضوح، أنه يقرر الشكوى من الزمان بإحساس جديد.

ويقرر **الشاعر مصطفى عبدالرحمن** أن شاعرنا امتداد لمدرسة الإحياء، حين يقول[٩]: «شاعر مقتدر في معانيه وقوافيه، وألفاظه أقباس من نور تواق إلى ما فوق النجوم، وما خلف الغيوم، يتطلع في شعره إلى سوامق الثرى، ويشرف بخياله إلى الأجرام العلا، فتسمع من قيثارته إلى كل مشرق، وكل معجز، وكل جديد، ذلك هو الشاعر محمد التهامي.

فعلى الرغم من أن التهامي عاش تلك الفترة التي صاغ فيها شعراء مدرسة الديوان (شكري – العقاد – المازني) رسالتهم الجديدة في الشعر، وكل شعراء تلك المدرسة ينادون بخصائص لم تظهر في شعر مدرسة البعث، منها الوحدة العضوية التي تضم أبيات القصيدة

في كيان عنوان واحد، وأن يتخذ الشاعر موقفاً فريداً إزاء الكون والإنسان، إلى غير ذلك من الآراء التي نقلوها عن المدرسة الرومانسية الإنجليزية في الشعر، وهي التي تدعو إلى شعر الوجدان، وعلى الرغم من أن التهامي عاصر مدرسة أبوللو، التي قام برئاستها أحمد زكي أبو شادي، والتي كانت تعارض مدرسة الديوان، وترى في الشعر رأياً جديداً، إذ تشبّعت روحه من المدرسة الرومانسية ولغتها المثبتة في كتابات الأدباء والشعراء، وقامت على الإيمان بالعاطفة، وتقديس الشعور، ويقظة الإحساس بعيداً عن النزعة العقلية الفلسفية، التي جاء بها المذهب الكلاسيكي في الفن، أقول: على الرغم من ذلك كله، ومن وجود التهامي بين هذه المدارس لقد عاش التهامي في ذلك الإطار الذي يعتمد على قوة الأسلوب، وجزالة اللفظ، وأكد حفاظه على الصياغة العربية الأصيلة، التي أشرق بها شوقي على الدنيا، محدداً مفهوم الشعر في أنه عاطفة وفكرة تنتظم أحلام البشرية وآلامها وآمالها من خلالها تجربة الشاعر الخاصة، التي يشارك فيها الناس، وقد كتب التهامي في شتى الأغراض، لقد عاش حياته للعروبة والإسلام، ذلك إلى ثقافته العربية وأصالتها، لقد ملأ الشرق بأناشيده، التي يتسع فيها الخيال، ويعمق فيها الفكر عمق الأزل».

د. حسين نصار

يجعل **الدكتور حسين نصار** الشاعر التهامي آخر المقاتلين، دفاعاً عن الشكل القديم للقصيدة العربية، ويبين عدم احتفاله بالمذاهب التجديدية، فيقول بعد أن يذكر أن الله وهب التهامي بسطة في الجسم والصوت[10]: «ووهبه معرفة حميمة بالقصيدة العمودية إن شئت التحدث بلغة المحدثين، أو بالقصيدة العربية المتعارف عليها إن شئت الحياد، فعرف ظواهرها، واستطاع أن ينظم على هداها، ولم يكتف القدر بذلك، فوضعه موضع المنافح عنها، في قوله، وفي شعره، وفي كتاباته، فأخذت تلك الصورة في أعين الناس تلتصق به أكثر فأكثر، بل دفعته إلى ما هو أبعد، جعلته يقصر إعجابه على القصيدة في أكثر صورها التقليدية، وإن كان التعبير الأدق عندي، أكثر تطبيقاً للقواعد الأدبية القديمة، فلم يحتفل بما أحدثه الرومانسيون من تجديدات في أجزاء من شكل هذه القصيدة، وعاد بها إلى صورتها عند الإحيائيين الأوائل في القرن الماضي والحاضر، ومن ثم اتخذ التهامي في ذهني صورة آخر المقاتلين دفاعاً عن الشكل القديم للقصيدة العربية».

بقي أن نشير إلى أمرين يتصلان بنقد شعر التهامي: الأول: الاختيار لشعره. والثاني: التذوق له. أما الاختيار لشعره، فقد كان على أنحاء، منها:

– اختياره للإنشاد، ذلك الاختيار الذي لم يكن للإعجاب به فقط، بل كان للإعجاب بقدرة صاحبه الإنشادية أيضاً، إذ هو – كما أسلفت – ذو أداء جيد طالما أثار المستمعين ودفعهم إلى طلب الإعادة، أو الإنشاد لقصيدة أخرى، كما حدث في مهرجان شعري أقيم بغزة سنة ١٩٦٦م، وفي هذا يقول **الصحفي أحمد صالح**، الذي تابع المهرجان[11]: «ومن القصائد التي تعتبر أعمالاً فنية متكاملة قصائد: أحمد رامي، والدكتور عفيفي محمود، ومحمد علي أحمد، ومحمد التهامي الذي مثل جامعة الدول العربية، وقد ألحت عليه الجماهير لإلقاء قصيدته مرة أخرى، ثم طالبته بإلقاء قصيدة أخرى».

- اختيار عشر قصائد من شعره لتدرس بمناهج الدراسة الإعدادية والثانوية في مصر والجزائر وسوريا والأردن، منها قصائده: العودة، بطل الجزائر، المارد الإفريقي، قصة بورسعيد، وقفة بورسعيد، وهنا إخوتي[١٢].

وفي ذلك يقول التهامي[١٣]: «في مهرجان الشعر في غزة عام ١٩٦٦م وبعد إلقاء قصيدتي:

لا تلمه إذا أطال سؤالهْ
ضاق ذرعاً بما يحس فقالهْ

صاح جمهور الشباب الفلسطيني نريد قصيدة:

إن الذي زيّفوه كله كذبُ
ما لليهود بدار أهلها عربُ

وكانوا يحفظونها من برامج الدراسة، وألقيتها، يومها قال لي المرحوم **الشاعر الكبير محمود غنيم**، وكنت أجلس بجواره، كأننا جئنا لنسمع شعرك، وأردف، ولكن المهم أنهم يحفظونه، وفي الأسبوع الثقافي المصري بالجزائر عام ١٩٨٦م بعد إلقاء قصيدتي:

إلى متى تعظمُ البلوى ونحتملُ
أوراسُ لم يبق إلا أنت والأملُ

صاح الجمهور: نريد قصيدة بطل الجزائر:

في الهول في لهب المجازرْ
ألقاك يا بطل الجزائرْ

وكانوا يحفظونها من مقرراتهم الدراسية أيضاً.

وفي عام ١٩٦٠م على طائرة من القاهرة إلى دمشق عرفتني سيدة سورية، وقالت: إننا ندرس قصيدتك «أخي في سوريا»:

أخي في ربا الشام والغوطةِ
فديتك بالروح والمهجةِ

وقد غلب على قصائده تلك الطابع الوطني الحماسي، الذي يشحذ العزائم، ويثير الهمم، ويدعو إلى الكفاح، وتميزت بقوة الأسلوب ومتانة الديباجة، مع وضوح المعنى. وما يزال كاتب هذه السطور يذكر قصيدته: «المارد الأفريقي» التي درسها وهو طالب في الشهادة الإعدادية سنة ١٩٧٩م، وطالما تغنيت بقوله[١٤]:

أيها الطاغون ردوا نابكمْ
جرحكم فينا عرفنا بلسمهْ

ومنها اختيار إحدى قصائده التي أنشدها في مهرجان المربد الذي أقيم في العراق سنة ١٩٨٩م، لتكتب بماء الذهب على بوابة «الفاو»[١٥].

أما التذوق لشعره - أعني تذوق القراء والمستمعين من غير النقاد - فيبدو - كما قدمنا - في إعجابهم به وتصفيقهم له، ويبدو أيضاً من قول **الأستاذ: حامد سليمان**[١٦]: «في بغداد تحول الأستاذ محمد التهامي الشاعر المصري العملاق، والذي تنحصر شهرته كشاعر في مصر داخل دائرة ضيقة من عشاق الشعر العمودي الأصيل، تحول هناك إلى نجم كبير، وتحول شعره إلى أغنية على كل لسان في المدينة! والسبب قصيدة قصيرة من أربعين بيتاً تحت عنوان «أنا مسلم»، ألقاها في مؤتمر السلام والإسلام.

هذا الشاعر الفذ طالما غنى هنا على ضفاف النيل، فلم يطرب له سوى أحفاد المتنبي على ضفاف دجلة والفرات، ويا مصر كم فيك من المضحكات!»، أو قول **الأستاذ نبيل عصمت**[١٧]: «عزيزي الشاعر محمد التهامي، أعترف أنني لا أميل إلى قراءة الشعر، وقد يغفر لي هذا القصور اعترافي به الآن، ولكني أقولها بكل الصدق: إنني أحببت الشعر عندما قرأت ديوانك الأخير: «أشواق عربية»، ووجدت في أبياتك السهل الممتنع، والبساطة المحببة، وعشقت في قصائدك تمسكك رغم كل الظروف بحلمك الأبدي، الوحدة العربية».

والذي نخلص إليه من ذلك أمور:

الأول: التنويه بشاعرية التهامي، وعناصر شعره المختلفة من صياغة وتصوير ومعانٍ وعاطفة وبناء وموسيقى.

الثاني: التنويه بمحافظة التهامي على الشكل القديم للقصيدة العربية، وعدم التفاته لما أحدثته المدارس الحديثة من تجديدات.

الثالث: براعة التهامي في إنشاد شعره، واستحواذه على إعجاب جماهيره ■

الهوامش:

(١) من مقال (مستقبل الأدب في بلاد العرب)، كتاب الهلال، عدد ديسمبر ١٩٨٩م، مطابع الهلال.

(٢) مجلة الإذاعة والتلفزيون، ٢٩ يوليو ١٩٨٩م، عدد ٢٨٢٧، (ص١٠).

(٣) الأهرام الدولي ١٩٨٨/١١/٩م.

(٤) الأخبار ١٩٨٩/٢/١٥م.

(٥) الأخبار ١٩٨٨/٩/٢٥م، من مقال للأستاذ: عبدالفتاح البارودي.

(٦) المساء الأسبوعية ١٩٨٩/١٠/٢٨م.

(٧) من مقال (مع الشعر الصوفي)، لعبد الفتاح البارودي، الأخبار ١٩٨٩/١٠/١٣م.

(٨) ديوانه: أنا مسلم (ص٣٣).

(٩) من مقال (شاعر في مرآة شاعر)، بجريدة الأهرام ١٩٩٠/٦/١٥م.

(١٠) من مقال (آخر المقاتلين)، للدكتور: حسين نصار، الأهرام ١٩٩٠/١٠/٥م.

(١١) مجلة آخر ساعة ١١ مايو ١٩٦٦، عدد ١٦٤٦.

(١٢) جريدة القبس الكويتية ١٩٩٠/٣/٢٧م.

(١٣) مقدمة ديوانه أشواق عربية (ص٦-٧).

(١٤) ديوانه أشواق عربية (ص٢٦٩).

(١٥) حديث بجريدة الأخبار الكويتية ١٩٨٩/١٢/٢١م، والقصيدة هي (فاو صدام)، ومطلعها:

لم يبق في الفاو في أحضانها حجر
إلا ويحيا لدى أعماقه بشرُ

جريدة الجمهورية العراقية ١٩٨٩/٨/٢٤م.

(١٦) مجلة آخر ساعة (ص٥٤)، بتاريخ ٢٥ يناير ١٩٨٩م، العدد ٢٨٣١.

(١٧) جريدة الأخبار ١٩٨٨/٩/٢٩م.

شاعر الأمة

في رثاء محمد التهامي رحمه الله

شعر نوال مهني- مصر

ها قد مضيتم شاعرَ العرب
مَنْ قد بقي للشعرِ والأدبِ
لبيَتَ داعي الحقِ مرتحلا
في عالم الأسرارِ والحجبِ
راياتُ شعركَ في الدنا سمقت
حتى تجاوزَ هالةَ الشهبِ
يا مَنْ لهُ في الشعرِ منزلةً
نقشت على أثوابهِ القشبِ
دنيا القريضِ اجتاحها حَزَنٌ
تنعي غيابَ السادةِ النُجبِ
كان التهامي في محافلها
نجما فريدا عاليَ الرتبِ
أشعارهُ في القلبِ موقعها
مطبوعةٌ كالرسمِ في الكتبِ
لا.. لا يجارى عند صولتهِ
في ساحةِ الأشعارِ والخطبِ
تهوي على أقدامهِ زمرٌ
من أدعياءِ الزيفِ والريّبِ
خابت أباطيلٌ لهم كشفت
وتساقطت كتساقطِ النصبِ
إنْ ننس لن ننسى جهادكمُ
عن أمّةِ الإسلامِ والعَربِ

خلود الأصالة

إلى حيث صرتم موكب الخلق صائرُ ... وإن طال مكث أنت في الأرض زائرُ

ستمضي يقيناً من حياتك بعدما ... ترى غيب ما قد سطَّرته المقادر

غريبٌ بدنيا الناس أنت إلى مدى ... وإنك في هذا الطريق لعابر

تراءت لك الآيات نوراً لتهتدي ... وجاءتك من رب العباد بصائر

(وما الناس إلا هالكٌ وابن هالك) ... وتبقى هنا للشاعرين مآثر

أيا شاعراً دونت للخلد أحرفاً ... وها أنت من بعد العطاء تغادر

ولكن بما خطت يراعك في الورى ... يقول لسان الدهر ما مات شاعر

* * *

وحيد حامد الدهشان - مصر

أيا بلبل الإسلام غرَّدت باسمه ... وأطربت الدنيا بفيك المشاعر

إذا قيل شعرٌ فالتهاميُّ في الذرا ... له البيت نجمٌ والقصيدة طائر

يغني بأمجاد العروبة حالماً ... بوحدتها إذ نحن قومٌ أكابر

وأشعاره غيثٌ إذا أجدبت رباً ... تشعُّ مع الإلقاء والحرف عاطر

وللقدس كم صاغ المحبة عزةً ... وحيَّا بها من للأباة يناصر

وكانت له نفسٌ عراقية الهوى ... لبغدادَ في عمق الفؤاد أواصر

وفي كل شبرٍ فيه للعرب رايةٌ ... علا صوته عشقاً فشيدت منائر

* * *

وكنت كطودٍ لم تلن منك عزمةٌ ... ولم ترضَ أن يختال في الشعر ناثر

وكنا على وشك اعتدال أمورنا ... وفي الغاب لا ترضى السلامَ الكواسر

وإن كان ربي قد أراد ابتلاءنا ... فطوبى لمن في الساح حراً يصابر

هنيئاً لك الموت الذي هو راحةٌ ... إذا سارت الأيام والحظ عاثر

فما قيمة الدنيا إذا كان نبضنا ... يكبله في ساحة العيش جائر

(سلامٌ على الدنيا سلامٌ على الورى) ... إذا كان للأشواك تعنو الأزاهر

آراء محمد التهامي في الشعر والشعراء

للشاعر محمد التهامي آراء ومواقف في شعره وشعر الآخرين، فهو نقد شعره قبل أن ينقده غيره، وأبدى رأيه وعبر عن مواقفه في بعض الشعراء المعاصرين الذين أثروا في الحركة الأدبية، واتخذ موقفا واضحا صلبا من بعض حركات التجديد في الشعر المعاصر. ونتتبع فيما يأتي بعض آرائه في شعره، وشعر غيره، وذوقه الأدبي والنقدي، ومواقفه من بعض الشعراء.

د.السيد أحمد السيد أبو شنب- مصر

نظرة التهامي إلى الشعر:

فقد تحدث التهامي عن ذوقه الأدبي في جوابه عندما سئل: أين يقف شاعرنا الكبير؟

قال التهامي[١]: «أما أنا فلم أمارس النقد؛ لأني أعتقد أن النقد أمانة كبيرة، ومسؤولية خطيرة، ولا بد لمن يتصدى لها أن تتوفر له جميع أدواته»، يعني كما قال في موضع آخر[٢]: العلم والموهبة والإخلاص. ولا ريب أنه قد صدق فيما قال، لكن من الصدق أيضاً أنه لم يكن بعيداً عما ينبغي للناقد، بدليل ما سبق عن ثقافته وموهبته، ولم يكن بعيداً عن النقد بدليل ما نجد له فيه، فهو يحدد مفهوم الشعر بقوله[٣]: «هو الكلمة القادرة على إثارة المشاعر، وله فوق مقوماته الفنية عبقرية موسيقية، تميز الشعر عن النثر خلال طاقة اللغة نفسها»، ويرى أن «الشعر العربي دون كل أنواع الشعر العالمي هو شعر الموسيقا الظاهرة والباطنة، الخارجية والداخلية، والذي لا يملك ناصية الموسيقى الشعرية تعوزه الموهبة»[٤].

ويقول عن الإبداع الشعري[٥]: «الإبداع قدر من الوعي والتفكير وقدر من اللاوعي، وهو ما يسمى بشيطان الشعر، فمن يؤت هذه الموهبة بأصولها وقواعدها ويستطع الإبداع فهو شاعر».

ويشترط في الإبداع الفني أن يكون صادقاً، وتعبيراً عن تجارب حقيقية[٦]، ويرى أن الشعر فن رفيع يختلف عن الأعمال العادية في الحياة، فهو يختلف عن الحديث النثري[٧].

وللشعر[٨] عنده «هدف عام، وهو الارتقاء بحياة الإنسان، ودفعه إلى حياة أسمى. وله ثانياً هدف خاص وهو التعبير عن الوجدان الذاتي، أو الوجدان الجماعي في غمار الحياة المعيشية، حيث يكون هدفه معايشة المشاكل العامة، ومحاولة التأثير في وجدان الناس ابتغاء الوصول إلى الحل، وفي هذه الحالة يكون للشعر هدفه المباشر الواضح».

وعن دور الشعر في الصراع يقول[٩]: «... ولا أشك في أن الشعر بشكل عام هو محرك الوجدان، ودافع الحركة، وراسم الهدف، وهو في الوجدان العربي قوة ضخمة».

وأما دوره في الحضارة فإنه كما قال[١٠]: «لعب دوراً مهماً في الحضارة، ولكنه لا يصنع الحضارة كاملة، ولكنه من العناصر الأخرى، يكون مؤثراً في دفع الناس إلى المثل العليا».

وكما بيَّن مفهوم الشعر الإسلامي، وتابع التطور الذي حدث له على مر العصور، فقد بين موقف الإسلام من الشعر، وأوضح أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يكن رافضاً للشعر، بدليل أنه حث على استخدامه في منافحة المشركين، واستمع إلى إنشاده، وأثاب على ذلك[١١].

وإنه ينتقد القائمين على نشر الشعر في الصحف والمجلات والإذاعة؛ لأنهم لا يعدلون بين الشعراء فيما ينشر لهم، ويرى أنَّ هذه ظاهرة خطيرة، وينبه وزارة الثقافة إلى ذلك، حين يقول[١٢]:

«وأعتقد أن من أهم واجبات وزارة الثقافة دراسة هذه الظاهرة الخطيرة على يد كبار الأدباء، غير المنحازين، ثم تصويبها، إحقاقاً للحق المطلق، والعدل المطلق، والرعاية الواجبة للمواطنين جميعاً، الذي يستظلون بسماء الوطن، وتجب رعايتهم، وضمان حقهم فيه سواء، ولا جدال في ذلك».

رأي التهامي في الشعر الجديد:

وشاعرنا يقوم حركة الشعر الجديد، فيقول[١٣]: «منذ ثلاثة عقود نبعت فكرة تجديد الشعر العربي، بالخروج على بحور الشعر، واعتبار التفعيلة أساس

القصيدة، وليس البيت، هذا من ناحية الشكل، أما من ناحية المضمون فالمبالغة في الاتجاه بالتأثر بالشعر الغربي في موضوعاته، وأسلوب تناول الموضوعات، واستعمال الصور الشعرية والقاموس اللغوي الخاص، وهذه المحاولة لها ما لها، وعليها ما عليها. ومع مرور الزمن جاءت تجربة شعر التفعيلة التي وصلت بعد عقدين من الزمان إلى طريق مسدود، فلجأت من ناحية إلى المسرح، ونجحت فيه، ومن ناحية أخرى وثبت ما سمته قصيدة

النثر، ومن فرسانها أدونيس، والتي أرى أنها تبتعد عن الشعر.

ومن حيث المبدأ فإني أؤيد محاولات التجديد، أما من حيث النتيجة فأعتقد أن الاحتكام إلى موقف الجماهير في المدى الطويل هو أحسن معيار للحكم على التجربة، وأرى أن الشعر هو الشعر بموسيقاه كاملة، ولا بد من العودة إليه، وعفا الله عما سلف مما عاناه الكثير من مهاجمة النقاد للشعر الخليلي».

وحينما سئل شاعرنا: أهو شاعر تقليدي أم مجدد؟ وما مظاهر التجديد في شعره؟!

قال [١٤]: «تقسيم الشعراء إلى تقليديين ومجددين مناطه النماذج من إنتاجهم، وإن كان المقصود من الشاعر التقليدي أنه يلتزم الشعر القديم بكل ما فيه، فهذا عيب يخرج الشاعر من حياة الشعراء المعاصرين، فإن الشاعر الذي لا يضيف لا جدوى من شعره، فالشعراء جميعاً يجب أن يكونوا مجددين، وأن يشكل شعرهم إضافة ظاهرة إلى القديم، وإلا فلا داعي له إطلاقاً.

ومظاهر التجديد تظهر عفوياً في إبداع الشاعر الذي يعيش العصر بكل رؤاه وإيماءاته، ومعايشته للواقع، وتطلعه للمستقبل، واستثماره للجو الثقافي والحضاري العالمي العام.

آراء التهامي في بعض الشعراء:

وللتهامي آراء نقدية في بعض الشعراء، فهو يقول عن البارودي[١٥]: «لقد عانى الشعر العربي كثيراً في عصور التخلف العربي حتى قيض الله له الشاعر محمود سامي البارودي في مصر في أواخر القرن الماضي، فأعاد للشعر العربي إشراقه وحيويته وحسن ديباجته، الأمر الذي يضع البارودي في صف عمالقة الشعر العربي». ويقول عن البارودي أيضاً[١٦]:

يا باعث الشعر قد أوتيت موهبةً
كأنما جئت دُنيانا بمعجزة
تكسو العظام بحلمٍ نابضٍ ودمٍ
تحيي مَن الموت أو تشفي من السقمِ

وهو يعلي من منزلة أحمد شوقي، ويساويه بالمتنبي[١٧]، ويقول عن العقاد[١٨]: «العقاد مبدع فكري، هذا فيما كتبه في مجال النثر، أما العقاد في مجال الشعر – وأنا كنت عضواً في لجنة الشعر

وكان مقررها العقاد وطالما تحاورنا – فإنه حاول أن يجعل الفكر شعراً، وإذا أردت أن تجعل الفكر شعراً فلا بد أن توفر له من الصياغة الشعرية ما يستسيغه الناس كما كان يفعل المعري، لكن العقاد يضع فكره في الشعر، ثم يقارن بين نفسه وبين شوقي، وهذا غير وارد، أنا أقول رأيي الذي عليّ وزره، وهو أن العقاد كمفكر أكبر وأرسخ وأعظم فائدة لحركة التطوير الثقافي والحضاري العربي منه كشاعر، ولو أن له ستة دواوين».

وعن رأيه في الشعراء عبدالرحمن الشرقاوي، وصلاح عبدالصبور، وأحمد عبدالمعطي حجازي، يقول[١٩]: «كانت محاولات التجديد محمودة في هدفها، ومبتغاها، ولا شك في أن مدرسة التفعيلة- كما قالت الشاعرة نازك الملائكة، وهي من قادة الحركة التي ألغت نصف موسيقى الشعر العربي- اعتمدت فقط على البحور الصافية، ذات التفعيلة الواحدة «، ويرى شاعرنا أن نزار قباني شاعر لا موقف له، ويمثل عصر التملق ومراهقة الشباب[٢٠].

وفي تقويمه لديوان «ولهيبك قلبي صلوات» للشاعر: عزت محمود علي الدين» يقول التهامي[٢١]: «أول ما لفت نظري في الديوان عنوانه، الذي يقول: «ولهيبك قلبي صلوات»، ففيه يتضح حرص الشاعر على أن يكون العنوان شطرة شعرية موزونة، مما يدل على أن الشاعر حريص على البحور الخليلية حرصاً شديداً، وهو قادر عليها عن علم كبير بها، وقد جاء ديوانه كله شهادة بذلك، وخاصة في الألفاظ القرآنية، التي يحرص على استعمالها كثيراً، ويبدو أنه دارس جيد لعلوم اللغة والأدب..».

مما سبق يتضح أن لشاعرنا موقفاً نقدياً يمكن تلخيصه فيما يأتي:

١ الدعوة إلى وجوب المحافظة على الشكل القديم للقصيدة العربية، وقصر التجديد على المضمون.

٢ الدعوة إلى المحافظة على الصياغة العربية الأصيلة، التي تعتمد على قوة الأسلوب.

٣ الدعوة إلى أن يكون للشاعر رسالة يؤديها في الحياة، وعليه أن يلتزم هذه الرسالة.

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو: هل التزم التهامي بهذا الموقف النقدي في شعره؟.

والجواب: نعم، لأنك لن تجد لشاعرنا قصيدة واحدة تخلى فيها عن الشكل القديم للقصيدة العربية، مع الحرص على الجزالة والالتزام بقضايا وطنه وأمته، التي وقف عليها معظم شعره.

◁◁ نقد التهامي لشعره:

أما نقده لشعره، فآيته في أمور، منها:

محاولة التنقيح والتهذيب، تلك التي كانت عند النظم على ما سبق بيانه، ثم كانت عند النشر لبعض القصائد أيضاً، فعلى سبيل المثال قصيدته (أم الطبول) [٢٢]، التي نشرها بجريدة المساء بتاريخ ١٩٥٩/١١/١٥م، في واحد وثلاثين بيتاً، حينما أعاد نشرها في ديوانه «أشواق عربية» حذف البيت الرابع عشر، وهو قوله:

أعمى بصيرته فكلُّ حياته
نارٌ وغلٌّ ثائرٌ ومهدمُ

وغيّر قوله:

وزعيمنا يدعو وكلُّ دعائه
حبٌّ يسلسلهُ بيانٌ ملهمُ

ليصير في الديوان:

ونداؤنا يعلو وكل دعائه
حب يسلسله بيانٌ ملهمُ

وقصيدته (مسيرة النيل)[٢٣] التي نشرها بجريدة المساء بتاريخ ١٩٦٠/٢/٤م في ستة وعشرين

بيتاً، حينما أعاد نشرها في ديوانه: «أغنيات لعشاق الوطن» حذف البيت الرابع والعشرين، وهو قوله:

لـولا جـمـالٌ مـا بـلـغـنـا حـلـمـنـا
هـذا ومـا هـانـت إلـيـه سـبـيـلُ

وقصيدته (صرخة) [٢٤]، المنشورة في ديوانه (أنا مسلم)، التي أنشدها في أحد المحافل فنقدها الأستاذ: «فاروق شوشة» لأنه قال فيها:

أتـــدور بـالـدنـيـا فـترفـع أهـلـهـا
وتـفـوت شـعـبـاً بـالـعـلاءِ جـديـرُ

برفع «جدير»، وحقه النصب – كما يرى الناقد – لأنه صفة لـ (شعبا) المنصوب، هذه القصيدة عندما أراد نشرها بجريدة الشرق القطرية بتاريخ ١٩٩٠/١٠/١٧م، جعل عنوانها: (المعذبون والمولد النبوي)، وعدل البيت المنقود ليصير:

أتـــدورُ بـالـدنـيـا فـترفـع أهـلـهـا
وتـفـوتُ مـن بـالمكـرمـات جَـديـرُ

ويصح تخريج الرواية الأولى برفع «جدير» على القطع لإرادة المدح.

ومنها: اختياره للنشر شيئاً دون شيء، أعني النشر في الصحف والإذاعة أولاً، ثم في الدواوين ثانياً، أما النشر في الصحف والإذاعة، فقد حرص على أن يكون من شعره الوطني والقومي، وفي التعليل لذلك يقول[٢٥]: «أنا إنسان عربي أعيش زمن النضال العربي ضد القوى المعادية، وما أكثرها، فأنا إنسان أولاً، وشاعرٌ ثانياً، وكان حتماً علي أن أوظف شعري في معركتي النضالية، وهذا طبعاً لا ينفي أنني قلت شعراً في كل الأغراض، لأن الموهبة لا قيود عليها، ولكنني كنت أحرص دائماً على نشر وإذاعة شعري الوطني والقومي أولاً، استهدافاً للتأثير في الجماهير المناضلة».

وأما النشر في الدواوين، فقد كان لبعض شعره الوطني والقومي والإسلامي، حيث نشر من الوطني «أغنيات لعشاق الوطن»، ومن القومي «أشواق عربية»، و«دماء العروبة على جدران الكويت» ١٩٩١م، ومن الإسلامي «أنا مسلم»، ومع أنه لم ينشر كثيراً من شعره في هذه الأغراض كما أشرت عند دراستها، لم ينشر أيضاً شيئاً من شعره في الشكوى والطبيعة والغزل والمديح والرثاء، وقصائده (إلى ولدي)، و(دعاء أم)، و(الجمال العاري).

وحينما سألته: لماذا لم تضمن ديوانك: «أغنيات لعشاق الوطن» قصائدك في رثاء «يوسف السباعي» و«فوزي العنتيل»، و«محمود غنيم»، وغيرهم؟ أجاب بأنه معتز بهذه القصائد، لكن ظروفاً خاصة بالطبع والنشر حالت دون ذلك، هذا بالنسبة إلى هذه القصائد.

أما سائر قصائده التي لم تنشر، فمنها ما لا يمكن أن يقال فيه ذلك، فمثلاً قصيدته: (جيل وجيل) التي نظمها إبّان دراسته الجامعية، والتي وقع فيه خطأ عروضي، كما تقدم وقصيدته في رثاء

جمال عبدالناصر، التي مطلعها [٢٦]:

كان يكفي كان يكفي أن يكون
كان يكفينا ويكفي العالمين

التي لم ينشرها مع أخرى في رثاء جمال أيضاً، مطلعها:

لنكمل الحديث.. فالحديث قد يطولْ

هاتان القصيدتان مما لا يعتز به، ومما لم ينشره، للخطأ في الأولى، أو لضعف المطلع كما في الثانية.

ومنها: إعجابه ببعض شعره الذي كرره، أو تأثر به كما سبق، ومن ذلك قصيدته (عمان والقضية)، التي أنشدها سنة ١٩٦٨م، ونشرها بديوانه (أشواق عربية)[٢٧]، في أربعة وستين بيتاً، وأنشدها مرة أخرى في المؤتمر العالمي للشعراء، الذي عقد في القاهرة في شتاء سنة ١٩٩٠م، تحت عنوان: «نحن الشعراء»، وقصيدته «المارد الإفريقي»، التي أنشدها سنة ١٩٦٥م، بأحد الاحتفالات بالقاهرة، ونشرها بديوانه (أشواق عربية)[٢٨]، ثم نشرها مرة أخرى بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩١/١٠/٤م، والحقيقة أن القصيدتين من عيون قصائده.

دفاع التهامي عن شعره:

ويتمثل ذلك في أمرين: الأول: احتجاجه لمسلكه الشعري. والثاني: تصديه لمن نسب شعره إلى غيره.

أما احتجاجه لمسلكه الشعري، فغير خفي ما للتهامي من دور اضطلع به في المحافظة على الشكل القديم للقصيدة العربية، حتى عده بعض نقاده «آخر المقاتلين» دفاعاً عن الشعر الأصيل – كما سيأتي – وفي ذلك يقول التهامي[٢٩]: «والذي حدث حتى الآن، هو أني حاولت الإبداع ملتزماً موسيقا الشعر العربي بكل أصولها، عازفاً على وتر الشعر الخليلي الأصيل، مرتبطاً بالحداثة التي أعيشها، وأتلقاها من ثقافة حديثة عربية وأجنبية، مطوعاً الأشكال الموروثة لمقتضيات الحاضر».

ويقول أيضاً [٣٠]:

فإنما الشعر موسيقا موقّعةٌ
من لم تطعه قوافيه وأبحره
إلهامه مطلقٌ في قيد ملتزمِ
فما الخليل على هذا بمتهمِ

أما تصديه لمن نسب شعره إلى غيره، فقد كان عندما قرأ بصفحة الأدب بجريدة الأخبار ما ذكره الشاعر «أحمد سويلم» من أن شاعراً أردنياً ألقى قصيدة في مهرجان جرش بالأردن سنة ١٩٨٨م، وأن هذا الشاعر زعم أن شاعراً غيره قد ادعاها، وألقاها في جرش سنة ١٩٨٧م.

حيث بيّن أن هذه القصيدة هي قصيدة «وطني» في رده بصفحة الأدب بجريدة الأخبار أيضاً، إذ يقول[٣١]: «في الأربعاء الماضي نشرت الصحيفة مقابلة مع الشاعر المصري الكبير «أحمد السويلم» العائد من مهرجان «جرش» جاء فيها من قبيل الطرائف، أنّ شاعراً أردنياً يدعى سليمان العيسى عند إلقاء قصيدته زعم أن شاعراً غيره ادعاها، وألقاها في جرش سنة ١٩٨٧م.

وبعيداً عن الظن أن تخون الأستاذ سويلم الذاكرة، فهو إذا كان صادقاً فالشاعر ألقى القصيدة والمقدمة أمام ألف مشاهد، وإن لم يكن فالطرفة نشرت في صفحة الأدب بالأخبار، وهي وثيقة أدبية لها وزنها الكبير، والذي يعنيني هنا، ويعني كل حريص على طهارة الحركة الأدبية، وصدق وشرف الكلمة، أن القصيدة «وطني» المشار إليها هي قصيدتي، وهي المنشورة في ديوان «أغنيات لعشاق الوطن» (ص٤٦)، وأرجو الأستاذ سويلم أن يراجع الديوان، ويقارنها بما سمعه، فالمسألة من

الناحية الأدبية خطيرة جداً، وتستدعي التحقيق، مع ملاحظة:

١- أن مطلع القصيدة – كما نشره الأستاذ سويلم – فيه خطأ بإضافة (قد) فانكسر البيت، وصحته:

وطني كشفت اليوم سرَّك
وعرفتُ في الأهوال قدرك

وهي نتيجة معاناة مرة عشناها بعد نكسة ١٩٦٧م، وحصيلة تجربة شاقة في زيارة لوفد (المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب) لمطار الغردقة، ورؤية الطائرات المصرية محطمة على أرض المطار، وهذا واضح في القصيدة.

٢- ألقيت القصيدة في مهرجان الشعر العربي الثامن بالقاهرة سنة ١٩٦٨م، الذي ألقى فيه نزار قباني «هوامش على دفتر النكسة».

٣- يزعم الشاعر أنه نشر القصيدة في جريدة مسائية بالقاهرة، ولم يذكر اسم الصحيفة، ولا تاريخ النشر، والأمانة تقتضي مطالبته بهذا، وخاصة في إطار الجدية التي تنتهجها صفحة الأدب.

٤- بقي أني لم أتشرف بالاشتراك في مهرجان جرش الموقر، إلا مرة واحدة، يتيمة سنة ١٩٨٥م، بدعوة خاصة من الصديق الأستاذ محمد الخطيب... وإني أفزع إلى صفحة الأدب يقيناً مني بحرصها على تنقية حياتنا الأدبية من الشوائب، وخاصة في هذه المهرجانات التي يلتقي فيها الشعراء العرب، وتوزن فيها مراتب الشعراء، ويرعى فيها الحاضر غيبة الغائبين، أو هكذا يجب أن يكون، وحمداً لله أن أتاح لنا صفحة الأدب، لترد الحق إلى نصابه■

الهوامش:

(١) حديث بجريدة الحياة ١٩٨٩/٨/٧م.
(٢) حديث بجريدة السياسة الكويتية ١٩٨٩/١٢/٢٠م.
(٣) حديث بجريدة الحياة ١٩٨٩/٨/٧م.
(٤) حديث بجريدة السياسة الكويتية ١٩٨٩/٤/٨م.
(٥) حديث بجريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٩/١٢/١٢م.
(٦) حديث بجريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٩/٢/٢١م.
(٧) حديث بجريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٩/١٢/٢١م.
(٨) حديث بجريدة الحياة ١٩٨٩/٨/١٧م.
(٩) حديث بجريدة الرأي الأردنية ١٩٨٥/٥/١٧م.
(١٠) حديث بمجلة اليقظة ١٩٨٩/١/١٥م.
(١١) حديث بمجلة اليقظة ١٩٨٩/١/١٥م.
(١٢) مقال بعنوان «هؤلاء يسدون الطريق علينا» بجريدة الأهرام ١٩٨٩/٧/٢٠م.
(١٣) حديث بجريدة الأنباء الكويتية ١٩٨٩/١٢/٢١م.
(١٤) حديث بجريدة القبس الكويتية ١٩٩٠/٣/٢٧م.
(١٥) مقال بجريدة الأهرام ١٩٨٩/٥/٧م.
(١٦) قصيدة (بين السيف والقلم)، بديوان أغنيات لعشاق الوطن (ص١٣٨).
(١٧) حديث بجريدة القبس الكويتية ١٩٩٠/٣/٢٧م، وانظر: قصيدة (أحمد شوقي)، بديوان أغنيات لعشاق الوطن (ص١٤٤، وانظر (ص٣٥).
(١٨) حديث بمجلة الشموع اللبنانية ٢٥ أيار ١٩٨٧م، العدد ٢٧٠.
(١٩) حديث بجريدة القبس الكويتية ١٩٩٠/٣/٢٧م.
(٢٠) حديث بجريدة الشعب الجزائرية ١٩٨٥/١١/٧م.
(٢١) برنامج «مع الأدباء الشبان»، البرنامج العام ٣,٤٥ عصر الاثنين الثاني من رمضان سنة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨/٤/١٨م.
(٢٢) انظر: ديوان أشواق عربية (ص٤٥).
(٢٣) انظر: ديوان أغنيات لعشاق الوطن (ص١٠٢).
(٢٤) المرجع المذكور (ص٣٣).
(٢٥) حديث بجريدة السياسة الكويتية بتاريخ ١٩٨٩/٤/٨م.
(٢٦) انظر: ديوانه أغنيات لعشاق الوطن (ص١٧٨).
(٢٧) انظر: الديوان المذكور (ص١٩٧).
(٢٨) انظر: الديوان المذكور (ص٢٦٩).
(٢٩) حديث بجريدة القبس الكويتية بتاريخ ١٩٩٠/٣/٢٧م.
(٣٠) قصيدة (رب السيف والقلم)، بديوانه: أغنيات لعشاق الوطن (ص١٤٠).
(٣١) من مقال (قضية في محكمة الأدب)، بجريدة الأخبار ١٩٨٩/٧/٢٦م.

دوامة الحلم

القصيدة الفائزة بجائزة عكاظ في دورتها الأولى.

محمد التهامي - مصر

حُلُمٌ - بغير انتظارِ الحلم - باغتني ... فاغتال صحوةَ أيامي وأرّقني
وأيقظ الأملَ المهجورَ من زمنٍ ... وأضرم النارَ في كَبدي وقيّدني
وشدَّ حلمَ حياتي من متاهته ... وللضياع مع الأحلام أرجعني
فَرُحْتُ للحلم أدعوه وأسمعهُ ... وأحسبُ الحلمَ يدعوني ويسمعني

* * *

رأيتُ حسنَك فوق الحلم فانبهرتْ ... منّي الظنونُ وراحت عنك تدفعني
وصحتُ بالأمل الباقيَ ليدركني ... ويعصرَ الحلمَ..يرويني..ويُسكرني
ورحتُ أدنو.. وأدنو منه محترزاً ... لعلّ حسنَك في علياه يلمسني
وتهتُ بين عذاباتي وأخيلتي ... وكلُّ ما قد جرى حولي يُحيّرني

* * *

غرقتُ في مرفئي الداني ولا أملٌ ... يمدُّ راحتَهُ نحوي وينشلني
وحيَّر اللغزُ إمكاني ومعرفتي ... وراح عن حلميَ المحبوب يبعدني
مسارحُ العطرِ تدعوني لبهجتها ... وقسوةُ الشوكِ حول الوردِ تطردني

* * *

وقفتُ والوهمُ يعوي في مخيّلتي ... وقبضةُ الوهم تطويني وتنشرني
أخشى إذا انسقتُ تُرديني محاذرُهُ ... ويسخر الوهمُ مني وهو يخذلني
فأنثني وسياطُ الوهمِ قاتلةٌ ... تُمزّقُ الثوبَ عن روحي وتجلدني

* * *

وصحتُ أصرخ: يا دنيايَ.. يا أملي ... لا تذهبي فتطيرَ الروحُ عن بدني
فيجمع الطيفُ أولاه وآخرهُ ... يهتزّ يرقصُ في عيني.. يُخايلني
يحوم.. يملأ لي الدنيا مغامرةً ... يحطُّ فوق جراحاتي ويؤلمني
ويركبُ الريحَ في هوجاءَ عاصفةٍ ... أمواجُها ترتمي حولي وتنهرني

* * *

ومن عجيبِ تهاويلي وأخيلتي ... أن البقايا من الآمال تسكنني
أفتّش الريحَ أجري في مجاهلها ... لعلها لشفاء الروحِ تحملني
وأحضن الموجَ أغريه وأدفعهُ ... لعله لحنان الشطّ يدفعني
وأركبُ الأرضَ أسعى في مناكبها ... لعلها تصدق المسعى وتصدقني

* * *

أهيم..أضحكُ من نفسي وأزجرُها ... حيناً أعاتبها.. حيناً تُعاتبني
هل يورقُ الأملُ الذاوي ويدركني ... وينقذُ العمرَ من ليلي ويرحمني؟
أكان كلُّ الذي راودتُه حُلماً ... يظلُّ طيلةَ أيامي يُعذّبني؟

كتب الشاعر محمد التهامي عن الإسلام والمناسبات الإسلامية شعرا كثيرا، فكانت نفسه تجيش في المناسبات التي تمر خلال العام، فتتفتق شاعريته شعرا رقراقا مفعما بالمشاعر الإيمانية العميقة، التي تلامس شغاف القلب، وتحرك المشاعر حبا وسموا وشوقا لتلك المناسبات وما رافقها من أحداث تاريخية، مثل المولد النبوي الشريف، وليلة القدر، والهجرة، والإسراء والمعراج، والصيام والجهاد في سبيل الله.

وكان لأمته العربية نصيب وافر من شعره، فكتب عن العروبة ودعا إلى الوحدة بين العرب، ورفع شعاراً يجب علينا أن نرفعه معه، ونردده بكل فخر واعتزاز هو «أنا مسلم».

محمد التهامي

صاحب شعار: «أنا مسلم»

السيف فاروق - مصر

وقد تمسك التهامي بالشعر العمودي، وظل مخلصا وفيا له، ملتزما قواعده التي كشف كثيرا منها صاحب علم العروض الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله.

وكان التهامي نشطا، فشارك في محافل الشعر على امتداد الوطن العربي والعالم الإسلامي، ولقيت قصائده ترحيبا كبيرا من جمهور الحاضرين والمستمعين، وأضفى عليها إلقاؤه البديع جمالا وبيانا.

ففي مؤتمر للشعر بمدينة غزة عام ١٩٦٦م طلب منه الشباب إلقاء قصيدة كتبها عن فلسطين يقول فيها:

إن الـــذي زيـفـوه كـلـه كـذب
مـا لـلـيـهـود بـــدارٍ أهـلـهـا عـرب

ويقول عن العروبة:

بـنـي الـعـروبـة هـذا يـوم وحدتكم
فـلا تـقـولـوا غـدا قـد لا يـجـيء غد

ويقول في قصيدته التي تحمل عنوان «أنا مسلم» وأنشدها في حفل وزارة الأوقاف بمناسبة المولد النبوي الشريف:

إن قـال داعـي الحـق مـن يـتقدم
فـأنـا الحـقـيـقـة كـلـهـا: أنـا مسلم

ومعلمي في العالمين محمد
صلى عليه الأنبياء وسلموا
وتخيروه لهم إماما صادقا
لما اصطفاه لنا الإله الأعظم

و قد حمل الشاعر محمد التهامي رسالة الحق، وواصل حديثه عن رسالة الإسلام التي آمن بها الناس في كل مكان، فقال:

فطووا رسالات لهم وتزاحموا
حول النبي وبايعوه وأسلموا
شهدوا وهم خير الأنام لديننا
وبأنه نهج الحياة الأقوم

وكان الهم العربي والإسلامي في قلبه أنى اتجه، وفي كل حال، وخصوصا فلسطين التي تعد الجرح الذي مازال يثعب دمه، فيصور الشاعر نكبة فلسطين وكفاح شعبها وبسالة أطفالها الذين يقاومون رصاص الاحتلال بالحجارة، ويقول:

من شاءها حربا فنحن جنودها
حتى يثوب المعتدون ويندموا
هذي فلسطين الأبية ما وهت
يوما وإن غطى شوامخها الدم
إن قلّ في يدها السلاح تسارعت
أطفالها بلظى الجارة تَرجُمُ

ويقول في قصيدة بعنوان (من المخيم) وهي على لسان كل مواطن فلسطيني:

أصبح القتل في حياتي طريقا
ورفيقا على الطريق وغاية
نحن والقتل كالمحبين ذابا
في غرام ولوعة وشكاية

وعن فضائل الإسلام وقيمه النبيلة السامية يقول:

إنا عباد الله ملء قلوبنا
طه وموسى والمسيح ومريم
وجميع أصحاب الكتاب طلائع
منا على النهج القويم تقدموا
فالكلمة البيضاء كل دعائنا
والله يهدي من يشاءُ ويرحم
وبلادنا دار الجميع فكلهم
متقلب في خيرها يتنعم

أما عن الجهاد في سبيل الله فيقول:

يا نائما إن الجهاد فريضة
فوق الفرائض كلها تتسامى
إن صمت أو صليت غير مجاهد
فُتّ الصلاة وما كسبت صياما

ويتحدث الشاعر في قصيدة أخرى عن أحوال الأمة الإسلامية فيقول:

صرنا ضحايا لجهل بات يغرقنا
والجهل يقتل في الدنيا ضحاياه
والحق أثمن ما يسمو الوجود به
ونحن في سفه الجهال بعناهُ

طال الظلام ولم نسأل لغفلتنا
عن الضياء كأنا قد نسيناه
كأننا ورياح اليأس تدفعنا
نكاد نسبقها شوقا لنلقاه

وفي قصيدة بعنوان (صرخة) عن ماضي الأمة الإسلامية ومجد الآباء والأجداد ينادي بأعلى صوته لاستعادة هذا المجد:

قف يا زمان إلام أنت تدور
فتمر أعوام بنا ودهور

حتام تأتينا بكل جديدة
كالسابقات وما بها تغيير
أتدور بالدنيا فترفع أهلها
وتفوت مَنْ بالمكرمات جدير
فنسيت أنك ناشئ في مهدنا
والمجد كان لنا وأنت صغير

يضم ديوان أنا مسلم (١٨) قصيدة تتحدث عن القدس، وصاحب الشريعة الغراء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفي رحاب الحسين، وقصائد بعنوان: تسابيح، المثل الأعلى، داعي الجهاد، أزهار وأشواك، صرخة، الهدى والضلال، في نور الصيام.

ونرجع إلى الوراء عقوداً لنسمع الشاعر النهامي في مؤتمر للشباب عقد بمدينة حلب السورية سنة ١٩٥٠م يقول معتزاً بالعرب والعروبة:

يا حادي الركب قد أنزلتنا حلبا
ألق الزمام فقد أبلغتنا الأربا
هذي معالمها قد هزت جوانحنا
فاجنح إليها وقبّل أرضها طربا
يا دار إنا بنوك منذ ما حملت
طيات أرضك أجدادا لنا عربا

والتهامي لا يتحدث عن العروبة مجردة عن الدين، ذلك أن الدين روح العرب، واللغة العربية لسان الدين الذي نزل به الوحي، كما نلاحظ هذه المعاني في قصيدته «أنا مسلم»، والتي سمى بها الديوان.

ومن المناسبات الدينية ذات الشأن عنده شهر رمضان والصيام وليلة القدر، وقد نظم لهذه العناوين العديد من الموضوعات، يعبر فيها عن التبتل والانكسار بين يدي الله سبحانه، وطلب الأجر الجزيل من الرب الكريم

فقد كتب عن ليلة القدر التي أنزل فيها القرآن الكريم على النبي صلى الله عليه وسلم وهي في وزنها وقدرها خير من ألف شهر، وفيها تجاب دعوات وحاجات السائلين من عباد الله المؤمنين، يقول:

بكل الشوق في قلبي
طرقت الباب يا ربي
يسيل الطهر في دمعي
ليغسل صدقه ذنبي
سألت الله أن يهدي
إلينا نعمة الحب

وكتب التهامي إلى جانب قصائده عن العروبة والإسلام في أغراض الشعر الأخرى في الوطنية والطبيعة والوجدانيات، يقول في قصيدة بعنوان الشاعر:

أتعرف بغية الشاعرِ
ربيع ولكن بلا آخرِ
يعيش يغني لهذا الربيع
ويصدح في روضه الزاهر

ويقول في قصيدة أخرى بعنوان «مناجاة» وهي من أجمل ما كتب الشاعر وتتحدث عن حب الآباء للأبناء:

أنا قادم لك يا بني وحق (ربك) لا تنم
لا تحرمنّ أباك من فمك الشهي إذا ابتسم

وهو من الشعر الإنساني الذي برع فيه الشاعر، فقد تلمس جوانب إنسانية شتى في قصائده، منها قصيدته في ديوان يا إلهي بعنوان: طفل صومالي جائع، يرصد من خلالها مأساة الشعب الصومالي العربي المسلم، فيقول:

أثارت نار أشجاني
بقايا بعض إنسان
عظام غير كاسية
وطيف واهن فان
وأسمال ممزقة
تغطي بعض عريان
ووجه مات أكثره
وغارت فيه عينان
جفاها النور فانطفأت
ولا تحظى برحمان

وبعد هذا الوصف لحالة الطفل الجائع يتحدث عن المسؤولية التي يتحملها أولو الأمر بهذا البلد المنكوب منذ عقود فيقول:

ألا يا ويل من خانوا
قداسات لأوطان
وقد ماتت قلوبهم
فلم تخفق بإيمان
فقادتهم مطامعهم
إلى ذل وحرمان
مات الشعب في يده
ولم يظفر بأكفان
وأصبح عبرة الدنيا
لمحزون وفرحان

وفي قصيدة أخرى يتحدث عن الطفلة البوسنية التي شلت برصاصة قناص صربي، فلم تجد علاجا، وصار الحديث عنها في وسائل الإعلام مثيرا للآلام والأحزان، والشاعر التهامي لا يكتفي بتصوير حالتها، ولكن يقارن بين إيرما البوسنية، وإيرما الغانية بطلة فيلم سينمائي مشهور، موضحا التناقض الذي يعيشه العالم الغربي تجاه قضايانا الإنسانية، فيقول:

لكن إيرما لدينا اليوم ظاهرة
يظنها لاعبوها غير ظاهرة
هم يذبحون دويلات بأكملها
ويضحكون على طفل بمرحمة
ويخدعون خداعا جاز عندهم
ظنا بأن نهانا غير واعية

فالشاعر محمد التهامي في قصائده يمثل الشاعر ذا الرؤية المتكاملة للحياة الإنسانية، والغيب والشهادة، والإسلام والعروبة، فتأتي قصائده محملة بالمعاني السامية، في صيغ فنية راقية انتزعت إعجاب الملتقين، واختطفت جوائز تقديرية محلية وعالمية، وكان صوتا شعريا إسلاميا عاليا يفتخر به ويتباهى، رحمه الله وغفر له ■

ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعل

أبو العلاء المعري

ألا في سبيلِ المَجْدِ ما أنا فاعل ... عَفافٌ وإقْدامٌ وحَزْمٌ ونائِل

أعندي وقد مارسْتُ كلّ خَفِيّةٍ ... يُصَدّقُ واشٍ أو يُخَيّبُ سائِل

أقَلُّ صُدودي أنّني لكَ مُبْغِضٌ ... وأيْسَرُ هَجْري أنني عنكَ راحل

إذا هَبّتِ النكْباءُ بيْني وبينَكُمْ ... فأهْوَنُ شيْءٍ ما تَقولُ العَواذِل

تُعَدّ ذُنوبي عندَ قَوْمٍ كثيرَةً ... ولا ذَنْبَ لي إلا العُلا والفواضِل

كأنّي إذا طُلْتُ الزمانَ وأهْلَهُ ... رَجَعْتُ وعِنْدي للأنامِ طَوائل

وقد سارَ ذكْري في البلادِ فمَن لهمْ ... بإخفاءِ شمسٍ ضَوْؤها مُتكامل

يُهِمّ الليالي بعضُ ما أنا مُضْمِرٌ ... ويُثْقِلُ رَضْوَى دونَ ما أنا حامِل

وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانُهُ ... لآتٍ بما لم تَسْتَطِعْهُ الأوائل

وأغدو ولو أنّ الصّباحَ صوارِمٌ ... وأسْرِي ولو أنّ الظّلامَ جَحافل

وإني جَوادٌ لم يُحَلّ لِجامُهُ ... ونِضْوٌ يَمانٍ أغْفَلَتْهُ الصّياقل

وإنْ كان في لُبسِ الفتى شرَفٌ له ... فما السّيفُ إلا غِمْدُه والحمائل

ولي مَنطقٌ لم يرْضَ لي كُنْهَ مَنزلي ... على أنّني بين السّماكينِ نازِل

لَدى موْطِنٍ يَشتاقُه كلُّ سيّدٍ ... ويَقْصُرُ عن إدراكه المُتناوِل

ولما رأيتُ الجهلَ في الناسِ فاشياً ... تجاهلْتُ حتى ظُنّ أنّيَ جاهل

فواعَجَبا كم يدّعي الفضْل ناقصٌ ... ووا أسَفا كم يُظْهِرُ النّقصَ فاضل

وكيف تَنامُ الطيرُ في وُكُناتِها ... وقد نُصِبَتْ للفَرْقَدَيْنِ الحَبائل

يُنافسُ يوْمي فيّ أمسي تَشرّفاً ... وتَحسدُ أسْحاري عليّ الأصائل

وطال اعتِرافي بالزمانِ وصَرفِه ... فلَستُ أُبالي مَنْ تَغُولُ الغَوائل

فلو بانَ عَضْدي ما تأسّفَ مَنْكِبي ... ولو ماتَ زَنْدي ما بَكَتْه الأنامل

إذا وَصَفَ الطائيّ بالبُخْلِ مادِرٌ ... وعَيّرَ قُسّاً بالفَهاهةِ باقِل

وقال السُّها للشمس أنْتِ خَفِيّةٌ ... وقال الدّجا يا صُبْحُ لونُكَ حائل

وطاوَلَتِ الأرضُ السّماءَ سَفاهَةً ... وفاخَرَتِ الشُّهْبَ الحَصَى والجَنادل

فيا مَوْتُ زُرْ إنّ الحياةَ ذَميمَةٌ ... ويا نَفْسُ جِدّي إنّ دهرَكِ هازِل

وقد أغْتَدي والليلُ يَبكي تأسُّفاً ... على نفْسِهِ والنّجْمُ في الغرْبِ مائل

بِريحٍ أُعيرَتْ حافِراً من زَبَرْجَدٍ ... لها التّبرُ جِسْمٌ واللُّجَيْنُ خَلاخل

كأنّ الصّبا ألقَتْ إليّ عِنانَها ... تَخُبّ بسَرْجي مَرّةً وتُناقِل

إذا اشتاقَتِ الخيلُ المَناهلَ أعرَضَتْ ... عنِ الماء فاشتاقتْ إليها المناهل

ولَيْلان حالٍ بالكواكبِ جَوْزُهُ ... وآخرُ من حَلْيِ الكواكبِ عاطل

كأنّ دُجاهُ الهجْرُ والصّبْحُ موْعِدٌ ... بوَصْلٍ وضَوْءُ الفجرِ حِبٌّ مُماطل

قَطَعْتُ به بحْراً يَعُبّ عُبابُه ... وليس له إلا التَبَلّجَ ساحل

ويُؤنِسُني في قلْبِ كلّ مَخوفَةٍ ... حليفُ سُرىً لم تَصْحُ منه الشمائل

من الزّنْجِ كَهلٌ شابَ مفرِقُ رأسِه ... وأُوثِقَ حتى نَهْضُهُ مُتثاقِل

كأنّ الثريّا والصّباحُ يرُوعُها ... أخُو سَقْطَةٍ أو ظالعٌ مُتحامل

إذا أنْتَ أُعْطِيتَ السعادة لم تُبَلْ ... وإنْ نظرَتْ شَزْراً إليكَ القبائل

تَقَتْكَ على أكتافِ أبطالها القَنا ... وهابَتْكَ في أغمادِهنّ المَناصِل

وإنْ سدّدَ الأعداءُ نحوَكَ أسْهُماً ... نكَصْنَ على أفْواقِهنّ المَعابل

تَحامى الرّزايا كلّ خُفّ ومَنْسِم ... وتَلْقى رَداهُنّ الذُّرَا والكواهِل

وتَرْجِعُ أعقابُ الرّماحِ سَليمَةً ... وقد حُطِمتْ في الدارعينَ العَوامل

فإن كنْتَ تَبْغي العِزّ فابْغِ تَوَسّطاً ... فعندَ التّناهي يَقْصُرُ المُتطاوِل

تَوَقّى البُدورُ النقصَ وهْيَ أهِلّةٌ ... ويُدْرِكُها النّقْصانُ وهْيَ كوامل

قلب الأم

دق (علي) الباب بطرقات متتابعة ورجلاه تقفزان من شدة الفرح.. هبت والدته من مطبخها تنظر الطارق:

مهلا مهلا أنا قادمة..

يواصل (علي) طرقاته دون أن ينتبه إلى صوت أمه القادم من خلف الباب.

فتحت الأم الباب، فولج إلى البيت مسرعا، وألقى المحفظة على مائدة الطعام.. أطلق العنان لصراخه:

- أمي أمي.. لقد وفيت بالوعد.. حصلت على المرتبة الأولى بين زملائي وأعطتني المعلمة قصة جميلة..

فرحت به أمه فرحا شديدا، وقبلته وضمته إلى صدرها وهي تقول:

لم يخب ظني فيك يا ولدي، وعدتني بالمرتبة الأولى وها أنت تحصلها..

أمسكته من يده، واتجهت به صوب غرفة نومها، لكنها طلبت منه قبل ذلك إغلاق عينيه ففعل.. دخلت به الغرفة ثم قالت: افتح يا سمسم..!

لما أرسل بصره نحو سرير نومها رأى فوقه الهدية التي وعدته بها.. نظر إليها وعيناه تدمعان، ووجنتاه تتوردان، ثم قال:

- هل كنت تعلمين الخبر قبل وصولي يا أمي؟ أجابت الأم:

- لا لا يا بني، لم يكن في علمي شيء، لكني كنت واثقة من وعدك لي، وكان قلبي يحدثني بأنك لن تخيب ظني، لذلك قَدمتُ شراء الهدية حتى تكون مفاجأة لك، وتعلم مدى ثقتي بك أيها الغالي.

عمر طاهيري - المغرب

وقد كان لهذه الكلمات أثر كبير على نفسية علي، فارتمى في حضن أمه وراح يبكي بكاء الفرح ويعلن لها حبه الشديد، وحرصه على رضاها عنه.

* * *

قضى (علي) صيفه في فرح وسرور مع أمه.. ثم انقضت العطلة وعاد التلاميذ إلى فصولهم الدراسية.

مع اليوم الأول التقى (علي) بتلميذ يدعى (نَحس) فطال بينهما الحديث وقامت بينهما صداقة، فقررا أن يجلسا معا على طاولة واحدة.. وكان هذا الصديق الجديد لـ(علي) تلميذا كسولا مشاغبا قبيح الأخلاق، ليست له رغبة في الدراسة..

مضت الأيام الأولى و(علي) يحاول أن يكون طبيعيا كما كان من قبل.. يراجع دروسه ويرفع يده ليجيب حين يسأل المدرس.. لكن مع توالي الأيام بدأ (علي) يتأثر بجاره وصديقه (نحس)، فحينا يأتي مراجعا دروسه، وأحيانا كثيرة لا يراجعها، وكان جاره يحاول منعه كلما أراد أن يجيب عن سؤال سأله الأستاذ، بل إنه صار يشارك في إزعاج المدرس كما يفعل زميله بين حين وآخر.. فتراه يحمل ورقا أو غير ذلك فيرمي به الأستاذ أو أحد زملائه، وأحيانا يحدث أصواتا غريبة كما يفعل جاره (نحس).. وزاد الأمر عن حده فصار يعنف زملاءه في الفصل، ويصرخ في وجه مدرسيه، ولم يعد أحد يطيقه، سواء من التلاميذ أم من المدرسين..

مضى وقت وجاء وقت الامتحانات فحصل على علامات متدنية جدا، لا يمكن أن تقارن بما كان يحصل عليه من قبل إطلاقا.. وكان ذلك في كل المواد التي يدرسها.. فكانت النتيجة الطبيعية لذلك هي الحصول على الرتبة الأخيرة في الفصل بين زملائه.

* * *

أخذ النتيجة وذهب إلى بيته منكس الرأس، باكي العينين، شاحب الوجه، متثاقل القدمين، كأنه لا يريد أن يصل إلى بيته.. فجأة.. عادت إليه ذكريات نفس اليوم من العام الماضي، وكيف كان يسير إلى البيت كأن الريح تحمله حملا إلى والدته من شدة السرعة التي كان يسير بها، كما تذكر كيف كان الأساتذة يفرحون به ويهتمون به أشد الاهتمام، ويسألون عنه إذا غاب، ويتذكر أصدقاءه الذين كانوا يفرحون به ويلتفون حوله باستمرار، يتذكر كل ذلك ويبكي بمرارة ويقول: بئس الصديق أنت أيها (النحس)!، بئس الصديق أنت أيها (النحس)!..

أخيرا وصل إلى البيت.. طرق الباب طرقات خفيفة لا تكاد تسمع؛ وكأنما يخاف أن يفتح الباب فيرى وجه أمه التي تنتظر الوفاء بالوعد..

فتحت أمه الباب، فدخل منكس الرأس لا يستطيع النظر إلى عينيها.. علمت ما به فأخذته من يده بعدما طلبت منه إغلاق عينيه كالعادة، واتجهت به نحو غرفة نومها.. وقف ينتظر لحظات، ثم قالت الأم: افتح يا سمسم. أخذ العلبة وفتح الشريط ليجد بداخله رسالة، أخذ الرسالة ففتحها ليجد بداخلها ورقة كتب عليها: خيبت ظني يا ولدي.. خيبت ظني يا ولدي..

انهار(علي) بالبكاء وارتمى على أمه يبكي بكاء الأمل، ويقول: كيف عرفت أني حصلت على هذه النتيجة يا أمي؟ رفعت أمه رأسها إلى السماء وهي تقول: قلب الأم دليلها! قلب الأم دليلها!

لكن قلب الأم لم يقو على تحمل بكاء طفلها.. أمسكت وجهه بين يدها ومسحت دموعه ثم قالت: أغلق عينيك. أغلق (علي) عينيه لحظات، ثم قالت: افتح يا سمسم.. إنها هدية العام القادم.. لكن.. لن تفتحها إلا في مثل هذا اليوم.. استوعب (علي) الدرس جيدا، وقرر أن يعود إلى حالته الأولى، ويتسلم هدية العام القادم، وينال ثقة أمه من جديد ■

نحو رؤية مستقبلية لأدب الطفل العربي

تبذل كل أمة متحضرة أقصى ما في طاقاتها للعناية بالأطفال، فهم أملها ومستقبل حياتها. فالأطفال ثروة الأمة وأساس مستقبلها، وهم قرة أعين، قال تعالى: «وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا» (الفرقان- ٧٤)، وهم زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» (الكهف- ٤٦).

والأدب هو وعاء الحضارة، فهو الإمتاع العقلي والوجداني لإبداع العلم والمعرفة والفن، ولاشك أن أدب الأطفال هو أهم الآداب جميعاً باعتباره الموجه للجيل الصاعد، وغارس العادات، ومقوم التربية والأخلاق، وموضع أمل الآباء والمجتمع.[١]

والأدب بشكل عام يعني كل ما كتبه الأدباء والكتاب والمؤرخون عن تجاربهم بشكل خاص، وعن التجارب الإنسانية بشكل عام، من خلال رواية أو مسرحية أو ملحمة أو معلقة أو نحو ذلك من أشكال الأدب.

وأدب الأطفال واحد من الأشكال الأدبية الصعبة التي لا يقوى على الخوض فيها سوى أديب متمكن له من الحس والخيال ما يمكنه من الوصول إلى أعماق الطفل.[٢]

د.محمد محمود العطار - مصر

مفهوم أدب الأطفال:

يشير مصطلح أدب الأطفال إلى ذلك النوع الأدبي المتجدد الذي نشأ ليخاطب عقلية الصغار، ولإدراك شريحة عمرية لها حجمها العددي الهائل في صفوف أي مجتمع، فهو أدب مرحلة متدرجة من حياة الكائن البشري لها خصوصيتها

وعقليتها وإدراكها وأساليب تثقيفها في ضوء مفهوم التربية المتكاملة التي تستعين بمجالي الشعر والنثر، بما يُحقق المتعة والفائدة لهذا اللون الأدبي الموجه للأطفال.[٣]

ويشمل أدب الأطفال كل ما يقدم للأطفال من مواد تظهر فيها المعاني والأفكار والمشاعر، وتتخذ شكل القصة أو الشعر أو المسرحية أو المقالة أو الأغنية، وتنقل للطفل عبر وسائط مختلفة مثل الكتاب والشريط والصحيفة أو المجلة أو المسرح.. إلخ.

ويعرفه الباحثون بأنه: كل محتوى لغوي يتوفر فيه عنصرا الأدب، وهما: جمال اللفظ، وسمو المعنى، إلى جانب عنصر ثالث وهو التناسبية.

ونقصد بالتناسبية: مناسبة المحتوى من حيث الشكل والمضمون لقدرات الأطفال وميولهم ومستويات نموهم ولبيئاتهم التي يعيشون فيها.

وهناك تعريف جامع لأدب الأطفال هو: الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً، وسواء أكان شفوياً بالكلام أم تحريرياً بالكتابة، فهو لم يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال المتعة الفنية إلا لأنه مناسب في شكله ومضمونه للمرحلة العمرية التي يعيشها الأطفال.[٤]

إن الأدب هو وقع الوجود على الوجدان، معبراً عنها بكلمات تصاغ في قالب قصيدة، أو قصة، أو رواية، أو مسرحية، أو تمثيلية تليفزيونية، أو برنامج إذاعي...

بدايات أدب الأطفال:

إن أدب الطفل جديد، وفي الوقت نفسه قديم، هو جديد مصطلحاً، حيث انتقل إلينا من الغرب عن طريق جهود الشاعر أحمد شوقي عندما تأثر بالشاعر الفرنسي «لافونتين»، الذي نظم وهو في فرنسا ثلاثا وخمسين حكاية على لسان الحيوان متنوعة المغزى والاتجاه، مختلفة الإطار، ولكنها متفقة في اللغة والهدف الوطني والتهذيب. وكان كلما كتب نهاية لحكاياته جمع الأطفال المصريين، وحكى لهم الحكاية التي نظمها، وشاهد انطباعاتهم ودونها، ليستفيد في صياغة ما سوف يكتبها من حكايات.[٥]

ويعد أحمد شوقي أول من قدم إنتاجاً شعرياً للطفل، وذلك في عام ١٨٩٨م. أما أول من قدم إنتاجاً نثرياً للأطفال فهو كامل الكيلاني عام ١٩٢٧م، وهو قديم لأن تراثنا القصصي العربي (كليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة وغيرهما) والذي كتب للكبار يمكن أن يكون قد قدم للصغار، وكذا الأشعار والأغاني التي تتغنى بها الأمهات لأطفالهن، أو ما يسمى بأغاني هدهدة الأطفال، ولكن تظل مثل القصص ذات ألفاظ ومعان فوق مستوى الأطفال.[٦]

والمتتبع لأدب الأطفال يصل إلى حقيقة تقول: إن الحضارة الإنسانية قد سجلت للمصريين القدماء أنهم أول شعوب العالم القديم تناولاً لأدب الأطفال، حيث حفظوه على ورق البردي، ومرسوما على المعابد والقصور والمقابر.

وسجل التاريخ الإنساني أن الشعوب المجاورة للمصريين خصوصاً سكان وادي الرافدين، قد أخذت عنهم، وتعلمت منهم، ومنها القدماء الذين خلفوا تراثاً أدبياً رائعاً تميز بصدق العاطفة، وحسن الأداء، وجمال الصورة.

ولقد أدرك العرب القدماء بفطرتهم النقية الأصول التربوية التي تدخل الفرحة على قلوب أطفالهم، بما قدموا لهم من أدب يوفر لهم صفاء النفس، وهدوء الخاطر، وراحة الجسم، فأكثروا من الشعر، وأقلوا من النثر، لما فيه من عناء الحفظ، وصعوبة التسجيل، فقد كانت الكتابة مقصورة على فئة من الناس إلى حد الندرة، ومن هنا كان الإقبال على الشعر لسهولة حفظه، وخصوصاً أن الشعر بضاعة العرب الرائجة في أسواقهم الأدبية[٧]

ولقد كان اهتمام رواد أدب الأطفال الأوائل في العالم العربي نقل النموذج الغربي، إذ ارتبطت نشأة أدب الأطفال في العالم العربي في مئة السنة الأخيرة التي شهدت ظهوره فنا مستقلا بنظيره في أوروبا، وهذا يعني أنه نشأ في إطار التقليد للأمم الغربية التي قطعت شوطاً مهماً في إبراز معالم هذا النوع الأدبي وخصائصه النوعية، فقد كان دافع الرواد الأوائل في العالم العربي من وراء الكتابة للطفل والترجمة له، هو نقل التجربة الأوروبية دون تدقيق فيما يتم تلقينه للطفل، مما قد يكون له أثر سلبي على وعيه بمحيطه وتاريخه وحضارته.

أهمية أدب الأطفال:

يعد أدب الأطفال وسيطاً تربوياً يتيح لهم الفرصة لمعرفة الإجابات عن أسئلتهم واستفساراتهم، ومحاولات الاستكشاف، واستخدام الخيال، وتقبل الخبرات الجديدة التي يرفضها أدب الأطفال. إنه يتيح الفرصة أمام الأطفال لتحقيق التنمية المتكاملة لشخصية الأطفال وعقلهم وتفكيرهم.

ولأدب الأطفال أهمية كبيرة إذ لا يقتصر دوره على المتعة والتسلية، لكنه إلى جانب ذلك يثير فكر الطفل ويجعله أكثر تفهماً للحياة. إن أدب الأطفال يلعب دوراً كبيراً في بناء شخصية الطفل وتلبية حاجاته المختلفة، وتهتم كثير من الدول والمجتمعات منذ زمن بعيد بأدب الأطفال، وزاد الاهتمام في عصرنا الحاضر حتى أصبحت هناك مؤسسات ومنظمات عالمية للعناية بأدب الأطفال كالمجلس العالمي لكتب الأطفال، كما أن كثيراً من جامعات العالم تضم أقساماً تعنى بالبحوث والدراسات المتخصصة في أدب الأطفال، وهناك جوائز عالمية مخصصة لما يقدم للطفل من أدب وفنون.[٨]

إن الأدب يعود الأطفال حسن الإصغاء، وتركيز الانتباه لما تفرض عليهم القصة المسموعة من متابعة لأحداثها، تغريهم بمعرفة الجرأة في القول، ويهذب أذواقهم الأدبية، كما أنه يمتعهم ويسليهم ويجدد نشاطهم، ويتيح فرصاً لاكتشاف الموهوبين منهم، ويغرس في نفوسهم الروح العلمية، وحب الاكتشافات، والروح الوطنية، ويوجههم إلى نوع معين من التعليم الذي تحتاجه الأمة في تخطيطها كالتعليم الفني، وذلك بإظهار مزايا هذا النوع من خلال سلوك محب لأصحاب هذه المهن.

واقع أدب الطفل العربي:

كانت بدايات كتب الأطفال عبارة عن ترجمات بإشراف جهات غربية ومساهمات عربية محلية لإصدارات أجنبية يغلب عليها صفة التغريب والانهزامية أمام مقدرات الغرب، ثم ظهرت كتب عربية اعتمدت فقط على الحكايات الشعبية والأيام والمعارك المحلية وصاغتها بصياغة معاصرة مما أثر في مستوى المضمون الذي تحمله.

وتعتبر قصة السندباد البحري التي ألفها كامل الكيلاني عام ١٩٢٧م أول ما كتب في الأدب العربي المعاصر للأطفال. وبالإضافة إلى ندرة كتاب الطفل وانخفاض مستواه فإنه عانى ولا يزال من غياب المتخصصين، وتدني الدقة العلمية، وعدم التمييز بين المستويات العمرية للأطفال، إضافة إلى الإخراج الرديء، والاعتماد على الاقتباس والنقل في الرسوم من الغرب، وأخيراً ارتفاع سعر الكتاب الجيد وهو قليل جداً مما يجعله بعيداً عن متناول الأطفال.[٩]

ويستهلك العالم العربي نسبة ضئيلة من الورق المستخدم في طباعة الكتب، وللمقارنة فقط نجد أن العالم العربي يستهلك أقل من ١٠٪ من استهلاك بلجيكا التي لا يتجاوز عدد سكانها بضعة ملايين نسمة، ولو خصصنا كتاب الطفل لوجدنا أنه لا يتجاوز نسبة ٥٪ من الكتاب المطبوع بعامة في الوقت الذي يقارب الأطفال نسبة ٥٠٪ من السكان مقارنة بنصيب الطفل الغربي من الكتاب والذي يتراوح بين ٢-٥ كتب لكل طفل في السنة فإن نصيب الطفل العربي سطر واحد من كتاب.[١٠]

وتشير الإحصاءات إلى أن هناك سبع دول عربية لا توجد فيها أي مجلات أسبوعية، وهناك خمس دول أخرى تقدم مجلة أسبوعية واحدة للطفل، وهناك أربع دول تقدم مجلتين أسبوعيتين، بينما تقدم قطر ٤ مجلات، والسودان ٦ مجلات، ويصل هذا إلى أقصاه في لبنان حيث توجد ١٠ مجلات أسبوعية موجهة للطفل. وليست هذه الصورة أفضل من صورة المجلات الشهرية حيث نجد أربع دول لا تقدم أي مجلات شهرية، وخمس دول تصدر مجلة واحدة، أما بقية الدول العربية فتصدر ما يتراوح بين مجلتين وخمس مجلات شهرية.[١١]

كما تعد ظاهرة موت مجلات الأطفال، وهي في أوج طفولتها أو شبابها في بعض أقطار بلاد الشام ظاهرة مألوفة، مثل «أروى»، و«لونا»، و«الكرتون العربي» في الأردن، كما أن معظم المجلات اللبنانية لاقت المصير نفسه مثل «سامر»، و«هزار»، و«سوا»، و«تاريخنا». أما مجلتا «أسامة» و«الطليعي» السوريتان فهما مدينتان باستمرارهما إلى الدعم الرسمي وإلى حالة التقشف التي تعيشها الأولى منذ صدورها.

وتنبت مجلة الطفل العربي عادة قرب نبع تمويل كبير أو صغير، ثم تنمو مستمدة طاقتها وعوامل استمرارها مما يمدها به هذا النبع، فإذا شح النبع تبدأ أوراق المجلة بالاصفرار والذبول، ثم لا تلبث أن تموت وتندثر، ولم تنجح مجلة عربية للطفل في أن تقوم بذاتها وبجمهورها. كيف يحدث هذا في عالم يضم أكثر من ستين مليون طفل وفتى يتكلمون لغة واحدة، ويجمعهم تراث ثقافي واحد؟![١٢]

وإذا كانت هناك بعض المجلات التي ما تزال تقاوم الفناء مثل مجلة «أحمد» و«صادق» في لبنان، و«وسام» و«لونا» و«الفتيان» في الأردن، و«أسامة» في سوريا، إلا أنه لا توجد خصوصية قطرية لدى هذه المجلة أو تلك في لبنان وسوريا والأردن، فنادراً ما نعثر في هذه المجلات على مادة مستوحاة من الفلكلور المحلي أو المرويات الشعبية، ولا نجد اختلافات فنية كبيرة بينها، ولا خصوصية في التوجه الثقافي، فجميعها تخاطب قارئاً واحداً في الغالب.

وإذا كانت المادة الموضوعة فيها تتفاوت من حيث الجودة والرداءة، فإن الغالب عليها هو التوجه التربوي المباشر على حساب العناصر الفنية، فالهاجس المدرسي هو الذي يسكن ذهن الكاتب، ولا نجد اهتماماً بالعناصر الفنية المعروفة للقصة، بل ينصب الاهتمام على التوجيه والإرشاد.

وفي بعض هذه المجلات لا نجد أفكارا فذة، ولا نجد حبكة مشوقة، ولا يوجد ما يسلي ويمتع ويدهش،

ولا توجد لغة فنية، كما أنها لا تعتمد على مواهب حقيقية في التأليف والتحرير، ولا تتشدد في فحصها وتقويمها لما يتدفق عليها من مواد، كما تفتقد بشكل خاص إلى الرهافة وروح المرح والجرأة والشجاعة في البحث عن المدهش والجميل الذي يتعارض أحياناً مع الأنظمة الصارمة للبيت والمدرسة.[١٣]

وتعد صحافة الأطفال فناً أدبياً ناشئاً في معظم دول العالم، فصحافة الطفل لها دور تربوي كبير، فهي تساعد الطفل على تكوين الميول والاتجاهات وتنمية المواهب.. وصحافة الطفل عندنا لا تقوم على أسس فنية مدروسة يمكن أن تضمن البقاء، وأن هذه الصحافة لا تزال بمعظمها تجريبية، وإن تجاربنا التي تتراكم في هذا المجال تذهب سدى، إذ لا نكلف أنفسنا عناء فحص هذه التجارب والإفادة منها من أجل تلمس الطريق نحو مجلة للطفل صحيحة وسليمة تلبي احتياجاتنا الفنية والثقافية.[١٤]

وفي نفس الوقت نجد أن الأسواق العربية تعج بعشرات المجلات المترجمة والمصورة التي لا يعنيها أن تحقق هدفاً تربوياً بقدر ما يعنيها الربح التجاري والتوزيع الواسع لمطبوعاتها، وهذه المجلات تجتذب أطفالنا لما تتميز به من كثرة المسلسلات المصورة المحببة للأطفال، وكذلك تقديمها صوراً من البطولات الزائفة.. وإذا بحثنا في مضمون هذه المجلات نجدها تمتلئ بقصص بوليسية تشجع الجريمة، وتعلم الطفل كيف يتهرب من القانون، ويتمرد على المجتمع.. وتجعل من المجرم بطلاً.. ومن الفأر أسداً.. ومن الجبان فارساً، فتقلب الحقائق رأساً على عقب.. هذا إلى جانب أنها تعلم أطفالنا كثيراً من العادات السيئة الخبيثة مثل الهروب من المدرسة، والتدخين، والتقليد الأعمى..[١٥]

وتكمن مشكلة أدب الأطفال في قلة الإنتاج الأدبي الجيد للأطفال، وفي عدم الاهتمام بهذه المشكلة إلا أخيراً. وحتى عندما بدأ الاهتمام بقضية أدب الأطفال، سارع الجميع إلى الإنتاج الغربي، يترجمونه إلى العربية بما فيه من مضامين تتصادم مع البيئة العربية الإسلامية شكلاً وموضوعاً، وكثر عدد العاملين فيه من التجار عن الأدباء.

إننا بحاجة إلى منهج إسلامي لأدب الأطفال واليافعين والشباب، وألا يُترك هذا الميدان للأدب المترجم الذي يعنى بصياغة وجدان أبنائنا وأذواقهم وميولهم صياغة غربية وبعيدة عن وجدان الأمة وعقيدتها وأخلاقها، وهذا بدوره يعنى قابليتهم للغزو الثقافي، وضياع هوية الأمة ووقوعها في أسر أعدائها.[١٦]

إن معظم ما يُقدم لأطفالنا من أشكال أدبية تعوزه العاطفة الصادقة والصياغة الفنية الهادفة. لذلك فهو فقير في قدرته على تربية الإحساس بالذوق والجمال في نفوس أطفالنا ومشاعرهم.

الرؤية المستقبلية لأدب الطفل العربي:

إن أدب الطفل العربي مازال في مرحلة النمو، وهو يحتاج إلى حماسة وجهود الجميع (كتاباً وشعراء ورسامين وإعلاميين وناشرين وباحثين.. إلخ) ومازال الإنتاج المقدم للطفل ضعيفاً جداً كما ونوعاً، وإن كان هناك بعض الجهود المتميزة ولكن تظل قليلة إذا ما قارناها بالحاجة والفقر الشديد في هذا المجال، وكلنا يأمل ويتطلع إلى النهوض بأدب الطفل والارتقاء به خاصة أن هويتنا العربية والإسلامية تتعرض لمواجهات وحملات عنيفة أشد من العصور الماضية.

إن أدب الطفل مهمة تقع على عاتق المسؤولين من الكتاب والأدباء لأن له أهمية تتفوق على آداب الفئات الاجتماعية الأخرى، باعتبار أن الأطفال هم السواعد التي يقوم عليها المجتمع.

وأدب الطفل يجب أن يرقى إلى مستوى العصر، ويدخل عصر المعلوماتية والعولمة والإنترنت والفضائيات، محصناً بالرؤية الإسلامية في معالجة الأمور، فالفضائيات هي الوسيلة المثلى لنشر أدب الأطفال.

وسيستمر التراث العربي في عطائه المتواصل والمتجدد رغم رياح التغريب التي تهب على المنطقة العربية، وسيظل الأبناء في بؤرة اهتمام المجتمع العربي والإسلامي لأنهم نصف الحاضر وكل المستقبل، وستبقي الطفولة في كل الأزمنة والأمكنة هي القبلة الاجتماعية الأولى التي تتجه إليها كل الجهود التنموية، حيث ستقاس حضارات الأمم على أساس ما تخصصه للأطفال من وسائل التعليم والتثقيف، والأمة التي تتخلف عن هذا المضمار ستصل إلى الشيخوخة مبكراً، ولن تجد من يقوم على أمورها وشؤونها مستقبلاً.

ونحن العرب في حاجة إلى مراجعة مناهج وأساليب الكتابة للأطفال بصورة تؤدي إلى تنمية التفكير النقدي لديهم، والقدرة على الإبداع والتفكير، وتطور قيم المشاركة والتسامح، والحوار مع الآخر، وكيفية التعامل الإيجابي مع التكنولوجيا الحديثة وتوظيفها في اكتساب المعارف والعلوم، وفي التواصل مع الآخر.

وفي ضوء ما يتعرض إليه الطفل العربي من تيارات فكرية وثقافية تكاد تطمس معالم شخصيته، فإننا بحاجة إلى أدب ذي مواصفات خاصة، تجعله

قادراً على تمكين الطفل العربي من مواجهة كل هذه التيارات الوافدة، وتأكيد ذاتيته العربية الإسلامية، وتدعيمه بالآليات المناسبة التي يستطيع بها التصدي لكل هذه التحديات، ومن أهم التوصيات والمقترحات للتصورات المستقبلية لأدب الطفل العربي ما يأتي:

- تنمية الاعتزاز بما لدى الطفل العربي في مجتمعه من إمكانات وإن صغر حجمها.
- تنمية الاعتزاز القومي عند الطفل العربي والإحساس بأن ما لدى ثقافته لا يقل أهمية وقدراً عما لدى الآخرين.
- تحصين الطفل العربي ثقافياً في مواجهة المحاولات المستمرة لطمس معالم الثقافة العربية الإسلامية والغض من شأنها.
- تأكيد القيم الأخلاقية الإيجابية التي دارت حولها بعض قصص الأطفال خاصة ما يتصل بحرية الإنسان وحقوقه، واحترام الثقافات الأخرى.
- تأكيد قيمة العمل الجماعي، وتنمية الإحساس بالفريق، وتقدير العمل معه في مقابل الإحساس الفردي المطلق.
- الاهتمام بكتاب الطفل ونشره وتوزيعه على أوسع نطاق، لأنه أساس أدب الأطفال.
- التخلص عند تأليف كتب الأطفال من أنماط التفكير المعوقة للإبداع في ثقافتنا ■

الهوامش:

(١) (جبرة:١٤١٤هـ، ص ١١٠). جبرة، محمد بن علي: «من أجل أدب إسلامي للأطفال»-مجلة الوعي الإسلامي- العدد (٣٣٢)- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت.

(٢) (الحرفش: ١٤٣٤هـ، ص ٥٣). الحرفش، خالد عبد العزيز: «أدب الأطفال» – مجلة الأمن والحياة – العدد (٣٦٨)- إدارة العلاقات العامة والإعلام بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية- الرياض.

(٣) (عبد الكافي: ٢٠٠٢م، ص ٥١). عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح: «القراءة للأطفال الصغار بواسطة الكبار»- مجلة الطفولة والتنمية- المجلد ٢- العدد ٥- المجلس العربي للطفولة والتنمية- القاهرة.

(٤) (مجلة الأسرة: ١٤٢٥هـ، ص ٥١)، السنة ١٢- العدد ١٣٧- مؤسسة الوقف الإسلامي- المملكة العربية السعودية.

(٥) (سلامة: ٢٠٠٢م، ص ٩٠). سلامة، فتحي: الخطاب الإبداعي للطفل- الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة.

(٦) (مصدر سابق، مجلة الأسرة: ١٤٢٥هـ، ص ٥١).

(٧) (مصدر سابق، سلامة: ٢٠٠٢م، ص ص ٥٠،٥١).

(٨) (مصدر سابق، مجلة الأسرة: ١٤٢٥هـ، ص٥١).

(٩) (مجلة فكر: ٢٠١٣م، ص ٧،٦): «أدب الطفل بين الواقع والمأمول»- العدد(٣)- مايو.

(١٠) (مجلة فكر: ٢٠١٣م، ص ٧).

(١١) (وطفة: ٢٠٠٦م، ص١٩٧). وطفة، علي أسعد: «ثقافة الطفل العربي في زمن التحديات»- مجلة عالم الفكر- المجلد ٣١- العدد ٣- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت.

(١٢) (عبد الله: ٢٠٠٢م، ص ١٠٦، ١٠٧). عبد الله، حسن: نظرة إلى مجلات الأطفال في بلاد الشام- في: ثقافة الطفل العربي- كتاب العربي- العدد ٥٠- مجلة العربي- وزارة الإعلام- الكويت.

(١٣) (مراد: ٢٠٠٥م، ص١٢٤). مراد، بركات محمد: «هل يوجد أدب أطفال في الوطن العربي؟»- مجلة الهلال- السنة ١١٣- العدد ٣- دار الهلال- القاهرة.

(١٤) (مصدر سابق، مراد: ٢٠٠٥م، ص١٢٤).

(١٥) (خلاوي: ١٤١٤هـ، ص٩٧). خلاوي، خالد محمد: «أين صحافة الطفل المسلم؟»- مجلة منار الإسلام- السنة١٩- العدد ٨- وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف- الإمارات العربية المتحدة.

(١٦) (مدكور: ١٩٩٣م، ص ٥٤،٥٥). مدكور، علي أحمد: كيف تنمي مهارة طفلك اللغوية- سلسلة سفير التربوية- العدد ٥- شركة سفير- القاهرة.

نبع الحنان

يرثي والدته رحمها الله

د.حيدر مصطفى البدراني- سورية

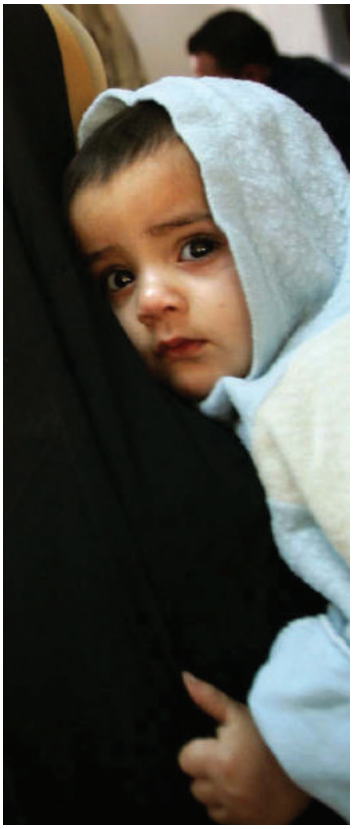

لم يبق لي بين الأنام سواكِ ... يا سلوتي في غربتي وملاكي
أنتِ التي هتف الفؤاد بحبها ... وهفا إليكِ لعله يلقاكِ
وجرى إليكِ مع الزمان وهمُّهُ ... في أن يمتِّعَ طرفه ويراكِ
أماه ما أحلاه لفظاً مؤنقاً ... لله ما أحلاه بل أحلاكِ
رفقاً بقلبي لا تلوميني على ... حبي المبرّح وارحمي مُضناكِ
فأنا بغيرك تائه ومشردٌ ... لولاكِ بعد الله كان هلاكي
ورغيدةٌ أيام عمري عندما ... أهفو إليك وألتجي لحماكِ
يا شمسَ أيامي المنيرةَ إنني ... أدعو الإله لعله يرعاكِ
أوَتعجبين من الفؤاد وحبه ... وهو الذي لم يستقم لولاكِ
لا تعتبي يوماً علي إذا أنا ... أُبعِدتُ يا أماه عن مغناكِ
ماذا أقول وكل ما حولي هنا ... يومي إليَّ بسيفه الفتاكِ
لما مشيت لدى فراقك مكرهاً ... فكأنني أمشي على الأشواكِ
ومضيت أقتات الأسى في غربتي ... وأعيش في هذا على ذكراكِ
وإخال أني لم أعد أقوى على ... شيءٍ يسير بعدُ من دنياكِ
كم لحظة مرت عليَّ وأنتِ لي ... طول المدى طيفُ الخيال الزاكي
ولكم بها قد عادني متألقاً ... ما يشبه الأحلام من نجواكِ
فأقول ما قال المهاجر في النوى ... وفمي يقبل في المنام خطاكِ
والعين تذرف أدمعاً حرّى بها ... الروح تسرح في ذرا الأفلاكِ
وحُداءُ قلبي نغمةٌ تشدو بما ... قد غنت الأيام من معناكِ
«ما مرت النسمات بي عند الضحى ... إلا عرفتُ بطيبها ريّاكِ»
«والبدر لم يظهر لعيني تارةً ... إلا قرأتُ بوجهه نجواكِ»
«وهواتف الروض الطروبةُ ما شدت ... إلا سمعتُ بشدوها شكواكِ»[1]
ماذا أحدث عنك يا أماه عم ... ـا يعتري قلبي إذا ناداكِ
صورٌ بها أعطاكِ ربي فيضه ... سبحان مَن من فيضه أعطاكِ
هذا أنا والشوق يبريني فما ... أنفك أحدو والعيون بواكِ
يا ليتني يوماً قريبٌ منكِ إذ ... أجد الهدى والأمن في رؤياكِ
إن كان من قولٍ به أسمو إلى ... أعلى المراتب في ذرى عليائكِ
يكفيكِ من فخرٍ بأن إلهنا ... قرن الرضا لجلاله برضاكِ

(١) الأبيات الثلاثة ما بين الأقواس للشاعر المهجري: إلياس فرحات.

غريبٌ في أرض الوطن!

خالد بريه-تركيا

منذ نعومة أظفاره وهو يعيشُ تحتَ سماءٍ ليستْ بسقفٍ أصيلٍ له بحكم من أرادوا ذلك!. أخذ يتقلبُ في مراحل حياته من الطفولة حتى بلغ مبلغ الشباب ليجدَ نفسه مع أسرته وجيرانه، يستعدون للرحيل أو الترحيل من أرضٍ أرضع فيها لبان الحياة، فشعر بصعوبة الفطام وهم ينتزعونه منها.

تذكرَ يوم قرأ أن الترحيل أو الرحيل عنوةً هو اقتلاع شجرةٍ غضّةٍ استنشقتْ عبير الحياة أول مرة في هذا الحقل، هو شيءٌ يشبه عقوبة الإعدام! هو أشبه ما يكون بنزع الروح من الجسد، كان حينها يشعر بنوع من المبالغة لدى الكاتب، لكنه عاش الوصف واقعاً، وأيقن بحقيقته!.

جلسَ يفكر في المكان الذي سيحطُّ فيه رحاله، أرضٌ يقال لها: الوطن! صار يقلب في البحث عنه،ويسأل كل من زاره؛ عن أهله، وترابه، وسمائه، أخذ الخريطة وقام بتحديد موطنه الذي سيأوي إليه بعد أن تم قرار الرحيل، وجد موطنه في الخريطة ذا مكان وحضور فدبّ الأمل في قلبه، وازداد الشوق للقاء الوطن.

في فجر يوم الرحيل رُتبت الحقائب، وتجهّز الجميع، وظل كريم يتأملُ المكان الذي عاش فيه قصةَ طفولته مستشعراً ألم الفراق والرحيل عن مكانٍ ضم الإنسانية إليه، لكنهم انتُزعوا منه بذنبٍ مشينٍ يقال له: الهوية!.

حافلة السفر موطنٌ للتأملِ والتفكر في العظمة والملكوت، والحياة والرحيل والبقاء، والشوق والتغيير، والرضا والأمل القادم من المجهول.

في الوهلة الأولى من دخوله أرض الوطن انشرح صدره، وابتهجت أساريره، وشعر بدفء الوطن يسري في جسده، في المدينة اليتيمة المتخمة بالجمال- والموصوف أبناؤها بالرحمة والطيبة والحب- كان المستقر وقدر العيش.

كان يلوح بكلتا يديه للمدينة ويترنم فرحاً: خذيني بُرعماً في مزهريات الأمل، مشطاً تُسرحين به جدائل الريح الساكنة، قميصاً ترتدينه في حفلات السمر.. إني أجوعُ إلى الحب ولا أحد يروي عطشي سوى عينيك يا وطني، وأنا فيها دمعة أنين، وشعاع أمل.

كان اللقاء الأول بنبيل الذي وجد فيه ملامح وطنه البريء، كان كثيراً ما يسأله عن الوطن، وعن العيش فيه، وحال الناس وعن أخبار الأماكن، وعن تاريخ المدينة، وعاداتها، وطقوسها، كان يحب البحر والنظر إليه والتخاطب معه، كان يهيم في منظر الغروب والشمس تحتضر في آخر لحظاتها كحسناء تودع من أحبت، وكطفل انتزع من أرض طفولته وهو ينظر إليها بعيني قلبه المتخم بالحزن والفراق والشعور بالألم.

في زيارة خاطفة للمكتبة العامة في المدينة جلس يقرأ في كتاب عن تاريخ الوطن وعن واقعه المعاصر، وقعت عيناه على كتاب يتحدث عن خيرات الوطن التي أودعها الله فيه، وعن القدرات البشرية الكامنة في نفوس الشعب وعقولهم، لكنه قرأ أيضاً عن الغول الذي دمّر ويُدمر الوطن، إنه الفساد الذي وضع مملكته في أرضنا ليجعل من الأرض الطيبة أرض همٍّ وبلاء يفر منها أبناؤها إلى المجهول.

قدم أوراقه للتسجيل في الجامعة في تخصص الطب لكنه فوجئ بأن التخصص لا مكان له في الجامعة -الأشبه بمدرسة أهلية - فاضطر لاختيار تخصص آخر بدلاً من الطب الذي كان يحلم به!.

كان والد كريم رجلا مسنا يعمل في أشغال حرة هنا وهناك، مرّ شهر كامل على دخوله في الجامعة والدراسة فيها، كان متميزاً ومبدعاً وذا طموح كبير يمكنه من انتزاع الأسى والألم الذي لحق أسرته من جراء رحيلهم، وأن يزرع الابتسامة في محياهم.

بعد منتصف الليل كان كريم في بهو منزله يشاهد القمر.. يقول له: الرحيلُ أمرٌ حتمي، والبقاءُ لا بقاءَ له، حتى الشمسُ المشرقة سيأتي اليوم الذي تعلن فيه النهاية وتشرق من مكانٍ آخر لتعلن الرحيل، حتى أنتَ يرحلُ بعضك ثم تسعى جاهداً للقاء نصفك الآخر، وما إن تلتقيان حتى يتم الرحيل!. الإيمانُ بحتمية الرحيل يخفف من ألم الفراق.. وما أعرفه أن العظماء هم من يرحلون. أيها القمر الدائري: ضوؤك جميل، وجبينك مشرق، جمالك يمنحني الحياة، لكن ثمة ظلامٌ في وطني.. حياة البسطاء مظلمة.. لقمة عيشهم مظلمة، لم يستثنِ الظلام غرفتي.. الجدار مظلم، البيوت مظلمة، الزوايا مظلمة، المحاريب مظلمة.. حتى نفسي تعالج ظلام الرحيل الذي خيم على قلبي ولم يرحل بعد.

في أثناء عودته من الجامعة دخل المنزل فسمع والدته تقول لأبيه: لم تعد تقدر على العمل، فرأسك اشتعل شيباً، وجسدك لم يعد يقوى على التحمل.

قال لها: لا أريد أن أسمع منكِ هذا الحديث، لا أريد لكريم أن يعلم بمرضي، أريده أن يتمّ تعليمه فلديه قدرات تؤهله ليكون من المبرزين في الجامعة، وفي دروب الحياة.

سمع كريم ما دار بين والدته وأبيه، وقرر من حينها أن يتولى زمام العمل من أجل راحة والده المسن. بعد أدائه صلاة الفجر خرج كريم ميمماً وجهه نحو المدينة وسوقها بحثاً عن عمل تحصيله أشبه ما يكونُ بالمستحيل، وأندر من الكبريت الأحمر في ظل البطالة المتزايدة. كذلك كانت شخصيته يغلفها الحياء ولا يعرف كثيراً من دهاليز الحياة ومفارقاتها.. عاد بعد الظهيرة بخُفي حُنين، وبوجه شاحب، وقلق مرسوم على ملامح وجهه البريء.

اشتدّ المرض بوالده فكان لزاماً أن يحصل على عملٍ لإنقاذ أسرته من شبح الجوع وحمأة التسول. اهتدى إلى فكرة للعمل استلهمها من جو المدينة الحار، فكان يبيع الماء البارد بين المارة، وفي أروقة السوق، بدأ بترك دراسته في الجامعة شيئاً فشيئاً بسبب انشغاله بحال أسرته وتدهور صحة والده. لم يكن يشعرُ بالحرج وهو يدور بالماء في حرِّ الظهيرة، كانت ذكريات طفولته تلوحُ ما بين فترة وأخرى بين ناظريه وهو يرتعُ في كنف والده، ويعيشُ حياةً كريمةً قبل أن يأتي قرار الرحيل المفزع.

لم يتحمل كريم رؤية والده المسن يشتد عليه المرض، ولم يكن ما يجنيه من عمله في بيع الماء يكفيه لعلاج والده. مرتْ ليالٍ كالحة بائسة على أسرةٍ شريفةٍ يتقلبُ والدها في ألمه ومرضه، والعجز والعوز هما سيدا الموقف، عند ذلك قرر الرحيل!.

كان الخبر المفزع كالصاعقة على قلبِ أم ترى فلذة كبدها يقرر الرحيل إلى المجهول! أصر كريم على فكرته وعاهد أمه أن تُبقي الخبر سراً بينهما دون أن يعلم أحد، فأجابته بدموع أم تتألم من هول الرحيل الذي خيم بظلامه فجأة!.

فتح باب منزله بهدوء وخرج لصلاة الفجر والكون يعمه السكون والخشوع، وبعضُ كبار السن يأتون من هنا وهناك لأداء الصلاة، وما عداهم في سَكرة النوم يتقلبون، بعد الصلاة مباشرة أخذ حقيبته الصغيرة وقبّل جبين أمه، وألقى نظرةً على والده الممدد في فراش المرض، ولسانُ حاله يقول: عذراً والدي! فإني أرحل من وطني مجدداً لأننا في وطنٍ لا مكان فيه للبسطاء والفقراء والمعدمين!.

خرج هائماً ليرحل إلى مكان يستطيع من خلاله إسكات صوت الجوع والمرض، وليشعر بذاته وإنسانيته التي لم يجدها في أرضٍ قالوا له يومًا ما: إنها وطنك!.

في المكان المحدد التقى كريم بمجموعة من الأشخاص تبعث أشكالهم على القلق والفزع، ولا سيما وهم سيكونون رفقاء رحلته العصيبة من خلف السياج والحدود؛ سيراً في دروب المجهول، في سيارةٍ ضيقة مكتئبة مكتظة بالراحلين.

ظل كريم يلمح وجوه القوم، ويسترق النظر إليهم

خلسة، وسحائب الدخان تجوب المكان، وهدوء عجيب يخيم عليهم، دبّ الخوف في قلبه، وجعل يهمس داعياً ربه أن يوصله درب السلامة والأمان؛ ليتمكن من رعاية أسرته والحفاظ عليها.

في طريقه ثمة أرضٌ وسماء، وأمام عينيه أرض يباب واسعة بحجم الألم، أرضٌ مقفرة كقَفْرة قلوب الراحلين من الأمل في أرض الوطن، صحراء شاسعة بحجم تناقضات الحياة.

كان من رفقاء السفر شاب في مقتبل العمر بشوش تشع البراءة من وجهه، اطمأن إليه كريم، وشعر أنه وجد ضالته في هذا الشاب ليكون رفيقه في رحلته الشاقة من خلف الحدود! تحدث إليه كريم يسأله عن حاله، ولماذا قرر الرحيل بهذه الطريقة؟ رد عليه قائلاً: ظروف الحياة أخرجتني، نضحي بحياتنا من أجل حياتنا! توفي والدي وتركنا في بيت صغير يضمني وإخوتي، تخرجت للتو من الثانوية فقررتُ اللحاق بكثير ممن أعرفه من أهلي وأصدقائي ممن تركوا الديار بحثاً عن لقمة العيش!.

خيم عليهم الليل كمغارة سوداء تكتظ بالأهوال والرعب والآلام والصراخ..أضواء تخترق الأجواء لتنعكس على الأرض تبحث عن إنسان مجرم يسير حافي القدمين ليصل إلى أرض يظن أن المال يُحثى فيها حثواً، وأن من دخلها فقيراً معدماً يعود بثروة طائلة، كل ذلك يحدث بعد أن تتخلى عن إنسانيتك وكرامتك في صندوق للأمانات قابع في منتصف الحدين!.

أثناء سيرهم لمح كريم أشخاصاً يتألمون، وسمع صراخاً من أحدهم يقطع نياط القلوب، سمع السائق يقول: في مثل هذا المكان تخلّوا عن مشاعركم وأحاسيسكم، وفكروا بالوصول!.

نكس كريم رأسه، واغتم لما سمع، وأخرج ورقةً صغيرة وكتب فيها بعضاً من مشاهداته:

عند خروجي من الوطن الذي عشتُ فيه غريباً تغير وجه المدينة التي قصدتها، صبغ الشقاء والقسوة قلوب القوم.. دخان يعلو ويغطي جمال السماء.. وصراخ ينساب كالعويل اليائس.. وبعض الجثث ملقاة في رمال العذاب تنزف منها الدماء.. الخوف والهلع جعلنا ننظر إلى الموتى محزونين من دون أن يفكر أو يجرؤ أحدٌ على مواراتهم التراب. لم تعد ثمة إنسانيةٌ يا أمي! لم تعد ثمة إنسانية!.

أدخل الورقة في معطفه، وفي مكان بعينه وقفت الحافلة، وقيل لهم: حثوا السير مشياً على الأقدام.

لملم كريم بقايا نفسه مما شاهده، وحزم أغراضه، وبدأ المسير مشياً برفقة صديقه إلى مدينة العجائب – في نظر الراحلين – التي يبني الإنسان فيها نفسه من العدم ليصبح رقماً بين بني قومه عند عودته إليهم!. أثناء سيرهما كانا يتحدثان عن الأحلام والأمنيات، والمستقبل والغد الجميل والذكريات، وعن الغربة والألم والشوق والحب والأمل.. وبينما هما يسيران وأيديهما على بعضها غشيتهما لحظة صمتٍ جميل مرت خلاله معانٍ عدة، البهجة، الغبطة، الرغبة، التوق، المجهول، الشعور، الانفعال، الحيرة، المغامرة، التجريب، اليأس، الهم، الفرح، الكآبة، الغربة.. بعد سير ليل طويل قررا أن يخلدا للراحة حتى تشرق شمس يوم جديد، وضع كل واحد منهما رأسه على التراب، وناما نوماً عميقاً.

التقى بصديق طفولته عند وصوله المدينة التي شدّ إليها الرحال، تعانقا عناقا طويلاً بُلل بدموع الشوق والحب، بدأ كريم بالعمل مع صديق طفولته، واستطاع أن يحقق حلمه في مواصلة تعليمه، فالتحق بمعهد علمي، واستطاع أن يوفر مالاً أرسله لأمه وإخوته.

في إحدى الليالي رأى خلسة «ميار»؛ فثارت الأشجان في نفسه، وتسارعت دقاتُ قلبه، تذكّر وهما يلعبان معاً بالطين، وهما يجريان، يلهوان، يتحدثان، وها هي ذي اليوم فتاة حسناء ممشوقة القوام، بديعة في الحسن والدلال، يطرب القلب من النظر إليها.. حدّث نفسه أن يتصل بأمه لإخبارها أن حب ميار منذ الصغر ما زال منقوشاً في جدران قلبه، وأنه سيطلبها من والدها في الوقت المناسب، ثم شرد قليلاً ورأى نفسه بصحبة ميار على جسر البوسفور يتحدثان، وهما على أعتاب أيا صوفيا يتأملان ويمرحان، وفي رحاب إسطنبول يعيشان لحظاتٍ من الحب الجميل.. صرخ صديقه النائم بجواره

صرخةٌ قوية: كريم!.. قم، ثمة دوريات يبحثون عنا، قم لنهرب قبل أن يمسكوا بنا..

قام كريم من نومه فزعاً خائفاً مضطرباً، وبدآ يركضان فارين من البؤس والعذاب، لكنه وهو يركض في ظلام الليل كان يتمتم في نفسه: ميار ميار!! كل ذلك لم يكن سوى أحلام وخيالات تخفف آلام النفس، خِلتها حقيقة وأنا أرتمي في أحضانك ميار بدلاً من أن أرتمي في ظلام السجون.. ثم يتأفف ويصرخ: حتى الأحلام يستكثرونها علينا! أفٍ من زمن نعيش فيه!..

استمرا في الفرار وهما يركضان، وسيارات أمن الحدود يتساقط الراحلون الفارون من غربة الوطن بين أيديهم مثل الفراش، صاح كريم بصديقه:إنهم خلفنا سيُمسكون بنا وسنودع في سجونهم، ومن ثم سنعود إلى أوطاننا غرباء مرةً أخرى، وفي أثناء الفرار اختبأ صديق كريم وراء هضبة مرتفعة، وواصل كريم الفرار مسرعاً في ظلام دامس، وبينما هو كذلك لم يشعر بنفسه إلا في هُوة كبيرة قطعت الطريق، لم يتمكن من رؤيتها لشدة الظلام فوقع في شراكها! فإذا هي منطقة أعمال بناء إنشائية كبيرة.

هدأ صوت الدوريات، وشعر صديق كريم بالأمان فقام يبحث عن صديقه، يتحسسه في الظلام.. أين أنت يا كريم؟ بصوت متهدج يناديه. أحسّ أن ثمة هاوية، وسمع أنيناً من أسفلها، فأظلمت في عينيه الحياة على إظلامها خوفاً على رفيقه. استطاع أن ينزل إلى أسفل المكان، واهتدى لصوت الأنين، فرأى كريما مضرجاً بدمائه وقد اخترقت أسياخ الحديد المُعَدّة للبناء بدنه الفتي الجميل!.

كريم ما الذي ألمّ بك يا صديقي؟

بصوت خافت يهمس كريم: صديقي أشعر أنني سأتركك وحيداً للوصول إلى...

لا، لا تقل ذلك.

يصرخ صديقه وهو يبكي: سنواصل معاً، وسنحقق كل الأحلام والأمنيات معاً.

كريم: اسمع يا صديقي، تذكّر ما قاله السائق لنا سابقاً ونحن نتألم من رؤية من فقدوا حياتهم، قال: «في مثل هذا المكان تخلّوا عن مشاعركم وأحاسيسكم وفكروا بالوصول»، وأنا أقول لك: تخلّ عن كل ذلك وفكر بالوصول! كل ما أريده منك أن تبلغ سلامي لأبي وأمي، أخبرهم أنني ضحّيت بحياتي من أجل حياتهم، وأنني سرتُ إلى المجهول كي لا أرى أبي يتألم من هول الفقر والمرض، قل لأمي: لا تبكي علي، فبكاؤها يزيد من ألمي حيثما كنت، قل لها: إن ثمة أسياخاً من الحديد اخترقت حشايا جسده المنهك لتمنعه من تحقيق أحلامه وأمنياته، أخبرها أنني كنت أود أن أخبرها بحبي لـ«ميار»، وأنني كنتُ سأتقدم لخطبتها في الوقت المناسب، قل لها: إن كريما آلمه أن يعيش في وطنه غريباً فقرر الرحيل!.. وداعاً يا صديقي، فدمائي تملأ المكان، وقَدَري أن أموت غريباً فوق أرض وتحتَ سماء لا ترغبانِ بوجودي! فررتُ من غربة الوطن لأموتَ غريباً في صحراء الموت!.

أغمضَ كريم عينيه ونطق بالشهادتين، وودّع الحياة، اختاره الله ليعيشَ في مكان هادئ جميل لا يشعر فيه بلهيب الغربة، ولا مكان فيه للألم. وعندما أراد صديقه أن يلملم الجسد المتبقي، وهو يُقَبّل جبينه، ويجمع يديه على صدره وجده قد قبض في كفه على ورقة كان قد كتب فيها بعضاً من مشاهداته وختمها قائلا: لم تعد ثمة إنسانية يا أمي.. لم تعد ثمة إنسانية! ■

مطر

خديجة الطيّب دبّة - الجزائر

مَطرْ..
مَطرٌ مطرْ
روحي تتوقُ لرشْف رائحة المطرْ
كي ترتَقي الخلْجاتُ منْ أنسامه
و تُزيلَ ما علقتْ بها
منْ شائباتٍ في العُمُرْ

* * *

مطرٌ مطرْ
يبكي دموعَ الحائرينَ
الضائعينَ ومنْ خَسرْ
ومنِ استُغلّ ومن غُدِرْ
ومنِ استباحَ فُؤادَهُ
همٌّ يطولُ به السّهرْ
وَيزورُ كلّ مدينة
مُتفقّداً أحياءَها
ليُزيل عن أجوائها
لونَ التعاسة والضجرْ

* * *

قَمرٌ قمرْ..
أهوى مُجالسةَ القمرْ
أحكي حكاياتِ الحياة
أذيعُ سرّي
أكسرُ الصّمتَ اللعينَ
أفرُّ منْ دنيا البشرْ..

* * *

وترٌ وترْ..
بالحُزن يعزفُ لحنَ أغْنية الحنينْ
والرّوحُ ترحلُ في سفرْ
قدْ لملمتْ في صُرة
تعبَ الحياة مدىَ السّنينْ
وَمضتْ تجرُّ ثقالها
ممّا قَضتْهُ يدُ الحياة معَ القدرْ

* * *

سَفرٌ سفرْ
قصداً لأرض الحُبّ والحُلم الجميلْ
حيثُ السّعادةُ لا شقاءَ ولا كَدرْ
حيثُ ارتقاءُ الرّوح في سُبحاتها
واليومُ يومٌ واحدٌ حُلوٌ أغرّ
لا ظُلمَ فيها لا احتيالَ ولا خَورْ
أرضٌ بها كلّ المحاسنِ
والمتاعُ بها كثيرٌ
لا يُقاربُه الضجرْ

* * *

مَطرُ مطرْ
قد صاغَ لحناً لا يُجاريه الوترْ
قمرٌ قمرْ
قد قالَ قومي إنّهُ وقتُ السفرْ
سفرٌ سَفرْ
سَفرٌ سفرْ

* * *

د. وليد قصاب

المشهد الأول

(المؤلف، وهو رجل في حوالي الستين من عمره، جالس وراء مكتبه في إحدى غرف منزله. أمامه مجموعة من الكتب والأوراق، وقد أمسك قلمه يستعد للكتابة، ويبدو كأنه يخاطب نفسه..):

المؤلف: لابد أن أشرع في كتابة مذكراتي. لقد كثر الطلب عليها، وقد آن الأوان لكي أتفرغ لها. مر بي في حياتي كثير من التجارب والأحداث التي تستحق أن تُسجل، بل أنا كما يقول أصحابي تاريخ حقبة، وشاهد كبير على العصر...

(يصمت قليلا ويفكر)

المؤلف: **(مع نفسه)** ولكن هل أكتب كل شيء؟ لابد من الصدق والصراحة، هكذا طابع المذكرات، لا تواري في المذكرات ولا احتشام، هكذا قالوا....

(يعود إلى التفكير الطويل)

المؤلف: هل يعقل هذا؟ أ أقول كل شيء؟ كم كنت شاهد زور في كثير من المواقف! كم مارست من الخساسات، وتسلقت من الحبال حتى وصلت إلى ما أنا فيه الآن! كانت لي علاقات مشبوهة مع نساء كثيرات ورجال كثيرين.. اللهم اغفرلي.. هل أكتب كل هذا بحجة ما يسمونه الصدق الموضوعي والفني في المذكرات؟ **(يصمت قليلا ثم يعود إلى محادثة نفسه)**.

المؤلف: أنا ذو تاريخ أسود ملطخ بمخاز ورشاو، لا يعلم مقدارها إلا الله. هل أشهِّر بنفسي من أجل المذكرات؟ من سيستفيد من هذا؟

(يعود إلى: الصمت والتفكير، وهز الرأس)

المؤلف: إن الذي يكتب مذكراته لا ينبغي له أن يزيف أو يزوق، لأن هذا عندئذ كذب على التاريخ، وافتراء على الحقيقة. إذن سأشرع في الكتابة بصدق. أنا تاريخ يمشي على الأرض، وللتاريخ أخطاؤه التي ينبغي أن يعرفها من يأتون بعدنا حتى يستفيدوا منها فلا يقعوا فيها، إن التاريخ - وأنا جزء منه - عبر ومواعظ. سأبدأ كتابة هذه المذكرات على بركة الله..

(يأخذ قلمه، ويضع نظارته على عينيه)

المؤلف: **(وقد عاد إلى التفكير)**: ولكن لماذا أكشف ما ستر الله علي؟ أليس الستر أولى؟ إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا. ولقد تبتُ إلى الله، وحججت وتصدقت ولم أعد أقطع فرض صلاة. أنا أكفِّر عن ذنوبي دائما، وأنا أرجو أن يغفرها

الله لي، والله عند حسن ظن عبده به. كنت واقعا تحت سلطان شيطان رجيم لعين، أبعدني عن الحق، وقد لعنته آلاف المرات. قاتله الله، ولعنه لعنا كبيرا..

(**يُسْمَع صوت غاضب كأنه ينبعث من الورق، أو من وراء جدار الغرفة**)

الصوت: (**بغضب وحدة**) لماذا تسبني أيها الرجل الأحمق ليل نهار..!؟

المؤلف: (**مباغتا مذعورا، وهو يتلفت يمنة ويسرة كأنه يبحث عن مصدر الصوت**) من أنت؟ من هناك؟

الصوت: (**بغضب أشد**) أنا الذي لا تفتأ تحمله مسؤولية ما قمت به من الجرائم والآثام..

المؤلف: (**مرتاعا باحثا عن مصدر الصوت**) من أنت يا هذا؟ ومن أين تتكلم؟

الصوت: أنا الذي كنت تلعنه باستمرار، وكنت تلعنه قبل قليل، وتعلق على مشجبه ذنوبك وخساسات نفسك.

المؤلف: (**غاضبا**) احفظ لسانك يا هذا، وكن مؤدبا، وقل فورا من أنت؟ ومن أين تتكلم؟

الصوت: قلت لك: أنا الذي تلعنه كل حين..

المؤلف: أنا لعنتك؟

الصوت: كأنك نسيت! ألم تكن تلعن الشيطان قبل قليل؟

المؤلف: بلى، لعنت الشيطان الرجيم.. ولكن ما علاقتك أنت به؟

الصوت: (**محتدا مدويا**) أنا هو من تلعنه.

المؤلف: (**مذعورا غير مصدق**) أنت الشيطان الرجيم!

الصوت: أنا الشيطان.. ماذا فعلت لك حتى تلعنني ذلك اللعن في كل حين؟

المؤلف: (**مذهولا غير مصدق**) أنت الشيطان!؟ أواثق أنت من هذا؟

الصوت: (**ساخرا**) عجيب أمرك أيها الرجل.. أهناك أحد لا يعرف نفسه؟

المؤلف: لا.. كل واحد يعرف نفسه، ولكن أنت من أين تتكلم؟ وما الذي جاء بك إلى هنا؟

الصوت: (**ساخرا**) أنت جاهل.. ألا تعلم أني معك دائما؟ أنا لا أفارقك أبدا.. أنا أراك وأنت لا تراني..

المؤلف: (**مأخوذا غير مصدق**) أنت معي دائما؟ لا تفارقني، تراني ولا أراك؟ كيف؟..

الصوت: أنا أجري فيك كما تجري الدماء في عروقك، ألم تسمع بهذا؟

المؤلف: (**وقد بدأ يستعيد رشده**) بلى سمعت، الآن تذكرت، إنه حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (**إن الشيطان ليجري من أحدكم مجرى الدم في العروق**) ولكن..

الصوت: (**بحدة**) دعك من (**لكن**) هذه.. ولا تتدخل في أشياء لا تعنيك ولن تفهمها، ولا تهرب من الموضوع الحقيقي..

المؤلف: الموضوع الحقيقي؟

الصوت: أجل، الموضوع الحقيقي الذي جعلني أظهر لك غاضبا محتجا..

المؤلف: غاضبا محتجا؟ لماذا؟

الصوت: لأنك تلعنني باستمرار، وقد لعنتني قبل قليل،

لماذا؟

المؤلف: (**وقد ثاب إليه رشده**) لأنك أنت الذي سولت لي كل ما فعلت..

الصوت: (**بسخرية**) أنا الذي قلت لك: اكذب، وارتش وازنِ.. و..و.. أ أفتح صفحتك وأعدِّد لك؟

المؤلف: (**مرتبكا**) أستغفر الله مما فعلت.. أنت زيَّنتَ لي ذلك كله..

الصوت: يا سلام.. ذلك كله! وأنت أيها المؤلف العبقري الذي تعظ وتعلم وتكتب للناس بحوثا عن الفضيلة والشرف والصدق والأمانة.. عاقل أم مجنون؟

المؤلف: (**محتدا**) قلت: تأدب معي أيها ال....

الصوت: أيها الشيطان.. لماذا لم تكملها!؟ أتحسبني لست هو؟.. من غيري يكلمك ويراك ولا تراه؟

المؤلف: (**منكسرا**) لا أحد غيرك.. لا يفعل ذلك إلا الشيطان..

الصوت: إذن، أجبني.. ألست عاقلا؟

المؤلف: (**بعصبية**) قلت لك: لا تسخر مني.. أنا كما يصفني من قرأ لي – من أعقل العقلاء.

الصوت: (**ساخرا**) يا سلام.. ولماذا لم تميز الخير من الشر يا أعقل العقلاء؟

المؤلف: ومن قال لك: إني لا أميز الخير من الشر؟

الصوت: مخازيك.. لماذا فعلت ما فعلت؟

المؤلف: (**منكسرا**) أنت خدعتَني، وضحكتَ علي.

الصوت: تبا للعقلاء من أمثالك.. إنكم دائما تهربون من جرائمكم وآثامكم وتلصقونها بي..

المؤلف: هذا حق.. أنت توسوس لنا باستمرار، وتزين لنا كل منكر.. أنت خداع لئيم، تتظاهر بصداقتنا ونصحنا، تجمِّل لنا القبيح، وتقبِّح لنا الجميل.. هل تنكر هذا؟

الصوت: ولماذا أنكره؟ هذه وظيفتي، وقد أخذت عهدا

على نفسي أمام الله أن أقوم بها.. ولكن ما بالك أحمق لا تميز ولا تعي؟ و ما بالك تجري كالبهائم وراء شهواتك لمجرد كلمة واحدة أهمس بها في أذنك؟

المؤلف: لأنك مكّار حلو الحديث، خلاّب الكلام..

الصوت: بل قل: لأنك مهزوز الإيمان.

المؤلف: (**غاضبا**) استحِ.. أنا مهزوز الإيمان؟

الصوت: أجل.. أنت كذلك، ولو لم تكن كذلك لما انسقتَ ورائي مغمض العينين كالأبله، بل لما كان لي عليك من سلطان، هل سمعت بهذا؟

المؤلف: (**وقد ترقرقت الدموع في عينيه**) صدقت – أيها الكذاب – في هذا. لقد رد عليك ربنا عندما قلت له: (**لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين**)، فقال عز اسمه: (**إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين**).

الصوت: أنت من الغاوين إذن، وأنا لا ذنب لي، أمرتك فاتبعتني أيها الأحمق الجهول، فلا تلمني ولُمْ نفسك، أفهمت؟

المؤلف: (**وهو يذرف الدموع**) وهذه صدقت فيها أيها الكذوب. أعوذ بالله منك!!(**قل أعوذ برب الناس. ملك الناس. إله الناس. من شر الوسواس الخناس**)

الصوت: (**صارخا**) تبا لك.. أحرقتني..

المشهد الثاني

(المؤلف ما يزال وراء مكتبه، وقد وضع رأسه بين كفيه يفكر، والدموع تملأ عينيه. تدخل زوجته)

الزوجة: ما بالك يا رجل.. مع من كنت تتكلم؟ هل كنت تتكلم في الهاتف؟

المؤلف: (**من غير أن يرفع رأسه**) لا..

الزوجة: كيف؟ لقد كان صوتك عاليا صاخبا أيقظني من النوم..

المؤلف: (**من غير أن يرفع رأسه**) كنت أحدث نفسي..

الزوجة: (**مستغربة**) تحادث نفسك؟ ولماذا تضع رأسك بين كفيك هكذا؟ هل عاودك الصداع مرة أخرى؟

المؤلف: لا..

الزوجة: (**وهي تقترب منه**) ما بالك يا رجل!؟ أنت في وضع غير طبيعي.. أقلقتني عليك ، هل أغضبك أحد؟ كان صوتك عاليا غاضبا كأنك تتشاجر مع أحد..

المؤلف: (**من غير أن يرفع رأسه**)كنا نتحاور، ولم نكن نتشاجر..

الزوجة: (**بريبة وقلق**) تتحاوران!؟ أنت ومن؟

المؤلف: (**وهو يرفع رأسه**) أنا وهو.. وقد غلبني في

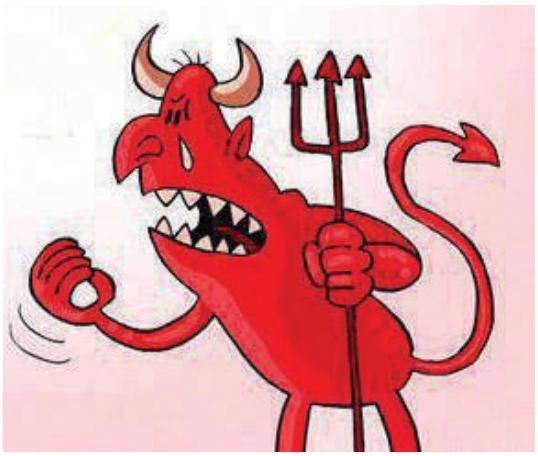

الحوار، كان – وهو الكذاب – صادقا، وأنا على خطأ..

الزوجة: (**وهي تقلب كفيها في حيرة**) من هذا الذي كنت تتحاور معه؟ وما بال كلامك كالألغاز!؟

المؤلف: (**وهو يجفف دموعه**) قال: إنه غير مسؤول، أنا الذي استجبت له وتبعته كما تتبع قطعان الخراف راعيها..

الزوجة: (**متحيرة مغتاظة**) يا رجل.. أفصح.. من هذا الذي تتحدث عنه؟ وأين تبعته؟.. رفعت ضغطي بألغازك هذه..

المؤلف: (**وهو ينهض**) لا عليك.. إنها ترهات تسبق مخاض الكتابة..

الزوجة: (**في حيرتها**) لم أفهم شيئا..

المؤلف: (**وقد استعاد صفاءه**) ستفهمين.. ولكني أقسم لك إنه لن ينتصر علي بعد اليوم.. لقد عرفت الطريق.

الزوجة: أي انتصار؟ وأي طريق؟ أنت تهذي اليوم كما يهذي المجانين.. هذا ثمرة الإرهاق.. أنت لم تنم طوال الليل.. قم الآن لنصلي الفجر ثم تحكي لي عن كل شيء..

المؤلف: (**ينهض من وراء مكتبه**) ستعرفين كل شيء. كنت أتبادل الحديث مع بطل القصة التي سأكتبها..

الزوجة: قصة؟ أنت تكتب دراسات وأبحاثا، لم أعهدك قاصّا. ما هذه الموهبة التي هبطت عليك فجأة؟

المؤلف:(**بإشراقة وابتسام**) هذه قصة حقيقية. قصة كل واحد منا..

الزوجة: لايزال كلامك ألغازا.. ولكني سأنتظر هذه القصة.. هل اخترت لها عنوانا؟

المؤلف: حوار مع الشيطان..

الزوجة: عنوان مثير.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

- ستار -

إنسانية طائر

عبدالله سالم زين باحميد(*) - اليمن

كنتُ طائرْ
وتنقلتُ على متنِ البواخرْ
أدمن الأسفار والترحال حائرْ
أحمل الهمَّ حقائبْ
وبصدري الشكُّ غائرْ
قد تمردت على سرب الطيورْ
ودساتير الزهورْ..

* * *

وعلى متن السفينةْ
مبحرٌ أبحثُ عن جوهرة الدرِّ الثمينةْ!
فتجاوزت البحارْ
وعجنت الليل في جوف النهارْ
بهرج الدنيا الذي أسمعُ عنهُ
صار مني عن كثبْ
والليالي في السفينةْ
كليالٍ من ذهبْ
يقذف العالمُ أمواجاً من الناس إلينا
أدمنوا لهواً قوارير الطربْ
فأرى الألوان تغريني ولكنْ
كلما حاولت أن أسبحَ فيها
صاح قلبي واضطربْ!
وعلى ظهر السفينةْ
طفتُ في كل مدينةْ
ورأيت الناسَ ألوانا مثيرةْ
فأناسٌ خالطوني مثل أغصان الشجرْ
وأناسٌ لست أدري مثل أكوام الحجرْ!
ورأيت الدينَ أصباغا كثيرةْ
قد بدت لي مثل أصباغ الصورْ
ليس فيها من حقيقةْ!
وشربت الماءَ من كل البلادْ
وطعمت الخبزَ من كل العبادْ

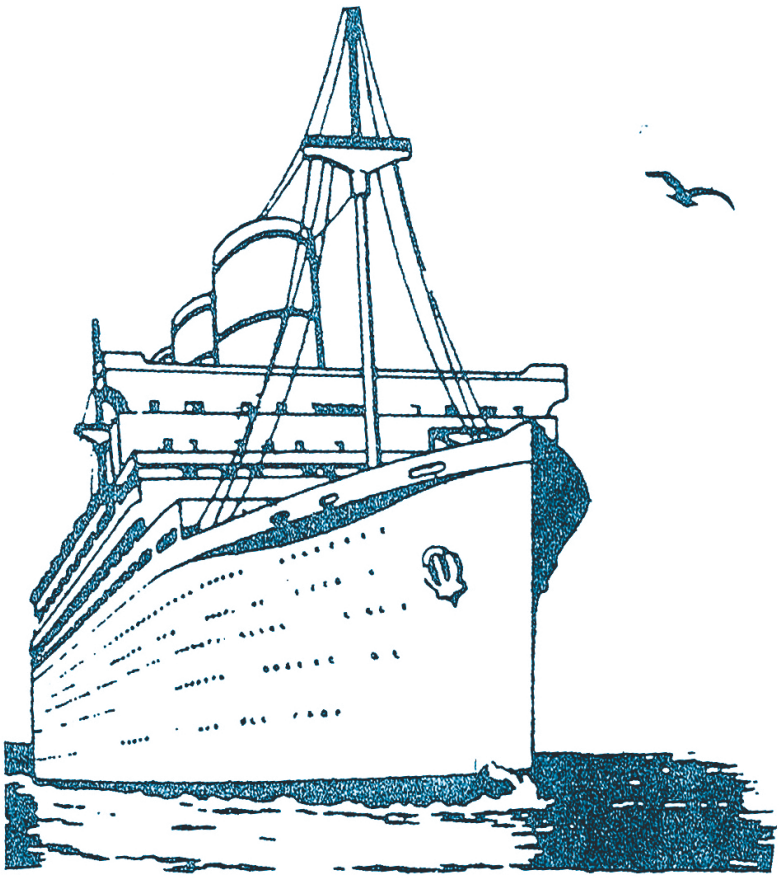

ذات موجٍ زارنا فوجُ أكابرْ
هكذا قالوا لنا
فرأيت المالَ مثل الماء يسري بيننا
غير أني ما وجدتُ الجوهرةْ!

* * *

بعد دهرٍ من سفرْ
خاطرٌ جاء فؤادي
كسحاب من مطرْ..
أنا طفتُ الأرضَ لكن دون جدوى
فلماذا لا أعودْ..
لم أجد في الأرض سلوى

* * *

عدتُ أدراجي بطور الشك من سر الوجودْ
و إذا الإنسان في الحقل كما فارقتهُ
باسما بين الورودْ
ماهو السرُّ الذي يحمله بين جناحهْ؟!
ماهو الماء الذي يشربهُ
حينما يبدو سعيدا ممسيا أو في صباحهْ!
وتحرّيتُ خفيَّ سر انشراحهْ
فشهدت الجوهرةْ!!
و أنا سافرت آلافاً لكي أبحثُ عنها!
لا تسافرْ
فكنوز الأرض عندكْ
فلتعانقها وبادرْ
«وشهدت الجوهرةْ!»
فأخذت الحظَّ منها
وإذا البرهانُ يشرقْ
في فمي ما أعطرهْ

* * *

إنه «الإسلامَ» قد عانقتُه
فسرى النور بجسمي واستقرْ
وكذا طَوري تغيَّرْ
صرتُ إنسانا عظيما
وأعاد الحقُّ لي نور البصرْ
فالحقيقةْ
لا تساويها ملايين الصورْ!!

* * *

أنت مسلمْ
فتواضع وافتخرْ
أنت مسلمْ
فالتجئ للحق دوماً
وعلى البغي بحقٍّ فانتصرْ
أنت مؤمن
فاجعل الدنيا ركابا
دون أن تعشقَ أو فيها تحدّقْ
وضياء الدين حتما في حياتكْ
سوف يشرقْ
فارسم البسمة في كل الوجوهْ
في كراريس الحياةْ..
كيف تحزنْ؟!
وضحى الإسلام في روحك نبعٌ متدفقْ
أنت مسلمْ
فلتكبِّرْ
واملأ الدنيا اعتزازاً
بجناحيك وحلِّقْ

* * *

(*) طالب ماجستير بالجامعة الإسلامية (MUII)، قسم القانون، كوالالمبور، ماليزيا.

الشركاء

صورية مروشي- الجزائر

بعد صلاة الفريضة جلست على السجادة وفي يدي مصحفي أنوي قراءة ما تيسر من القرآن الكريم كعادتي.. رن هاتفي الجوال فقطع خلوتي وأسرعت الخطا نحوه، أجبت على المكالمة سريعا، ثم عدت لمجلسي الأول وهاتفي في يدي، وضعته بالقرب مني حتى يسهل تناوله عند أي اتصال.

قرأت بضع آيات فإذا برنة وصول رسالة إلكترونية تصل سمعي، ثم يتبعها إرسال على الفايسبوك من إحدى علاقاتي الكثيرة.. تملكني الفضول فقطعت التلاوة كي أطلع على الرسائل.. اطلاع استغرق أكثر من ساعة، إذ وجدتني أتنقل من شيء إلى آخر على الإنترنت وأجلت التلاوة لوقت لاحق!..

تكرر هذا السلوك معي مرات ومرات.. ذات يوم أكملت الصلاة فحملت مصحفي، وجلست القرفصاء على الأريكة. أمامي التلفاز، وعن يميني جوالي، وحاسوبي عن يساري..

كتمت صوت التلفاز.. لكن الصور المتلاحقة كانت تشد بصري بين الحين والحين، وجعلت صوت الجوال ذبذبات كي لا تزعجني رناته، لكني بين الحين والحين أتفقده كي أرى: هل من اتصال أو إرسال!؟

وكانت العديد من نوافذ الحاسوب مفتوحة أمامي.. مواقع التواصل الاجتماعي: الفايسبوك، واليوتيوب، والتويتر، والسكايب، والياهو، والهوتمايل، والجيمايل.. وغيرها..

أما المصحف الشريف فقد ظل بين يدي أنوي قراءة ما تيسر من القرآن الكريم..!

كان عقلي مشتتا، وقلبي معلقا بين هذا وذاك.. في لحظة يقظة انتبهت.. الجوال!.. الحاسوب!.. التلفاز!.. كلها تنازعني عن مصحفي، وتقف بيني وبين تلاوتي القرآن، تلهيني عن الذكر، وعن لحظات صفو وسكينة وخلوة وأنس برب العالمين..

كيف يمكنني الاستمتاع بالعبادة والقلب والعقل معلقان بغيرها!؟

فسارعت بغلق جوالي وحاسوبي والتلفاز.. وبكيت بين يدي ربي بكاء صادقا، فنحن نمارس طقوس الشرك الحديث دون أن ندري!.. وأصبح لله شركاء جدد نتعبد في محرابهم على غفلة منا... من قال: إن زمن الشرك قد ولى!؟ فهو يأتي في كل زمان يرتدي ثوبا جديدا، ويتخذ له صورا متعددة في حين تظل روحه واحدة وهدفه واحدا: يلهي الإنسان الغافل عن ربه، وعن نفسه، ويشغله عن العبادات، ويرمي به في المحرمات حتى يأتيه الموت بغتة فلا ينفع ندم ■

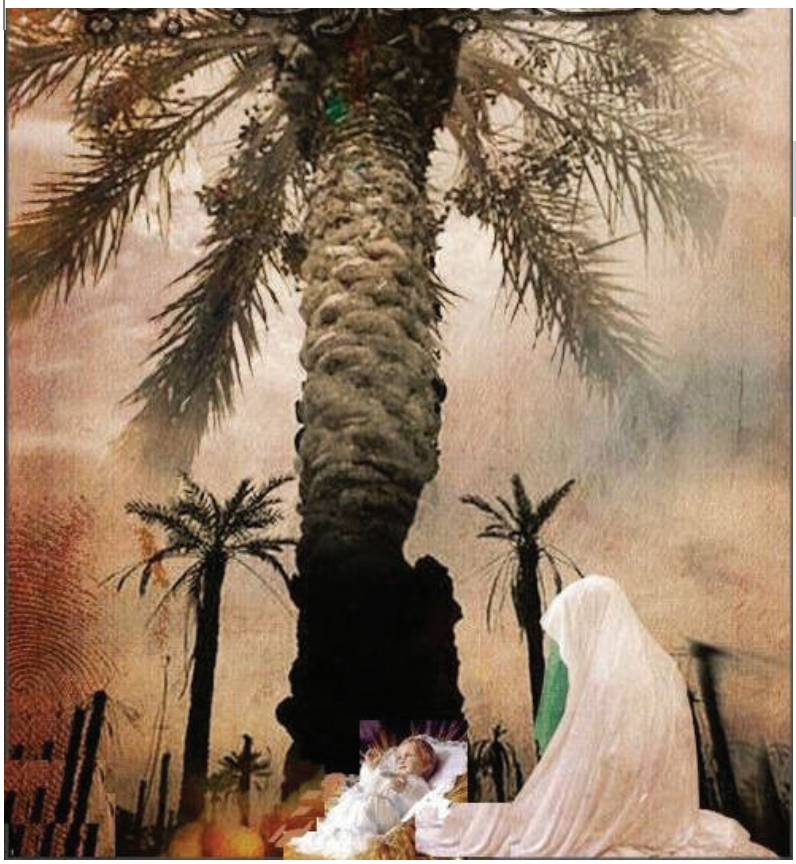

عذراء

د.نادية البرعي- مصر

جثا الراهب على ركبتيه أمام التمثال، تشابكت أصابعه، أحنى رأسه قليلا وبدأ في قراءة بعض آيات الإنجيل، استغرقه التأمل وبدأ صوته يعلو رويدا رويدا.

دخَلت من الباب متشحة بوشاح يغطي رأسها.. يردد المكان وقع أقدامها.. تقدمت حتى جلست في الصف الأول في المقعد المتميز في منتصف المقاعد.. نظرت إلى التمثال.. بدأت في البكاء اشتد، وجعها، تعالى النحيب، تلعثم الراهب.. حاول العودة إلى تمتماته فأخفق.. هو يعرف هذا الصوت جيدا.. في كل أسبوع أثناء أداء صلاته الطويلة الأسبوعية يسمع صوت الدموع، ويعلو النشيج حتى يتردد صداه في أرجاء المكان.. نظر إلى تمثال العذراء ورآها تنظر في عينيه.. تحدثه:

انظر إليها.. التَفِتْ.. لا تخف..

لا أقدر، مريم العذراء.. يا أم الرب!.

انزعجت.. نهرته:

- أنا لست أم الرب.. الرب لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

- لا.. الرب تجسَّد في يسوع ليحمل أخطاءنا، يرفع عنا العذاب..

- إذن لا معنى للجنة ولا للنار، ولا الثواب ولا العقاب!..

- الآخرون قالوا لنا: إنك أخطأت مع يوسف النجار.

- لم أُخطئ.. ولم ألد الرب.

علا النحيب مرة أخرى حتى وضع يديه على أذنيه محاولا منع الصوت من اختراق أذنيه..

صاحت هي مرة أخرى:

ولدت عيسى النبي.. عبد الله.. بكلمة منه.. بالكاف والنون، وتكلم في مهده «وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا» (مريم: ٢٥)

- لا لم يتكلم..

- بل تكلم أمامهم جميعا، فهو عبد الله وحامل البشارة.

- لا أصدق.. لا أقدر أن أصدق.

يعلو النحيب.. ارتجَّ قلبه، تساقطت دموعها حتى بلغت ركبتيه، ورغما عنه.. التفت خلفه فإذا بها ترتدي نفس الوشاح، وتنظر في عينيه، وإذا بها مريم العذراء!. ■

دور أبي الحسن علي الندوي في تطوير الأدب العربي
بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي

رسالة قدمت لنيل الدكتوراه في الأدب العربي

إعداد الباحث: حمدون فجي محيي الدين

المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة شرق سريلانكا

يعد الشيخ أبو الحسن الندوي أحد الرواد الأوائل للصحوة الإسلامية المباركة، حيث شارك في نهضتها بفكر عميق، ورأي سديد وعزيمة بلا فتور، وقد كان اهتمامه بالأدب الإسلامي – كتابة وتنظيرا، ودراسة ونقدا - يشكل مساهمة كبيرة في تزويد هذه الصحوة بالأدب الحي الذي يبعث الحماسة والحيوية والفاعلية في الأمة.

ولقد اجتمعت فيه قدرات فكرية أدبية ودعوية متنوعة، أعطى من خلالها لأكثر من نصف قرن في ميادين الدعوة والفكر والأدب الإسلامي، فلقد كانت له جهود عظيمة يقوم بها في سبيل إظهار قضية الأدب الإسلامي، ونشرها، والارتقاء بها إلى مصاف العالمية، وتتضمن هذه الجهود مؤتمرات الأدب الإسلامي التي كان يعقدها أو يوجه لعقدها أو يحضرها، والندوات والمحاضرات واللقاءات والمقابلات الصحفية التي كان يعرض فيها قضية الأدب الإسلامي، وجهوده في قيام رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ورئاسته لها مدة خمسة عشر عاما.

ولقد توجت جهود الشيخ أبي الحسن الندوي العظيمة في جانب الأدب الإسلامي بإنشاء رابطة الأدب الإسلامي العالمية، والتي كان ومازال لها الدور البارز والفعال في إثراء الأدب الإسلامي والدفاع عنه. فبعد ما أنشئت «الرابطة» بدأت تصدر مجلة أدبية تسمى مجلة (الأدب الإسلامي) ومن خلالها قامت (الرابطة) بتعريف الأدباء الإسلاميين وتشجيعهم ونشر أعمالهم، ونشرت مواد ضخمة من البحوث والدراسات والمقالات والإبداعات من الشعر والنثر، وتوجهت «الرابطة» إلى نشر العديد من دواوين الشعراء والروايات والمسرحيات، كما نشرت عدة مجموعات قصصية ومختارات من الشعر الإسلامي الحديث، حتى أشرفت على طباعة «معجم الأدباء الإسلاميين المعاصرين» لأحمد الجدع في ثلاثة مجلدات ضخمة، «ودليل مكتبة الأدب الإسلامي» للدكتور عبد الباسط بدر وكتب أخرى.

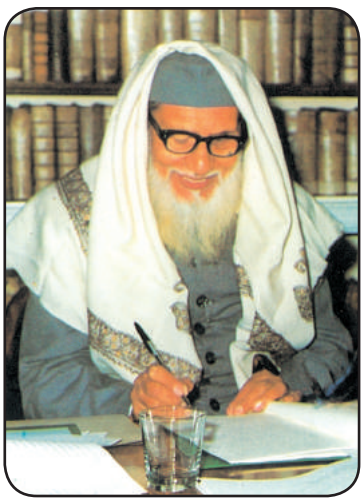

أبو الحسن الندوي

ومن تأثيرات الرابطة أيضا أن بعض الجامعات الإسلامية قد أدخلت مادة الأدب الإسلامي في المنهج الدراسي الجديد. وتوجهت الرابطة إلى تأسيس المكاتب الإقليمية في البلدان العربية والإسلامية حتى بلغت ستة عشر مكتبا حاليا، وقامت بنشر المجلات الخاصة لها مثل مجلة الأدب الإسلامي، ومجلة كاروان أدب، ومجلة منار الشرق، ومجلة قافلة الأدب، ومجلة المشكاة.

ويبدو عطاء الشيخ الندوي في جوانب عدة من الأدب الإسلامي، تتجاوز التوقعات التي يحسبها المرء في داعية

فقيه، فقد قدم أعمالا أدبية إسلامية في الدراسات الأدبية والنقدية، وفي أدب الرحلات، وفي أدب الأطفال، وفي أدب التراجم والسيرة، تكشف عن موهبة أدبية غنية متعددة الجوانب.

ولما التحقت بالجامعة العثمانية للحصول على درجة الدكتوراه أتيحت لي الفرصة لمطالعة الكتب لاختيار موضوع للدكتوراه، قرأت عن أبي الحسن علي الندوي وأعماله الأدبية، أعجبت به كثيرا، واشتاقت نفسي إلى أن أعرف دور العلامة الندوي في الأدب العربي، فصممت أن أختار هذا الموضوع، وحين أردت التسجيل في الدكتوراه تشاورت مع أساتذة قسمنا ومنهم مشرفي الكريم البروفيسور الدكتور محمد مصطفى شريف، والبروفيسور الدكتور عبدالمجيد، والبروفيسور الدكتور حافظ بديع الدين الصابري حفظهم الله، حتى وفقنا الله إلى أن أختار هذا الموضوع: «دور الشيخ أبي الحسن علي الندوي في تنمية الأدب العربي بالتركيز على رابطة الأدب الإسلامي العالمية».

وبعد التسجيل قمت بقراءة الكتب والمقالات والدوريات والمجلات والروايات، وزرت معظم مكتبات الجامعات والمدارس الدينية بحيدر آباد، وحصلت على معلومات قليلة جدا، ثم زرت دار العلوم ندوة العلماء في لكهنؤ موطن الشيخ الندوي، ولقيت الأساتذة الكبار مثل رئيس دار العلوم ندوة العلماء الشيخ محمد الرابع الندوي، والأستاذ واضح رشيد الندوي والاستاذ محمد إقبال الندوي وغيرهم، وقدمت لي كل التسهيلات حتى أستفيد من مكتبة ندوة العلماء المشهورة.

محمد الرابع الندوي

واتصلت بالمكتب الرئيسي للرابطة بالرياض، فساعدوني بإرسال أعداد كثيرة من مجلة الأدب الإسلامي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي العالمية. ثم زرت جامعة عليكراه الإسلامية، والجامعة الملية الإسلامية بدلهي وجامعة مدراس، وجامعة دلهي، وحصلت من أقسام اللغة العربية بهذه الجامعات على معلومات أفادت في إنجاز رسالتي.

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة وخمسة أبواب وخاتمة.

تحدثت في مقدمة البحث عن أهمية البحث وبيان سبب اختياره

وكان الباب الأول خلفية أساسية وثقافية واجتماعية عن عصر الشيخ الندوي.

وانقسم إلى ثلاثة فصول وهي:

الفصل الأول: يستعرض لمحة عن القرن العشرين وما فيه من أحداث مهمة في التاريخ كقضية فلسطين، وتقسيم الهند، وظهور دولة باكستان وموقف الشيخ الندوي من كل ذلك.

الفصل الثاني: يستعرض خلفية ثقافية عن دور الغرب والاستعمار الغربي في محاولة طمس الثقافة الإسلامية وهويتها، ودور الجامعات الدينية والعصرية والمجامع العلمية في الحفاظ على على هوية المسلمين وثقافتهم.

الفصل الثالث يتحدث عن تاريخ دخول المسلمين الهند وانتشار الإسلام والحالة الاجتماعية في أيام الشيخ الندوي.

وكان الباب الثاني ينقسم في ثلاثة فصول.

الفصل الأول: يبحث عن خلفية الشيخ الندوي الأسرية.

الفصل الثاني: يتحدث عن نشأة الشيخ العلمية.

الفصل الثالث: يتحدث عن أساتذة الشيخ الندوي وشيوخه.

الباب الثالث: يحتوي على خمسة فصول.

الفصل الأول والثاني: يتحدثان عن بداية التدريس لأبي الحسن الندوي والتأليف والدعوة إلى الله.

الفصل الثالث: يتحدث عن زيارات الشيخ ومحاضراته في المملكة العربية السعودية عام ١٩٤٧م، ومصر والشام والأردن، ثم تتابعت الزيارات للشرق والغرب.

وأما الفصل الرابع والخامس فيتحدثان عن المناصب العلمية والإدارية التي تقلدها الشيخ الندوي، والجوائز والتكريم التي حصل عليه سماحته، مثل جائزة الملك فيصل العالمية، وجائزة الشخصية الإسلامية وجائزة سلطان بروناي وغيرها.

والباب الرابع بعنوان: دور الندوي في تنمية الأدب العربي، وينقسم إلى أربعة فصول :

الفصل الأول: يتحدث عن مؤلفاته بجميع أنواعها باللغة العربية، كالأدب الإسلامي وأدب الأطفال، والتاريخ الإسلامي، والأعلام والسير والقضايا وغيرها.

الفصل الثاني: يتحدث عن مساهمته في تطوير أدب الأطفال، الذي حظي بالاهتمام عند الشيخ.

الفصل الثالث: يتحدث عمّا أثر عن الشيخ الندوي في أدب الرحلات من كتب رائعة وصف بها رحلاته الكثيرة إلى أغلب ديار الإسلام. مثل «مذكرات سائح في الشرق العربي» و «أسبوعان في

دور أبي الحسن علي الندوي في تطوير الأدب العربي
بالتركيز على
رابطة الأدب الإسلامي
رسالة قدمت لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي
من الجامعة العثمانية، حيدرآباد - الهند
إعداد
حمدون فجي محي الدين
المحاضر بقسم اللغة العربية بجامعة شرق سريلانكا،
سريلانكا
تحت إشراف
الدكتور محمد مصطفى شريف
الأستاذ والرئيس بقسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة العثمانية
ومدير دائرة المعارف العثمانية
حيدرآباد - الهند
ربيع الثاني ١٤٣٣ هـ
فبراير ٢٠١٢م

المغرب الأقصى» و «من نهر كابل إلى نهر اليرموك».

الفصل الرابع: يحتوي على مقدمات الشيخ الندوي لمؤلفات علمية مهمة. حيث إن التقديم داخل في نوع من الأدب، فتم اختيار الكتب المهمة التي قدم لها الشيخ الندوي وهي: «تهذيب الأخلاق للعلامة عبدالحي فخر الدين الحسني»، و«بين التصوف والحياة للشيخ عبدالباري الندوي»، و«منثورات من أدب العرب» للشيخ محمد الرابع الندوي»، و«موسوعة التاريخ الإسلامي للدكتور عبدالله مبشر الطرازي»، و«التربية والمجتمع للشيخ محمدالرابع الندوي».

الباب الخامس : تأسيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

وينقسم هذا الباب إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: يعرف الرابطة، والأدب الإسلامي، ومبادئ الرابطة وأهدافها وأغراضها بشيء من الإيجاز.

الفصل الثاني: يتحدث عن دور الشيخ أبي الحسن الندوي في تأسيس الرابطة.

الفصل الثالث: يتحدث عن نشاطات الرابطة الأدبية وإنجازاتها، وينقسم هذا الفصل أيضا قسمين، قسم يعنى بالنشاطات الميدانية، وقسم يعنى بإصداراتها من الكتب والمؤلفات. فالنشاطات الميدانية تبحث عن المؤتمرات التي تقوم بها الرابطة في العالم، والندوات والأمسيات والمحاضرات واللقاءات والمسابقات وتوزيع الجوائز للمسابقات وحفلات التكريم وغيرها.

وأما الكتب والمؤلفات، فإن الرابطة تقوم بإصدار الكتب الأدبية والنقدية ونذكر أمثلة منها: من الشعر الإسلامي الحديث لشعراء الرابطة، ونظرات في الأدب لسماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، وديوان رياحين الجنة لعمر بهاء الدين الأميري، ودليل مكتبة الأدب الإسلامي في العصر الحديث للدكتور عبد الباسط بدر، والنص الأدبي للأطفال للدكتور سعد أبو الرضا وغيرها، بلغت ٤٣ كتابا.

وأصدرت عددا من الكتب الأدبية للأطفال مثل غرد يا شبل الإسلام شعر محمد مفلح، وقصص من التاريخ الإسلامي سماحة الشيخ أبي الحسن الندوي، وتغريد البلابل شعر يحيى حاج يحيى، ومذكرات فيل مغرور «قصص شعرية» للدكتور حسين علي محمد وأشجار الشارع أخواتي، شعر أحمد فضل شبلول وغيرها، وبلغ عددها (٢٦) كتابا

الفصل الرابع: يتحدث عن تأثير الرابطة في الأدب العربي العالمي، فبعد ما أسست «الرابطة» بدأت عملها بتعريف الأدب الإسلامي، فتأثر بها الأدباء المشهورون الذين انتموا إلى رابطة الأدب الإسلامي العالمية، وفي هذا

د. عبدالقدوس أبو صالح

د.عماد الدين خليل

د. حسن الأمراني

الفصل ترجمات وجيزة لبعض أعلام الشعر والنثر الإسلامي، وتعريف ببعض الكتب ومجموعات القصص والروايات، ونختار بعض النصوص الأدبية لأدباء إسلاميين معروفين مثل د.نجيب الكيلاني، ود.حسن الأمراني، ود.عماد الدين خليل، ود.عابد توفيق الهاشمي، ود.صابر عبد الدايم، وعلي أحمد باكثير، ود.عبد القدوس أبو صالح، ود.عدنان علي رضا النحوي، ود.عبد الرحمن رأفت الباشا وغيرهم.

وختم هذا الفصل بالحديث عن إدخال المواد الأدبية من إصدارات الرابطة في مقررات الجامعات الإسلامية بشيء من الإيجاز.

وفي الختام أقدم شكري لكل من ساعدني في إنجاز هذه الرسالة، وأخص بالشكر المشرف على الرسالة الدكتور محمد مصطفى شريف، وكلا من الدكتور الحافظ بديع الصابري رئيس هيئة التدريس لقسم اللغة العربية وآدابها، والدكتور عبد المجيد رئيس القسم سابقا.

وأقدم شكري وعرفاني لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، ودار العلوم ندوة العلماء، وأقسام اللغة العربية في العديد من الجامعات الهندية التي قدمت لي كل التسهيلات والإمكانات التي لديها في إنجاز هذه الرسالة.

هذا، وقد قدمت الرسالة ونوقشت في قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة العثمانية بمدينة حيدر آباد في الهند، وذلك في العام الدراسي ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م■

نقوش في مرايا الليل

غَربَ الغُروبُ فَضَلَّ فيه الساري ... وَمِـنَ الطريقِ بَلاقِعٌ ودَرَارِي
يَقْوى القوي على الذي لا ظِلُّه ... ظل ويَشْقى في الحياةِ مُمَارِي
وَيَحَارُ في الدّربِ الجَسُورُ وتَنْمحي ... كُلُّ الخُطَا فالليل في الأغْوارِ
في عُمْقِ أعماقِ الوجودِ وجُودُهُ ... في الأرضِ فوقَ شَواطِئِ الأنْهارِ
في البَحْرِ في الموجِ الخِضَمِّ وصَوتُهُ ... فوقَ الهواءِ على صَدَى التيارِ
ويَكادُ يَكْنسُ ما يريدُ وما يرَى ... ويَكادُ يُبْحرُ في خِضمِ عِثارِ

* * *

سالم رزيق بن عوض – السعودية

غَـرَبَ الـغُـروبُ فَـهـذِه آثَـاره ... وَغَـرائـب الآثـارِ في الآثـارِ
يَمْشِي على صَلَفِ الحَياةِ يَزِفُّها ... تيهاً يُبَايعُ تَارةً ويُشَارِي
يَهْدِي بَنِيها مِنْ لُبابِ ضَلالِه ... ويُحاربُ الأفكارَ بالأفْكارِ
يَرْوِي مَسَافاتِ القُلوبِ مَسَاحةً ... وَمَسافةً مَمْزُوجةً بعُقارِ
يُعْطِي ويَمْنَحُ كُلَّ حُرٍ هَالَه ... وَجْه الظلامِ ويَلتَوي كشِعارِ
ما بَيْنَ مَا بَيْنَ الوجودِ هَدِيرُهُ ... فَهَدِيرُه كمَطِيةِ الأسْفارِ

* * *

بَلَعَ النّهارُ على السهولِ لِسانَهُ ... وانهدّ كالطودِ العَظيمِ العَارِي
وَتَبَعثَرتْ فِيه الهُمومُ وأوشكَ الـ ... ليلُ البَهيمُ يَطوفُ بالأنْظارِ
وَمَشَى الضَياعُ على رَواحِلِ مَجْدِه ... مُتَهادِياً كالفارسِ المِغْوارِ
يَسْطو على الجُرحِ الجريحِ ويرتقي ... فوق الأنامِ على شَفيرِ سُعَارِ
وتَداعت الظَلْماءُ تَخْطُبُ وُدَّهُ ... وتَبُثُّه مِنْ كامنِ الأسرارِ
والسادرونَ على الطريقِ تَدافَعُوا ... نَحو السرابِ القادمِ الكرارِ

* * *

كَمْ ألهبتْ تلكَ النجوم، وكَمْ شدتْ ... والليلُ يَمْخرُ في خِضَمِ بحارِ!
وَلَكمْ رَمتْ بالروحِ في جِلبابِه ... وتَمَوكَبتْ في رأسِه الهَدَارِ!
وَمَشتْ على ذاكَ البِساطِ وأشْعَلتْ ... فيه الحقيقةَ فَوقَ كُلِّ إطَارِ

تُزجي لهُ مِنْ رُوحِها ورَواحِها ... وتَبِيتُ تَسْفَحُ مِنْ كَريمِ فخارِ
وتَبُثُّه النجوى وهَل يَدري المدى ... أنّ النّجومَ مَفاتِحُ الأسْحارِ
والليلُ يَسْحبُ في الوجودِ رداءَهُ ... وخَيالُهُ في الأرضِ كالأوزارِ

* * *

مَرْحَى لِعُشاقِ الظَلامِ فَهذِه ... دُنياهُ تَخْطرُ في هشيمِ نَهارِ
وتُسامرُ الآلامُ في تِجوالها ... بين الأنامِ على بِساطِ حِصارِ
تَجْتاحُ ألوانَ البسيطةِ عنوةً ... وتقدمُ الأغلالَ للأحْرارِ
تَهوي على الدنيا كما يهوي الفنا ... وتشاطرُ الأشرارَ كالأشرارِ
وتَعبُ ما يغوي القلوبَ! وتنتشي ... بين القلوبِ على هدوءِ صِغَارِ
مَرْحَى ومَرْحَى للذي لَبّى الندا ... وانداحَ في ظلماتِه كالنارِ

* * *

يَا وَيْحَ هَذَا الليّل يَصْفعُ نَفْسَهَ ... ويُصارعُ الظلماءَ بالأنْوارِ!
يَمْشِي على جَدثِ الفضائلِ نَاشراً ... ثوبَ الخُنوعِ على مَدى الإبْصارِ
ويَسيرُ في الدربِ الدؤوبِ يطيرُ بالـ ... وجه اللعوبِ على خَيَالِ مُمَارِ
تَشقَى به الأرواحُ في أبدانِها ... ويُفَرْعِنُ الأهواءَ في الأقْطَارِ
ويمدُ آلافَ الأُلوفِ ويرتقي ... فِيما يمدُ على نِثارِ غُبارِ
يَسْعى ويَسْعى في وجودِ وجودِهِ ... ويَبُثُه مِنْ قَلبِه الخَوارِ

* * *

يَا مَنْ تَرجلَ في الظلامِ وما رَأى ... غَيرَ الظلامِ يَطوفُ بالأنظَارِ
ورأى قواهُ الخَارقاتِ على مُتو ... نِ السّابِحاتِ تنامُ كالأسرارِ
ورأى رفاةَ الذّلِّ يمدحُ نفسه ... ويقاربُ الأخطارَ للأخطار
ورأى الممات يكادُ يبعثُ قَبرَه ... ويزُفهُ في عالمِ الأحْفَارِ
هَوْناً على ذاك المسيرِ فلمْ تزلْ ... كلُّ الحياةِ تقادُ بالأقدارِ
فالصّبْحُ بُسْتَانُ الوجودِ، ومَوكِبُ الـ ... إشْراقِ فيه؛ قَوافلُ الأبْرَارِ

* * *

اصبر وصابر

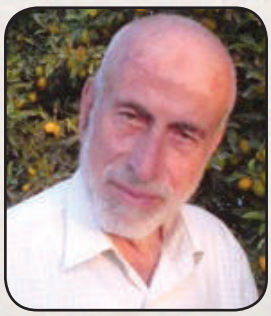

صالح محمّد جرّار- فلسطين

اصبر على قدرٍ قضاهُ الله ... فهو الحكيمُ وفاز مَن أرضاهُ

مَن ذا الّذي يدري المغيّب يا أخي ... فلعلّ بعد العسر ما ترضاه

ولربما أحببتَ أمراً معجباً ... فإذا به المكروهُ في أحشاهُ

فالغيبُ لا تدريه، فاسأل ربّنا ... يؤتيك خيراً في الّذي أجراهُ

* * *

دنياك هذي حلوُها ومريرُها ... لهي امتحانٌ فارتقب عقباهُ

والمرء مجزيٌّ بما في سِفْره ... في عاجلٍ يلقى وفي أخراهُ

وإذا بُليتَ بما يكدّرُ خاطراً ... فاصبر، فصبرُك أجرُه تُعطاهُ

دنياك هذي بالأذى مقرونةٌ ... فلربّما يؤذيك ما تهواه

ولربّما يؤذيك مَن أصفيته ... ومنحتَه حبّاً وحلوَ مناهُ

وتكاد تفنى حسرةً وتأوّهاً ... لكنّه في غمرةٍ تغشاهُ

هو سادرٌ في غيّه وضلاله ... هو سادرٌ في جحد مَن أصفاه

فاصبر على كيد امرئٍ متربّصٍ ... فلربّ صبرِكَ مُبطلٌ مسعاه

فالنّاسُ أخيارٌ وأشرارٌ، ترى ... بعضاً يسُرُّ، وبعضُهم تأباهُ

فهنا صديقٌ تفتديه بذي الدّنا ... وهناك مَن لا تبتغي لُقياهُ

ورسولُنا يهديك فيمَن قد هدى ... أحبب وأبغض، فادّكر معناهُ

واصبر وصابر يا أخي حتّى ترى ... نوراً يبلّغُك الّذي تهواهُ

ولذي العداوة فلْتُعِدّ له القوى ... فلَكم رأينا الضّعف قد أغراهُ

والله مولى مؤمنٍ لزم التّقى ... أمّا الذي يعصي فمَن مولاهُ!؟

فاصبر وصابر فالعدوُّ مُخَذَّلٌ ... واخشَ الذي لا ناصرٌ إلاهُ

* * *

قصة قصيرة

العلبة

د.سعيد أصيل-المغرب

تجمهروا كلهم حول العلبة المغلقة.. أثارهم الفضول لمعرفة ما الذي بداخلها.. تسابق الأطفال محدثين ضجيجاً وصخباً وشغباً، محاولين التسلل وسط الكبار قصد الاقتراب من هذا الجسم الغريب.

زجروهم، لكنهم لم يهتموا، واستمروا في التسلل حتى اقتربوا.. حاول أحدهم لمس العلبة، لكنهم نهروه بعنف شديد ارتعدت معه فرائصه فانسل يجري هلوعاً دون أن يلتفت إلى الوراء.

ظلت الوفود تتقاطر على المكان حتى لم يعد يسع جموعها الغفيرة، واستمروا يثرثرون بعضهم مع بعض مقترحين تأويلات عديدة لمحتويات العلبة المغلقة.. فجأة ارتفعت صفارة سيارة الشرطة مدوية تزلزل الفضاء والأسماع.. نزل اثنان من السيارة وأمرا الواقفين بالابتعاد قليلاً، ثم اتجها نحو الجسم الغريب.. نظرا إليه ملياً دون أن يلمساه.. تنحى أحدهما جانباً، وأخذ يتصل عبر الهاتف بكلام لا يُسمَع منه إلا عبارة:

نعم سيدي.. حاضر سيدي..

مر الوقت ثقيلاً جداً، وازدادت حدة الصخب والضجر عند الناس.. وفي تلك اللحظات تكونت قصص ونُسِجت حكايات، وحيكت أساطير بين المجموعات المتناثرة في أطراف المكان.

كان الصخب يرتفع ثم يخفت، بين الحين والآخر، وأعين الواقفين لا تفارق العلبة.

فجأة، وفي غفلة عن الجموع، توقفت سيارة سوداء أنيقة فأسرع الشرطيان إليها مبادرين بالتحية آمرين الناس بالتفرق وإفساح الطريق نحو الجسم الغريب.. ترجَّل رجلان يضعان نظارات شمسية سوداء، ويرتديان بذلتين بلون زرقة السماء، وينتعلان حذاءين أسودين لامعين.. مسحا المكان بنظراتهما، ثم اتجها نحو الشرطيين الواقفين جنبيهما، وأخذا معهما في حوار خافت لا يسمعه إلا الأربعة...

انتهت المحاورة، وأخذ أحد الرجلين هاتفه، ثم ضغط على بعض الأرقام مشيراً بعد حوار قصير جداً إلى مرافقه بالعودة إلى السيارة، آمراً الشرطيين بالمراقبة الشديدة، وإبعاد المتجمهرين عن الجسم الغريب، مع عدم التزحزح عن المكان إلا بعد عودتهما.

جاء وفد آخر في سيارة خاصة.. ترجَّل منها ثلاثة ببعض الآلات والوسائل الغريبة، واضعين قفازات سميكة على أيديهم.. قاسوا المكان طولاً وعرضاً.. حاولوا قياس العلبة أيضاً، في حيطة شديدة حتى لا يلمسوها.. كانت علامات الخوف والارتباك بادية عليهم، رغم محاولات إخفائها، ورغم تظاهرهم برباطة الجأش والثقة بالنفس..

همس أحدهم لزميليه: قد يكون عملاً... ربما...

حاذر أن تلمس الجسم.. اقترب بحذر شديد جداً...

حاضر... أية جهة، يا ترى، تكون وراء العملية؟

الجهات كثيرة.. لكن أيهما بالضبط.. لا أستطيع أن أحدس! لن نترك الأمر يمر دون عقاب..!

تكفي حالة الرعب هذه وحدها ليتم إنزال أشد العقاب..

في هذه اللحظة مر طفل صغير، من وسط أقرانه المتحلقين، منطلقاً كالسهم.. لم ينتبه إليه أحد.. ضرب العلبة برجله اليمنى ضربة قوية فتناثر ما كان بداخلها.. أخذ قطعة وشرع يلتهمها بنهم وفرح طفوليين عارمين، في حين ظل الجميع ينظرون إليه، واضعين أيديهم على قلوبهم، أو فوق رؤوسهم، فاغرين أفواههم، بينما اهتز آخرون ضحكاً وقهقهة!!..■

رسالة إلى بغداد

أشرف محمد قاسم- مصر

أحـزان قلبي مـع الأيـامِ تـزدادُ ... والأُفْـقُ مستوحشٌ بـرقٌ وإرعـادُ

يا مَنْ إليها أحاسيسي قد ارتحلتْ ... وعانقت عالمي في الحلمِ.. بغدادُ

بغـدادُ يـا قصَّة عاشت تعذبني ... وفي هواها اكتوت بالقربِ أكبادُ

يا مَنْ صنعتُ لها مِن مهجتي وطناً ... أسكنتُها خافقاً بـالحـبِّ ينقادُ

بـأيِّ حَـقٍّ عيـونُ الأُمِّ تجهلُني؟ ... وكيف قلبي على الهجرانِ يعتادُ؟

أنـا المغني الـذي كم عاش في وَلَـهٍ ... يروي حكايا الندى.. والزهرُ ميَّادُ

لِمَن نداكِ؟ لمن خانوا ومَن غدروا ... بكُلِّ عهدٍ وفي الأفراح قد عادوا؟

لمنْ نـداكِ؟ لِمَن باعوكِ في سَفَهٍ ... وأوهـمـونـا بـأنـا الآنَ أسيـادُ

بـغـدادُ يـا كـرْمـةً عـاشـت تعلمنا ... أحلى السجايا وما في الحُبِّ أندادُ

لِمـن أغنـي؟ وأنـتِ الآن غاضبة ... وكيف يحلو إلى عينيكِ إنشادُ؟

لمن أغني؟ ودمعُ النأيِ يهزمني؟ ... وما لنارِ الهوى في القلبِ إخمادُ

بغـدادُ لا تغضبي مني ففي ألمي ... تصير بيني وبـين الـفـرحِ آمـادُ

لن تلبسَ الشمسُ فوق الشرق زينتها ... حتى تعـودَ إلى الأمجـادِ بغـدادُ

الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق

تأليف: د. مكارم محمود الديري

يعد هذا الكتاب حلقة في سلسلة الجهود التي تبذل من قبل مؤلفين أكاديميين وغير أكاديميين في التعريف بالأدب الإسلامي وآفاقه، تنظيرا وتطبيقا من خلال نماذجه في القديم والحديث للعمل على ترسيخ هذا المفهوم لدى الأدباء والنقاد، ليأخذ طريقه إلى الأجيال الناشئة. ومؤلفة الكتاب الدكتورة مكارم الديري أستاذة الأدب والنقد المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية، بجامعة الأزهر فرع البنات بالقاهرة، وواضح أنها بذلت جهدا واضحا ومشكورا لجمع مادة الكتاب، وترتيبه للخروج بمفهوم واضح للأدب الإسلامي.

تقول المؤلفة في مقدمة الكتاب: «وهذا البحث المتواضع يحاول وضع مفهوم عام أو تصور شامل لمعنى الأدب الإسلامي من خلال رؤية الإسلام، وشموليته، ونظرته العامة إلى حقائق الوجود والحياة وقضايا الألوهية، وعالم الغيب والشهادة، من خلال تجارب وجدانية صادقة للأدباء.»

ولتحقيق هذا الهدف جعلت المؤلفة كتابها في عدة فصول، فتحدثت في الفصل الأول عن مدخل للأدب الإسلامي، أكدت فيه أن «مفهوم الأدب الإسلامي يتحدد من خلال معرفتنا لعناصر العمل الأدبي التي تنقسم إلى مضمون وشكل..» وهذا يؤكد على وضوح الرؤية الأدبية لدى المؤلفة تجاه عنوان الكتاب. وتتحدث عن دور الإسلام في تشكيل عقل الأديب، ومقومات الأدب الإسلامي التي تتشكل من الإيمان والتوازن، والإنسانية. وتميز المؤلفة بين الآداب العالمية التي تتفق مع الإسلام، وتلك التي تختلف معه من الآداب الوثنية، أوالتي تمجد الشر.

في الفصل الثاني تحدثت المؤلفة عن الوجود التاريخي للأدب الإسلامي في عصر الرسالة والعصر الراشدي، ثم الأموي والعباسي والأندلسي، حتى تصل إلى العصر الحديث، وتقدم أمثلة لكل عصر من العصور.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن مظاهر الأدب الإسلامي في الشعر، وقسمته إلى موضوعات إسلامية مباشرة مثل الإيمان بالله، والفضائل الأخلاقية، والجهاد والهموم الإسلامية. والموضوعات الإنسانية العامة من وصف الطبيعة، ووصف الحيوان والصيد، والرثاء، وعاطفة الأبوة.

وفي النثر قدمت مختارات من الخطب والمواعظ في العصر الإسلامي، والمقالة الإسلامية المعاصرة؛ الرافعي نموذجا، ثم تحدثت عن القصة ودورها في خدمة قضايا الإسلام، واستشهدت بالعمل الروائي الذي أبدعه نجيب الكيلاني باسم عمر يظهر في القدس. ويبدو واضحا أن الأدب الإسلامي القديم أخذ حيزا أكبر في الكتاب، ولكن النماذج الحديثة كانت ناجحة وموفقة أيضا.

والكتاب يخلو من اسم الدار الناشرة، ومكان النشر وتاريخه، وهو مطبوع في القاهرة بمصر عام ١٩٩٩م■

إعداد: شمس الدين درمش

من أنشطة مكتب رابطة الأدب الإسلامي في ماليزيا

تدشين ديوان عين أشعار الإيمان

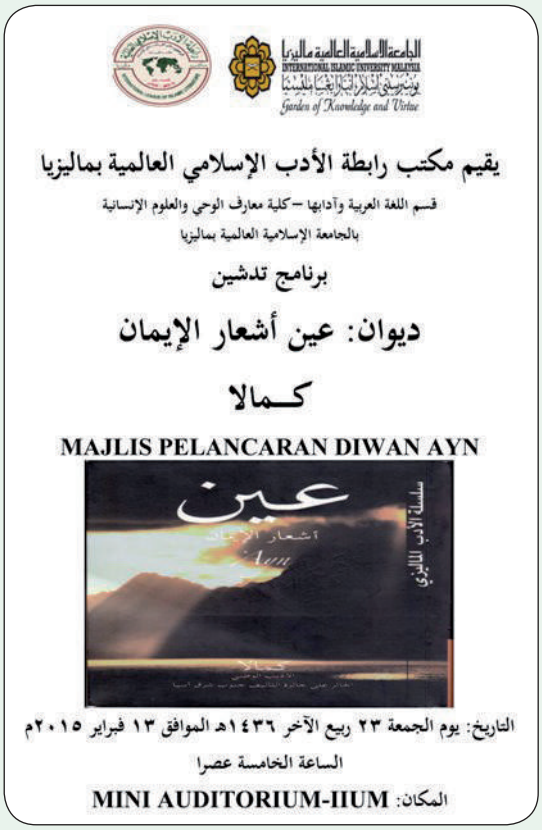

تم تدشين ديوان عين أشعار الإيمان، للشاعر داتو دكتور أحمد كمال عبد الله، يوم الجمعة ٢٣ ربيع الآخر ١٤٣٦هـ الموافق ١٣/ ٢/ ٢٠١٥م – وذلك في مني أودتيرين، بكوالا لمبور.

وتولى تقديم فقرات الحفل أنس يلمان من تركيا، وبدأ الافتتاح بتلاوة آيات من القرآن الكريم للأخ علي أسا علي من تنزانيا. ثم كلمة نائب عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية ورئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي في ماليزيا أ.م.د.عبد الرحمن شيك أكّد فيها على أهمية جهود الملايويين في نشر الإسلام والأدب الإسلامي، في جنوب شرقي آسيا، وأن هذه الجهود امتداد لجهود دعاة العرب، وتمثل بأبيات شعرية لرئيس الوزراء الأسبق، وباني النهضة في ماليزيا الدكتور محاضر محمد، نشرت القصيدة وترجمها رئيس المكتب في ١٩٩٦م، وهي بعنوان: النضال الذي لم ينتهِ.

وألقى كلمة المترجمين لديوان (عين) د.منجد مصطفى بهجت، ممثل رابطة الأدب في ماليزيا، مجيبا عن سؤالين: ما ديوان عين؟ ومن كمالا؟؟ مع تعريف موجز بالمترجمين.. وتبعته قراءة خمس

قصائد أو مقاطع من ديوان (عين) بثلاث لغات، اللغة الأم الملايوية، واللغة الإنجليزية، واللغة العربية. شارك في القراءة كل من: الأخت وان فاطمة سيتي نور بنت محمد حتى، والأخ أنس يلمان، ود.عبد الحميد محمد علي زرؤم.

وقدم د.حنفي بن دولة تعريفا بالمحتفى به وجهوده الإبداعية والنقدية، وأشهر الجوائز التي حصل عليها. وبعده قرأ الشاعر نفسه كمالا قصيدة جديدة للشاعر المحتفى بنشر ديوانه، قرأها بنفسه باللغة الإنجليزية، واستهلها بتحميد وتهليل بالعربية. واختتمت الكلمات بكلمة محمد خير نجاديرون المدير التنفيذي لمعهد الترجمة والكتاب باللغة الإنجليزية.

وفي الحفل وزعت رسائل التكليف للمندوبين، د.حاجة سلمى بنت أحمد، الجامعة الوطنية الماليزية، د.عصام الدين بن أحمد، جامعة العلوم الإسلامية، د.محمد ذو الكفل جامعة بترا، د.السيد محمد سالم العوض جامعة المدينة المفتوحة، د.عبد الغفار سامي جامعة كوالا كنسر.

والجوائز التذكارية لفريق المترجمين أ.م.د.أكمل خزيري عبد الرحمن، وأ.م.د.حنفي بن دولة، وأ.م.د.محمد الباقر بن يعقوب، ومحرر الديوان أ.د.منجد مصطفى بهجت. وثلاث جوائز تذكارية للشاعر المحتفى به، ولرئيس معهد الترجمة والكتاب، ولرئيس مكتب رابطة الأدب الإسلامي في ماليزيا.

وحضر حفل التدشين عميد كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية: أ.د.إبراهيم محمد زين، والمراجع للديوان أ.د.مجاهد مصطفى بهجت، ومندوبو مكتب الرابطة في الجامعات الماليزية.

وقد أتاحت هذه الاحتفالية أجواء شعرية لمتذوقي الشعر على مستويات مختلفة من خلال القراءات التي قدمت باللغات الثلاث، وكان المحتفى به قد استهل قصيدته بترنيمة ملايوية:

لا إله إلا الله الملك الحق المبين، محمد رسول الله الصادق الوعد الأمين

ومن النشاطات المصاحبة: عرض نسخ من ديوان «عين أشعار الإيمان» للبيع بسعر مخفض بالتنسيق مع الناشر معهد الترجمة والكتب الماليزي. وتوزيع كتيبي التعريف برابطة الأدب الإسلامي والنظام الأساسي. واستمارات الانتساب للراغبين في الانتساب للرابطة. وانتهت الاحتفالية بتناول المشاركين طعام العشاء.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

الواقعية الإسلامية في شعر نبيلة الخطيب

نوقشت في جامعة آل البيت في مدينة المفرق بالأردن رسالة ماجستير للطالبة خديجة بني خالد بعنوان: (الواقعية الإسلامية في شعر نبيلة الخطيب)، وذلك يوم الأحد ٢٠١٥/٥/٧م، في قاعة غرناطة داخل الحرم الجامعي.

تشكلت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبدالباسط مراشدة مشرفاً ورئيساً، وعضوية كلٍّ من الدكتور كمال مقابلة رئيس مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، والدكتورة منتهى الحراحشة أستاذة الأدب الحديث في جامعة آل البيت، والدكتورة جودي البطاينة أستاذة الأدب الحديث في جامعة جرش. وحضر المناقشة الشاعرة نبيلة الخطيب الرئيسة السابقة لمكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية، والناقد الأستاذ الدكتور عبدالقادر الرباعي من جامعة العلوم الإسلامية.

عرضت الرسالة لمفهوم الواقعية والواقعية الإسلامية مبينةً أهم ركائز الواقعية الإسلامية حيث

إحداث التوازن بين القولِ والفعل، والمساواةِ بين الروح والجسد. وبينت بعض جوانب الواقعية الإسلامية ببعدها الفني، حيث المواءمة بين الشكل والمضمون، واستعمال المألوف والمفهوم من مفردات اللغة بعيداً عن التقّعر والغرابة.

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: أن الشاعرة الخطيب تمثلت الواقعية الإسلامية في شعرها، فضلاً عن إثبات مقومات الواقعية الإسلامية، وبيان خصائصها التي ميزتها عن الواقعية الاشتراكية والخيالية والغربية.

خميس النجار في أمسية قصصية

مساء يوم السبت ١٣ رجب ١٤٣٦هـ الموافق ٢٠١٥/٥/٢م استضافت منصة رابطة الأدب الإسلامي العالمية في مقرها بعمان الكاتب والأديب الروائي الأستاذ خميس النجار الذي تخير تشكيلته القصصية من أحداث اجتماعية منتشلةٍ من الواقعِ المعيش ومن ذاكرةٍ تركت أثرها فيه.

أدارت الأمسيةَ الأديبة القاصة هيام ضمرة عضو الهيئة الإدارية للرابطة مبينةً مستلزماتِ القصةِ وأسسها التي تَمنحها وهج القص، وجمال الأسلوب، وفصاحةِ التراكيبِ، وصِحة القواعد النحوية والصرفية، بالإضافة لقدرة الكاتب في إبراز جزالته. ودار حوارٌ مفيدٌ شاركَ فيهِ عدد من الأكاديميين المخضرمين والنقاد المتمكنين والأدباء المبدعين، حول فنيات القص، وما يعنيه الإبداع في الأدب.

نظرات تربوية في سورة يوسف

استضاف مكتب الرابطة بعمان يوم السبت الموافق٢٠١٥/٥/٣٠م الدكتور عثمان مكانسي في محاضرة بعنوان: نظرات تربوية في سورة يوسف.

افتتحت المحاضرة بآيٍ من الذكر الحكيم لسورة يوسف قرأها على مسامع الحضور د.مكانسي مجودة بصوته، ثم قدم مدير الأمسية الشاعر الشيخ صالح البوريني ملامح من السيرة الذاتية للمحاضر.

وفي الموضوع تحدث المحاضر عن أساليب التربية التي اتبعها النبي يعقوب عليه السلام كما بينتها سورة يوسف: أسلوب التعليل، وأسلوب التحبب، وأسلوب التخطيط والإعداد، وأسلوب النصيحة مبيناً ما يقوم عليه العلم من أساليب تساعد العقل على التفاعل والإدراك.. سماها بالأعمدة وهي: إثارة السؤال، وتوجيه السؤال لعالم ينتفع بعلمه، وتحديد السؤال وتركيزه، ووجوب الإجابة النافعة، وإشباع السائل بالإجابة ليتحقق الإقناع. واختتمت المحاضرة بدعاء من الشيخ إبراهيم النعمة عضو الرابطة.

حفل إشهار لعدد من الكتب

أقام المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في الأردن حفل إشهار ثلاثة مؤلفات لأعضاء الرابطة يوم السبت ٢٠١٥/٣/٢٨م. وأدار اللقاء الدكتور علي يعقوب سلامة، فرحب بالحضور، وأشاد بأنشطة الرابطة الداخلية والخارجية.

وكان المؤلف الأول الأستاذ حسني أدهم جرار، وكتابه (عبد المالك دهامشة: محطات في مسيرة حياته) وشرح الأستاذ جرار الأسباب التي دعت إلى تأليف الكتاب، مشيرا إلى بعض المحطات في حياة عبد المالك دهامشة، ودوره في الحركة الإسلامية في فلسطين داخل الخط الأخضر.

وقدم الدكتور علي سلامة الشاعر محمد عبدالله أبو عواد وديوانه "جراحات الزمن"، فبعد التعريف بالشاعر تم خلال ذلك إلقاء مجموعة من القصائد التي نالت إعجاب الحضور خصوصا قصيدته (شاكِرٌ وَمُنيبُ) ومطلعها :

قدْ صارَ لي بين الرموسِ حَبيبُ
غُصْنٌ نَضيرٌ في الغصونِ رَطيب

التي رثى فيها ابنه العشريني الذي مات مغتربا.

وفي اللقاء الثالث قدم الدكتور علي سلامة المهندس سعيد مفلح الهودلي وكتابه: "ثقافات ما أحوجنا إليها"، فعرف بالمؤلف ودوره في الحركة الفكرية في العصر الحديث، وأشار إلى مجموعة من تلك الثقافات كثقافة الابتسامة، والصدق والشكر.. إلخ ، ودور الكتاب والسنة في زرعها في نفوس الناس، مستدلا على ذلك بشواهد من الشعر العربي والأمثال، ثم فُتِحَ بابُ الحوار مع المؤلفين الثلاثة.

مكتب عمان- اللجنة الإعلامية:

رحيل معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد

نعى المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في عمان بالأردن العالم المفكر الأديب معالي الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ١٣٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الذي وافته المنية يوم الخميس ١٤٣٦/٨/٣هـ، الموافق ٢٠١٥/٥/١٢م. تغمده الله بالرحمة والرضوان، وأسكنه فسيح الجنان. وفيما يأتي نبذة مختصرة عن حياته:

ولد ناصر الدين بن محمد بن أحمد بن جميل الأسد في محافظة العقبة جنوب الأردن في ١٩٢٢/١٢/١٣م، لأب أردني وأم لبنانية. وبدأ دراسته في عمان، وتوفيت والدته عام ١٩٣٦م، ثم والده عام ١٩٣٩م وهو في السنة الأخيرة من المرحلة الثانوية المتوسطة في عمان.

بعد تخرجه في الكلية العربية بالقدس عام ١٩٤٣م، عمل في مدارس عمان، ثم التحق بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة الآن)، وتخرج في قسم اللغة العربية عام ١٩٤٧م، ثم خف إلى القاهرة عام ١٩٤٩م لدراسة الماجستير، والتدريس في المدرسة الإنجليزية بمصر الجديدة، وحاز الماجستير من كلية آداب جامعة فؤاد الأول عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥١م على أطروحته (القيان والغناء في العصر الجاهلي)، وظل يدرس في المدرسة الإنجليزية حتى عام ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م، ثم فاز بالدكتوراه بتقدير ممتاز من جامعة القاهرة عام ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م على أطروحته (مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية) وهو أول أردني نال الدكتوراه من جامعة القاهرة.

وقد عانى ناصر الدين خلال سنوات دراسته عسر الحال، فاضطر أن يعمل خلال دراسته الجامعية،

بسم الله الرحمن الرحيم

International League of Islamic Literature
Jordan Regional Office - Amman

رابطة الأدب الإسلامي العالمية
مكتب الأردن - عمان

ينعى رئيس وأعضاء مكتب الأردن الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية العلامة الشيخ ناصر الدين الأسد عضو شرف الرابطة الذي وافته المنية يوم الخميس : ٢٠١٥/٥/٢١ م في العاصمة عمان .

نسأل الله أن يتغمده بواسع رحمته وأن يدخله فسيح جناته مع الأنبياء والشهداء والصديقين والصالحين .

ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الدكتور كمال مقابلة
رئيس مكتب الأردن الإقليمي
لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

تأسست عام ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م

INTERNATIONAL LEAGUE OF ISLAMIC LITERATURE

مكتب الأردن الإقليمي - تلفاكس (٠٩٦٢-٥٦٢٠٩٣٥) - خلوي: (٠٩٦٢-٧٩-٥٢١٣٨٣١) ص.ب: (٩٢٣٠٨٤) عمان (١١١٩٢) الأردن
Jordan Regional Office - Telefax: +962-6-5620935 - Mobile: +962-79-5213831 - P.O.Box: 923084 - Amman 11192 Jordan
E-mail: adabislamijordan@gmail.com

مترجما، ومراسلا لجريدة (الوحدة) في القدس، ومدرسا في المدرسة الإبراهيمية بالقدس، ومذيعا في الإذاعة العربية لمحطة الشرق الأدنى، ثم عمل في ليبيا، وأسس مع بعض المعلمين المصريين والليبيين أول مدرسة ثانوية متوسطة في طرابلس.

وتقلد د.ناصر الدين الأسد مناصب علمية وإدارية وتعليمية كثيرة ورفيعة منها: عميداً لكلية الآداب والتربية في الجامعة الليبية ببنغازي، وأستاذاً للغة العربية وآدابها في الجامعة الأردنية، وعميداً لكلية الآداب، ثم رئيساً للجامعة، وعمل وكيلاً للإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية، والمدير العام المساعد المشرف على الشؤون الثقافية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة، وسفيراً للملكة

الأردنية الهاشمية بالسعودية، ووزيراً للتعليم العالي في الأردن لفترتين، ورئيس جامعة عمان الأهلية، وعضو مجلس الأعيان بمجلس الأمة الأردني، ورئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية (مؤسس آل البيت)، ورئيس مجلس أمناء جامعة الإسراء.

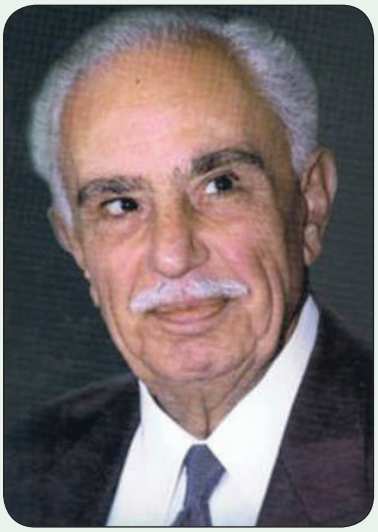

وكان ناصر الدين الأسد عضوا في كثير من المجامع والروابط العلمية والثقافية، منها: عضو مجامع اللغة العربية بدمشق، والقاهرة، والهند، والأردن، والصين. وعضو مجلس إدارة هيئة الموسوعة الفلسطينية. وعضو أكاديمية المملكة المغربية، عضو المجلس الاستشاري الدولي لمؤسسة (الفرقان) للتراث الإسلامي بلندن.

وحصل ناصر الدين الأسد على جوائز دولية متعددة منها: جائزة الدكتور طه حسين لأول الخريجين في قسم اللغة العربية في جامعة فؤاد الأول، وجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي، وجائزة سلطان العويس الثقافية في حقل الدراسات الأدبية والنقد، وجائزة الدولة التقديرية في الآداب من الأردن.

وبلغت مؤلفات ناصر الدين الأسد «أربعة وسبعين عنوانا، خدمت المكتبة العربية منها: جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى – لابن حزم (تحقيق بالاشتراك)، والاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، وديوان قيس بن الخطيم (تحقيق)، ويقظة العرب، تأليف جورج أنطونيوس (ترجمة من الإنجليزية بالاشتراك)، وتصوّرات إسلامية في التعليم الجامعي والبحث العلمي، وغيرها.

للمزيد من المعلومات: موقع ناصر الدين الأسد
http://nassirel-din.blogspot.com

في رثاء العلامة الدكتور ناصر الدين الأسد

شعر: ماهر قاسم- فلسطين

تَبْكيكَ يا أَسَدَ البَيانِ قَصيدتي
للضادِ كُنْتَ مُعَلِّما وغَضَنْفَرا
أَنْتَ الّذي صَقَل العُقول تجارِبا
للشعرِ كُنْتَ مُحاكِيا وَمُطَوِّرا
فَدَرَسْتَ شِعر الجاهِلِيّةِ باحِثا
الملحمات قصائدا والشَّنْفَرى
خُضتَ العُلوم مُنَقِّبا عَن دُرِّها
للنّقدِ كُنت مُحَكَّما وَمُيَسِّرا
شَرَحَ السُّموط مُزَيِّنا أشعارنا
للضادِ أَثْرى ثَرْوَة وَمَصادِرا

من أنشطة ندوة الوفاء الأدبية

الأسرة وأثرها في التكوين الأدبي

أقامت ندوة (الوفاء) الثقافية الأسبوعية في الرياض محاضرة بعنوان: (الأسرة وأثرها في التكوين الأدبي) ألقاها الدكتور خالد بن سعود الحليبي، وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٦/٧/١٠هـ، وأدار اللقاء الروائي الدكتور عبدالله العريني، وحضرها ثلّة من الأدباء والمفكرين والمثقفين من روّاد الندوة وجمهورها.

وتحدث المحاضر عن تأثير الأسرة في تكوينه الأدبي وعلاقته بشاعر الأسرة عمر بهاء الدين الأميري، وتحدث عن الأسر الأدبية والشعرية في الأحساء مثل آل المبارك، وآل عبدالقادر. وقد سرد مجموعة من المؤثرين في التكوين الأدبي في الأسرة، ومن أهمهم: الأب، والأم، والإخوة والأخوات.

وفي بيان المؤثرات الأخرى في التكوين الأدبي ذكر الدكتور خالد الحليبي النظرية الاجتماعية، وأنه يمكن

تطور الحس الأدبي الجمالي ونموه من خلال عدة نقاط: مثل العائلة، والمدرسة ومعلموها، والطبيعة المحيطة بالأطفال، ووجود المكتبة في البيت، وحضور مجالس العلم والأدب والأمسيات والندوات. وقدم نماذج أدبية جمالية كثيرة خلال حديثه، ثم قدم نماذج شعرية وأمتع الحضور بقصيدته عن والده المربي.

وشارك في الحوار والأسئلة كل من: عميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد، وقدّمها ابنه المهندس محمد باجنيد. ومدير اللقاء د.عبدالله العريني، ود.عبدالرحمن النفيسة، وشمس الدين درمش، ود.عبدالكريم سمك، وأيمن ذو الغنى، والإعلامي هيثم الأشقر.

مهدي الحكمي في أمسية شعرية

استضافت ندوة الوفاء بالرياض الشاعر د.مهدي ابن أحمد الحكمي في ١٤٣٦/٨/٢هـ، في أمسية شعرية أدارها الدكتور عائض الردادي، فقدم نبذة تعريفية بالشاعر الضيف.

وقد أمتع الشاعر الحكمي جمهور الندوة بقصائده المحلقة في سماء الخيال، وروعة المعاني وسموها، منوعا بين القصيدة الوطنية والاجتماعية والوجدانية، التي بدأها بقصيدته الأثيرة عن الرياض، ومطلعها:

أنت أدرى بلوعتي أنت أدرى فامنحيني إذا تلعثمت عذرا

وفي مداخلات الأمسية شارك الشاعر د.عمر خلوف بقصيدة عن مدينته حماة، وكل من د.محمد سليمان الشهري، ود.يحيى أبو الخير بقصيدة.

وقدم المنشد الحضرمي بافضل قصيدة في مديح الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي الختام شكر الأستاذ حسين باجنيد نيابة عن والده عميد الندوة الشيخ أحمد محمد باجنيد الضيف والحاضرين، ورواد الندوة معلنا ختام الموسم الثقافي الأدبي لهذا العام ١٤٣٦هـ.

روائع البيان القرآني في محاضرة للعريني

ضمن لقاءاتها الدورية الأسبوعية أقامت ندوة الوفاء الثقافية بالرياض محاضرة بعنوان: (من روائع البيان القرآني) قدمها الدكتور عبدالله بن صالح العريني، وذلك مساء الأربعاء ١٤٣٦/٧/١٧هـ، وأدارها الدكتور يحيى أبو الخير، وحضرها ثلة من المفكرين والأدباء والمثقفين والإعلاميين وجمهور من رواد الندوة ومتابعيها .

وتحدث الدكتور العريني عن معجزة كتاب الله الخالدة إلى يوم القيامة، وبعض الجوانب البلاغية في القرآن الكريم، وقدم أمثلة مختارة لذلك من اللفظ والجملة والمعنى، مشيرا إلى نظرية ابن جني في بلاغة القرآن الكريم، وهي قوة الألفاظ مع قوة المعاني. ومن الأمثلة التي ذكرها: (نضح ونضخ) فالنضح هو سيلان الماء بسلاسة وهدوء، أما النضخ فيكون بقوة، ومنه (عينان نضاختان) وكذلك الفرق بين (أزّ، وهزّ)، وقوله تعالى :(تلك إذاً قسمة ضيزى) (النجم: ٢٢)، وقوله تعالى (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) (القيامة: ٣٣)

ومن الأمثلة التي قدمها المحاضر قوله تعالى: (قيل يانوح اهبط بسلام منّا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسّهم منا عذاب اليم) (هود:٤٨)

(فنجد ثمانية ميمات قد اجتمعت وتقاربت، ومع ذلك لا نحسّ بثقل، وهذا من معجزات القرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه بل نشعر بقوة الكلام وجمال .

وتحدث المحاضر عن جماليات قرآنية بيانية أخرى مثل: تتابع الإضافات في مجموعة من السور والآيات القرآنية يبرز جمالا وذوقا رفيعا لا يعلى عليه. وعدم نسبة الشر أو الشيء المستكره لله سبحانه وتعالى من خلال استخدام الفعل المبني للمجهول، والمترادفات في القرآن الكريم تستخدم في لفتات جميلة تميّز بينها، والتذييل في القرآن الكريم الذي يعبّر عن جمال راق في الموازنة بين المعاني والألفاظ، والاستغراق بنفي جنس الشيء، والموازنة بين مقاطع الآيات المتشابهة في مضمونها، ويضيق المجال هنا عن تقديم أمثلة لما ذكر.

وشارك بالأسئلة والحوار د.يحيى أبو الخير، ود.إبراهيم الفايز، وشمس الدين درمش، ود.محمد سليمان الشهري. ومنصور العمرو. وكان مسك ختام الأمسية قصيدة للدكتور عمر خلوف.

الخطيب يفوز بالجائزة الثانية للألوكة

فاز عضو الرابطة الأستاذ الباحث والأديب الشاعر محمد حسام الدين الخطيب (من سورية) بالجائزة الثانية من الجوائز الكبرى بمسابقة الألوكة لتعزيز القيم والأخلاق عن بحثه الموسوم بـ (تعليم المرأة عند غير المسلمين وعند المسلمين)، وقيمة الجائزة ١٠٠ ألف ريال سعودي. وفاز الأستاذ الخطيب بجوائز في مسابقات دَوليَّة سابقة، منها جائزة رابطة العالم الإسلامي (التعريف بنبيِّ الرحمة)، وجائزة الشيخة فاطمة بنت هزَّاع بن زايد آل نهيَّان لقصَّة الطفل العربي. ورابطة الأدب الإسلامي العالمية تهنئ الأستاذ الخطيب بهذا الفوز وتدعو له بالتوفيق والسداد.

الهند: نيو دلهي: غياث الإسلام الصديقي الندوي

الاحتفال بذكرى العلامة شبلي النعماني

عقد المكتب الإقليمي لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في نيودلهي ندوة أدبية أيضا في ٢٧ ديسمبر ٢٠١٤م، موضوعها "جهود العلامة شبلي النعماني(١٨٥٧م-١٩١٤م)، في إثراء اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الهند". شارك فيها نخبة من أساتذة جامعات العاصمة الهندية وطلابها ومثقفيها بحماسة ونشاط شديدين.

وقال د.شفيق أحمد خان الندوي رئيس المكتب الإقليمي للرابطة في نبودلهي: إن الشيخ العلامة شبلي النعماني لم يكن أديبا أورديا فقط، بل إنه كان أديبا عربيا ألمعيا فذا باللغة العربية وقد ألف كتبا عديدة بالعربية.

انضم العلامة النعماني إلى حركة ندوة العلماء، واشتغل مسؤولا عن المنهج الدراسي وشؤون التعليم والتربية لمدة ٧ سنوات فيما بين ١٩٠٥م و١٩١٣م، تقدمت دار العلوم التابعة لندوة العلماء، في غضونها، بفضل جهوده المتميزة تقدما ملحوظا، واعتبر بفضله الجميع واعتبروه أحد بناة الجامعة الندوية. ومن ثم قام الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي بتشييد بناء ضخم ذي طوابق متعددة في ١٩٨٤م للمكتبة الندوية المركزية وسماها بـ "مكتبة العلامة شبلي النعماني العامة" تقديرا لدوره الكبير في تاريخها والنهوض بها، واعترافا بفضله في تهيئة جو علمي في حرم جامعة ندوة العلماء، وإبرازا لتفوقه في مجال الأدب والثقافة.

وشارك في الندوة د.محمد أيوب تاج الدين الندوي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة الملية الإسلامية بمقالة عنوانها "شبلي وندوة العلماء"،

شبلي النعماني

والأستاذ عظمت الله الندوي بمقالته حول "جهود الشيخ شبلي في ترويج اللغة العربية ونشر الثقافة الإسلامية في الهند"

والأستاذ غياث الإسلام الصديقي الندوي بمقالته "تحليل فكري ولغوي لمؤلفات العلامة شبلي الأوردية والعربية"، بما فيها: سيرة نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام، والفاروق رضي الله عنه، والمأمون، والغزالي، والرومي، وشعر العجم، وسيرة النعمان ونحو ذلك.

وشارك في الندوة رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في جامعة جواهر لال نهرو الأستاذ الدكتور مجيب الرحمن الندوي.

وقدمت مداخلات وأسئلة تعليقات من الحضور، شارك فيها أساتذة جامعات دلهي وباحثوها ودارسوها، في مقدمتهم الدكتور نعيم الحسن الأثري (جامعة دلهي)، والدكتور محمد قاسم عادل الندوي (كلية ذاكر حسين)، والدكتور أورنك زيب الأعظمي (الجامعة الملية الإسلامية)، والأستاذ مغيث أحمد عليك (جريدة راشتريه سهارا الأردية)، والدكتور قمرشعبان الندوي (جامعة جواهرلال نهرو)، والأستاذ محمد ريحان خان الندوي (جامعة جواهرلال نهرو)، والأستاذ أرشد رئيس الندوي (جامعة دلهي)، والأستاذ محفوظ الرحمن الندوي (الجامعة الملية الإسلامية)، والأستاذ محمد كهف الورى الندوي (جامعة جواهرلال نهرو).

السيرة النبوية في مؤتمر لمؤسسة «مبدع» بالمغرب

ما تزال مدينة فاس المغربية تواصل تقديم عطائها الغزير في خدمة الإسلام والمسلمين، وتصل حاضرها المشرق بماضيها العريق، من خلال مشروعات علمية، وخاصة السيرة النبوية، والتراث العربي والإسلامي وما يتصل بهما من علوم ومعارف.

وتقوم مؤسسة البحوث والدراسات العلمية «مبدع»، بمتابعة من أمينها العام الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي بالتعاون مع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، والمجلس العلمي، وبعض المؤسسات الراغبة في الخير، وخدمة الإسلام والمسلمين، في إنجاح ما تعقده من مؤتمرات ومشروعات فكرية.

وقد عقد في فاس مؤتمران: أولهما المؤتمر العالمي الأول للباحثين في السيرة النبوية: أيام ٧-٨-٩ محرم ١٤٣٤ هـ الموافق ٢٢-٢٣-٢٤ نوفمبر ٢٠١٢م. وثانيهما المؤتمر العالمي الثاني للباحثين في السيرة النبوية أيام ٢٦-٢٧-٢٨ محرم ١٤٣٦ هـ الموافق: ٢٠-٢١-٢٢ نوفمبر ٢٠١٤م.

د. الشاهد البوشيخي

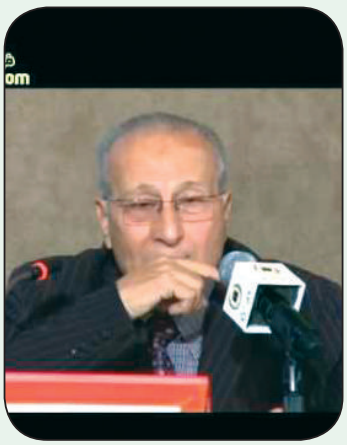

د. سعد أبو الرضا

وفي المؤتمرين تجاوزت السيرة النبوية كونها كتابا في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتصبح فاعلة في كثير من مجالات الحياة المختلفة، فهناك بحوث تناولت كيفية تحقيق السيرة وتوثيقها، وتحديد منهج لعلمها، وخدمة مصادرها، والسيرة وفقه السياسة والاجتماع، ومناهج الإصلاح والبناء الحضاري في ضوء السيرة النبوية، ونحو نظرية إسلامية في التربية والتعليم من خلال السيرة النبوية، والأعمال الدرامية في خدمة السيرة النبوية، وتوظيف السيرة النبوية في القصة والرواية، والسيرة النبوية وأدب الأطفال، والسيرة النبوية والقانون الدولي، والسياسة الدولية.... إلخ، والمتحف الحضاري الخاص بالسيرة النبوية.

وقد شارك الدكتور سعد أبو الرضا نائب رئيس المكتب الإقليمي بالقاهرة، ونائب رئيس تحرير مجلة الأدب الإسلامي سابقا في هذين المؤتمرين.

إسلامي أدبيات في العدد ٦٤

صدر العدد ٦٤ من مجلة الأدب الإسلامي التركية متضمنا عددا من الدراسات الأدبية والثقافية، ومجموعة من الإبداعات الأدبية الشعرية والنثرية.

وفي هذا العدد ملف عن الأفلام السينمائية ذات البعد الثقافي التي تتناول المجتمع التركي مثل: حريم السلطان، والستارة البيضاء، شارك في نقدها كل من الأستاذ علي نار رئيس التحرير، وعبدالله بدرخان، وسيامي أق يل.

ودأبت مجلة الأدب الإسلامي التركية بنشر ملفات وأعداد خاصة نذكر بعضها فيما يأتي، ففي العدد ٦٣ ملف عن المدائح النبوية في الأدب التركي، وفي العدد ٦١ ملف عن الأذان في الأدب التركي، وفي العدد ٦٠ ملف عن السلطان محمد الفاتح وجامع أيا صوفيا، وفي العدد ٥٨ ملف عن الشعراء العلماء.

وخصصت المجلة عددها ٤٠ للأدب التركي على امتداد رقعة الشعوب الإسلامية التي تتكلم التركية من البوسنة والهرسك غربا إلى تركستان الشرقية في الصين. وكانت خصصت العدد ٣٧ لتعريف القارئ التركي بالأدب العربي، فقدمت دراسات نقدية وأدبية، وترجمت لعدد كبير من الشعراء العرب القدامى والمعاصرين، ونماذج مختارة من أشعارهم.

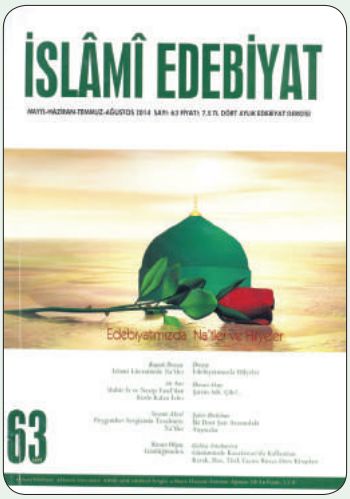

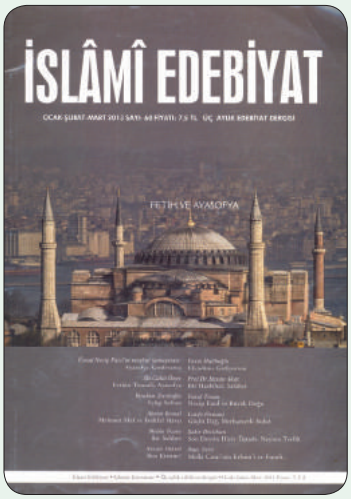

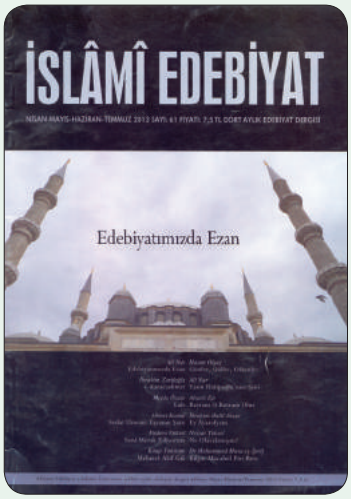

بقيت نافذة الأدب إلى قلبه وسيلة

إلى فخامة الأستاذ الدكتور عبد القدوس أبو صالح رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ورئيس مجلة الأدب الإسلامي

نتشرف بأن نزف إليكم من الله سلاما مباركا طيبا آملين أن تدرككم سطورنا وأنتم من العافية في سعة، ومن مقامكم في دعة، ومن ضيق مسالك الدنيا في فسحة، الخير عليكم مقبل، والشر عنكم مدبر، بذويكم وإنتاجكم الباهر قرير العين، وبين ذويكم وأهل سوريا جميعا وبين فرعونها عظيم البين.

وبعد: فلقد فرحت جمعية «أصدقاء الأدب الإسلامي ودراسته» الألمانية بسطوركم النبيلة فرحة الأرض البوار بنزول الماء الزلال بعد طول انتظار، فكانت كلماتكم حياة في كلام، وكلاماً في حياة، فالله نسأل أن يطيل عمركم ويطير إلى الدنيا كلها ذكركم.

وجمعية الأدب الإسلامي الألمانية بها فتية آمنوا بربهم عله يزيدهم هدى ارتأوا من قبل عامين أن الخطاب الإسلامي في بلاد الحرمين التي يعيش فيها أكثر من مئتي مليون إنسان لا يتجاوز إفكاً من صحفي جاهل، أو عظة خاطفة من واعظ عن الناس بلغته قافل، أو متطرفا صادّا كلامه زائل.

ولما كان الوحي قد سبق بهذا الخطاب الأدبي إلى الإنسان في قرآن هو كلام الرحمن فإن الذين يحاربون الله ورسوله لهم قلاع السلاطين، وأموال هم بها من قارون في عليين، ولهم حيل الثعابين، فهؤلاء يقدرون ويفكرون كيف يهدمون صرح الإسلام، لتلف الدنيا من جديد جاهلية الظلام، فارتأوا أن يلجوا بمعاول هدمهم من الأدب في القرآن، فزعموا أن كتاب الرحمن الذي علم القرآن ليس وحياً ولا كان، وإنما هو أدب أفرزه خيال شاعر فنان، فكان سحرا يؤثر، لا يؤخذ ما فيه على أنه الحق الصراح، ولا على أنه للدنيا وللآخرة دليل النجاح!. فجاءت جمعية الأدب الإسلامي الألمانية إلى هذا الثغر راغبة محتسبة تقاوم هذا النباح، وتبرز الحق الوضاح. «ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض...»

كما أن تثبيت الجيل الثاني والثالث من أبناء المسلمين على طريق الحق المبين بات ضرورة من ضرورات الحفاظ على كينونة المسلمين في ديار الهجرة الحديثة لأهل الدين: «وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر».

وهذا الجيل الثاني والثالث من أبناء المسلمين في هذه الديار مولود، وبين أهلها معدود، النهب الثقافي واللغوي والوجداني إليه ليلا ونهارا ممدود.. فأنى له أن يبادر إلى البخاري أو مسلم لقراءة كلام أحمد، أم أنى له أن يصبر نفسه مع الذين يقرؤون تفسير كلام الواحد الأحد؟ فبقيت نافذة الأدب إلى قلبه وسيلة المحتار، وحيلة الأخيار.

وها نحن ندعو الشباب المسلم بالليل والنهار، أن اسكبوا هويتكم الإسلامية في قوالب تثير الانبهار، وأسسنا لذلك مجلة ألمانية وأسميناها «صوت الروح» قريبا سترى ضوء النهار.. تجمع عن الأدب الإسلامي في العالم الأخبار، وتترجم إلى الألمانية من كلام الأدباء الكبار وتنشر ما تفيض به روح كتاب الألمانية من يسر يسار، أو تنقد إنتاجا أدبيا ألمانيا فيه للحق افتقار، وثراء من العوار.

وهكذا ترون أن دوحة الأدب الإسلامي الناطق بالألمانية تريد أن تكون للرب عبادة، وفي الحق ريادة.. فلا تحرموها رعايتكم، ولا تقطعوها وصالكم، أوصلكم الله إليه أنتم ومن معكم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

د.عبدالحفيظ عبد العزيز مسعود

رئيس جمعية أصدقاء الأدب الإسلامي ودراسته بألمانيا

د. عبدالباسط بدر

أدب التمثيلية الإذاعية

منذ السنوات الأولى في عمر الإذاعات برزت من بين البرامج الناجحة التمثيلية الإذاعية، وبذل المعدون والمخرجون والممثلون والفنيون جهودا مضنية لجعلها مشوقة تشرئب لها الأعناق، فلم تكن أجهزة التسجيل متوفرة آنذاك، وكان الأداء مباشرا على الهواء، وكان أي خطأ كفيلا بأن يسقط التمثيلية أو يعيبها، ومع ذلك كنت تجد المستمعين في البيوت والطرقات والمقاهي يتحلقون لسماع التمثيلية، وتحبس الأنفاس، وتضطرب الانفعالات مع تذبذب أحداثها، وترتفع بين الحين والحين أصوات التعاطف أو الاستنكار لتعقب على جملة قالها ممثل، أو حالة مرت بها الحوادث.

ولسنوات عدة أقبل معدو البرامج والمخرجون على القصص التاريخية والاجتماعية والعاطفية فحولوها إلى حواريات كاملة، وما لبثوا أن مالوا إلى القصص المترجمة ثم المسرحيات، واستنهضوا الكتاب ليسهموا في تقديم المادة الرئيسية، وكانت التمثيليات كبقية البرامج بالفصحى، ثم دخلت اللهجات المحلية لتقدم جوانب من الواقع ونجحت في أن تصنع شعبيتها العامية، وتحولت بفضل هذه الشعبية إلى خبز يومي في مائدة الإذاعة، تقدم كل يوم عدة مرات وبأطوال مختلفة، ولو نظرت في برامج أية إذاعة لوجدت أن بعضها قصير، وبعضها متوسط الطول، وبعضها للسهرة، وبعضها في حلقات متسلسلة، وكما تختلف أطوالها تختلف موضوعاتها فمنها الدينية، ومنها الاجتماعية، ومنها الواقعية، ومنها الخيالية، ومنها الفصيحة، ومنها العامية، ومنها العربية، ومنها المعربة، بعضها يخاطب الكبار، وبعضها يخاطب الصغار، وبعضها يخاطب المثقف بخاصة، وبعضها يخاطب كل مستمع أيا كانت ثقافته.

وطبيعي أن هذا الحضور الكثيف للتمثيلية الإذاعية سيعطيها زخما كبيرا، ويجعل أثرها قويا تدل عليه شعبيتها الواسعة، ثم إنها – ولا شك – أداة توصيل مشوقة وناجحة للخبرات والقيم، وأداة تثقيف وتوعية ومتعة، لذلك تفرد لها أقسام خاصة في إدارة كل إذاعة، ويبحث المسؤولون بلهفة عن النص الجيد، ويستكتب الكتاب، وتخصص لهم المكافآت.

وخلال رحلة التمثيلية الإذاعية إلى الجماهير لسنوات عدة اكتسبت خصائص تميزها عن الأشكال الأدبية الأخرى، حتى عن القصة والمسرحية، وتجعلها فنا أدبيا جديدا له قواعده، وتظهر المؤثرات الصوتية لتربط أجزاءها وتجسد مشاهدها، وتثير خيال المستمع، وتجعله يتفاعل معها، وربما تكون إثارتها عالية أقوى من اثارة الرؤية المباشرة ذلك أن المستمع يرسم ملامح الشخوص والأحداث من خلال العبارات التي يسمعها ولكن بخياله هو، وللخيال قوة غير محدودة. ولأدل على تمييز التمثيلية الإذاعية من أننا إذا أردنا أن نقدم قصة أو مسرحية من خلال الإذاعة عهدنا إلى كاتب حواريات، أو ما يسمى بمكاتب السيناريو تمثيلية إذاعية.

ولا شك أن التمثيلية الإذاعية إضافة جديدة إلى فنون الأدب. وهي إضافة مهمة ذات تأثير عميق.. وما أحرانا أن نهتم بها، ونرصد قواعدها وندعو أدباءنا إلى الإقبال عليها وإبداع المزيد فيها! وما أحرانا أن نضيف في كتب دراسة الأدب هذا الجنس الأدبي الذي ساقه التطور العلمي■